مطبوعات
كتابي
يصدرها : حلمي مراد

سومرست موم

الخاطئة



١٠ قروش

سومرست موم

الخاطئة



THE PAINTED VEIL

كتابى

ملاحق خاصـــة تصدر عن « كتابى » فى المناسبات ، متضمنة ترجمـة كتاب طويل كامل من الكتب العالمية الممتازة ، القصصية وغير القصصية ، فى كل موضوع ، لأعظم المؤلفين

يصدرها : حلمى مراد

شــعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع

ترجمه : محمد بدر الدين خليل   وراجعه : حلمى مراد

الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦ ، ٦٥٦٠٨

مجموعة ((كتابى))

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الان تسعة وعشرون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد أول كل شهر .. وفيما يلى قائمة الكتب التى صدرت :

خطايا الحب وكتب أخرى • قلب عذراء • الهاربة من الجنة • حواء الجديدة • أحدب نوتردام • جريمة حب • عشيقة نابليون • مذكرات كيوبيد • صنم تحطم • حديقة الله • عندما تحقد المرأة • لعبة الحب والموت • توبة خاطئة • أيها الربيع ترفق • الشيطان على الارض • ليدى هاملتون • الارملة المرحة • حياة جورج صاند • حياة سارة برنار • رباعيات عمر الخيام • حياة بيتهوفن • حياة موسولينى • كوخ العم توم • الزوج والعشيق • البوهيمية • فتاة لها ماض • ترويض النمرة • فن الحب • الجريمة والعقاب

وتطلب من ادارة كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ما عدا الاعداد الستة الاولى والعدد العشرين فقد نفدت ، وما عدا الاعداد الممتازة ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ و٢٨ ، ٢٩ ، ويزيد ثمن كل منها قرشين .. وترسل القيمة باسم صاحب المجلة شخصيا باذن بريد عادى (فى مصر والسودان) ، وفى الخارج بشيك على بنك (ولا تقبل العملة الاجنبية ولا أذونات البريد الخارجية) .. أو تدفع القيمة الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات (بيروت : طريق الملكى المتفرع من شارع بيكو .. وفى بغداد : بشارع السنك)

الاشتراكات فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة .. وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بشيك على أحد البنوك ، وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) - أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله السابق بيانها

الاعداد السابقة من « مطبوعات كتابى »

قصة مدينتين : (الثمن ١٠ قروش خالص رسم البريد المسجل)
ذات الثوب الابيض : (الثمن ١٢ قرشا خالص رسم البريد المسجل)
الخالدون : (الثمن ١٠ قروش خالص رسم البريد المسجل)

مقدمة المؤلف



سومرست موم

يقول سومرست موم فى مقدمته عن ظروف تاليف هذه القصة :

« أثناء دراستى فى مستشفى سانت توماس ـ وكنت فى العشرين من عمرى ـ رحلت فى عطلة عيد الفصح الى جنوا ، ومنها الى بيزا ، ثم فلورنسا ، حيث استأجرت غرفة فى نزل تملكه أرملة ، وكان لها بستان كروم فى تلال توسكانيكا . وانى لاذكر أن النبيذ الذى كانت تستخرجه منه كان أجود ماشربت فى ايطاليا .. **وكانت للارملة ابنة صارت تلقننى كل يوم درسا فى الايطالية .. ولا أحسبها كانت قد لقيت من دنياها عسرا ، فقد قتل خطيبها ـ وكان ضابطا ـ فى الحبشة ، فآلت على نفسها ان تعيش عذراء .. وكان من المفهوم أنها ستدخل الدير بعد موت أمها .. وكانت تتطلع الى ذلك فى ابتهاج ..**

وقرأت فى الاسابيع الستة ـ التى استغرقتها عطلتى فى ايطاليا ـ « جحيم دانتى » .. وبمعونة ارسيليا ـ ابنة صاحبة المسكن ـ شرعنا نقرأ « المطهر » ، حتى بلغنا الابيات التالية منه :

« قالت الروح الثالثة للثانية معقبة : « ألا اذكرنى اذا ما عدت الى الدنيا واسترحت من الرحلة الطويلة .. اذكرنى أنا « بيا » .. صنعتنى (سيينا) ودمرتنى (ماريما) ! »

.. وعندئذ انبأتنى الفتاة بأن « بيا » التى أشار اليها دانتى كانت سيدة من اهالى « سيينا » شك زوجها فى انها تخونه ، وخشى ان يقتلها لسطوة اسرتها ، فصحبها الى قلعته فى « ماريما » حيث قدر ان الابخرة الضارة التى تشيع فى جوها كفيلة بأن تقضى على زوجته .. ولكن الامد طال دون ان تموت ، حتى نفد صبره فأمر بالقائها من النافذة !

ولسبب ما علقت القصة بخيالى ، فظللت أقلبها فى ذهنى بين آن وآخر خلال السنين الطويلة ، وكنت فى كل مرة أعكف عليها يومين أو ثلاثة ، وأنا أردد : « صنعتنى سيينا ودمرتنى ماريما » .. على اننى لم اهتد الى طريقة لاخراجها الى حيز التنفيذ الا بعد ان قمت برحلة طويلة الى الصين ..

وأعتقد أن هذه القصة هى الوحيدة بين رواياتى ، التى أوحت الى بها قصة لا شخصية .. وقد اخترت شخصيات الرواية بحيث تلائم موضوع

القصة التى كنت أصوغها تدريجيا فى القالب المناسب .. وقد كونت هذه الشخصيات مستلهما أشخاصا عرفتهم طويلا فى ظروف مختلفة ..

ولقد لقيت عند وضع القصة بعض المتاعب .. ففى البداية ، اطلقت على البطل والبطلة اسم « لين » - بدلا من « فين » - وهو اسم عادى .. ولكن ظهر أن فى هونج كونج زوجين يحملان هذا الاسم ، فرفعا الامر للقضاء ، واضطر رئيس تحرير المجلة التى كانت تنشر حلقات الرواية الى أن يدفع لهما مائتين وخمسين جنيها كتعويض .. كما اضطررت انا الى تغيير اسم البطل الى « فين » ..

ولكن لم تكن تلك نهاية المتاعب ، فقد أحس مساعد الحاكم ان فى القصة ما يمسه ، فكاد يرفع دعواه الى القضاء ، الامر الذى ادهشنى ، لأننا اعتدنا فى انجلترا ان نظهر رئيس الوزراء على المسرح ، أو نتخذ منه شخصية فى قصة ، شأنه شأن أسقف كنتربورى ، أو قاضى القضاة ، فلا يحرك أحد من أصحاب هذه المناصب ساكنا !

كلمة لابد منها ..

◆ والآن ، ياعزيزى القارىء ، يسرنى أن أقدم لك فيما يلى الترجمة الكاملة لهذه القصة الطويلة من قصص سومرست موم ، التى بلغ من تقدير « الأكاديمية الفرنسية » لها أنها منحتها (تاج الجدارة) الذى لا يمنح الا للممتاز من الأعمال الادبية الرفيعة ..

ومرة أخرى ، أحب ان أطمئنك الى أن الترجمة التى أقدمها لك فيما يلى هى النص الحرفى الكامل للقصة ، دون اختصار سطر واحد منها .. واذا أدهشك أن تجد بعض فصول القصة لا يزيد عن الصفحة الواحدة ، فهكذا وضعها مؤلفها فى الاصل الانجليزى ، وليس ثمة اختصار فى الأمر كما قد يتبادر الى ذهنك ..

عطلة « كتابى »

◆ **ولما** كان المجهود المتواصل الذى بذلته فى اخراج « كتابى » طيلة التسعة والعشرين شهرا الماضية بغير انقطاع ، قد ارهقنى - جسمانيا ونفسيا - فوق ما يمكن ان تتصور ، بحيث أمسيت فى أشد الحاجة الى قسط من الراحة يعيننى على مواصلة المجهود الذى لا بد تلمسه .. فقد رأيت ان لا مفر لى من التخلف عن تقديم « كتابى » اليك هذا الشهر - سيما فى هذا القيظ الخانق - معوضا اياك عنه فى الوقت نفسه بهذا العدد من ربيبته « مطبوعات كتابى » الذى كنت أعتزم تقديمه اليك فى منتصف الشهر المنصرم ..

فالى اللقاء على صفحات « كتابى » كالمعتاد فى أول سبتمبر باذن الله والله ولى التوفيق

حلمى مراد

- ١ -

◆ **أطلقت** صيحة مرتاعة ، فسألها : « ماذا جرى ؟ »

ورغم الظلام الذى ساد الغرفة ، بسبب اغلاق المصاريع الخشبية لنوافذها ، فانه استطاع أن يرى وجهها وقد استبد به الذعر فجأة ٠٠ وقالت : « **لقد حاول شخص ما أن يفتح الباب !؟** »

- لعلها الوصيفة ٠٠ أو أحد الخدم ؟

- انهم قط لا يأتون فى مثل هذا الوقت ، فهم يعرفون اننى أنام بعد الظهر ٠٠

- اذن فمن يكون غيرهم ؟

فهمست وشفتاها ترتجفان : « وولتر ! »

وأشارت لصاحبها الى حذاءيه ، فحاول أن يلبسهما ، لكن انفعاله لم يمكنه ، اذ أصابه جزعها باضطراب ، فضلا عن أن الحذاءين كانا ضيقين ٠٠ فدفعت اليه بـ « اللبيسة » وهى ترسل زفرة خافتة تعبر عن نفاد الصبر ٠٠ وغيبت جسدها فى « روب » ثم سارت حافية القدمين الى مائدة الزينة ٠٠ كان شعرها قد تهدل ، فأصلحت من وضعه بمشط قبل أن يفرغ هو من عقد رباط حذائه ، ثم ناولته سترته ٠٠ فقال :

- كيف أخرج ؟

- يحسن أن تتريث ريثما أطل وأطمئن

- ما أظنه « وولتر » على أى حال ، فهو لا يبرح المعمل قبل الخامسة ٠٠

- اذن فمن يكون ؟

وكانا يتحدثان فى همس ٠٠ وأوحى اليه جزعها بأنها قمينه بأن تفقد جلدها فى الطوارىء ، فأحس بحنق طارىء يتولاه

نحوها ٠٠ لم أنبأته ـ بحق الشيطان ـ بأن الجو آمن ، اذا لم يكن كذلك ؟

وأمسكت بأنفاسها ، وألقت براحتها على ذراعه ، فتتبع نظرتها ٠٠ كانا يقفان فى مواجهة الابواب المؤدية الى الشرفة ، وقد أغلقت مصاريعها وأحكم رتاجها ٠٠ ورأيا الاكرة الخزفيـــة البيضاء تتحرك فى بطء ٠٠ ولم يكونا قد سمعا أحدا يسير فى الشرفة ، فكان من المرعب أن يشهدا هذه الحركة الصامتة!

ومرت دقيقة ولما يسمعا صوتا ٠٠ ثم ٠٠ وبنفس الطريقـة المسترقة ، الصامتة ، المثيرة للفزع ، رأيا الاكرة الخزفيـــة البيضاء للباب الثانى تتحرك ، وكأنما مستها قوة خفية غير طبيعية !٠٠ وكان الامر باعثا للذعر ، حتى أن أعصاب «كيتى» تداعت ، ففتحت فاها تهم بأن تصرخ ، لولا أنه رأى ما كانت موشكة عليه ، فوضع يده على فمها فى سرعة وخفة ، خنقتـا صرختها بين أصابعه ٠٠

وساد الصمت ٠٠ واستندت اليه وركبتاها ترتجفـــان ، فخشى أن تفقد رشدها ٠٠ وحملها ـ وهو عابس يصر عـلى أسنانه ـ الى فراشها فأجلسها عليه ٠٠ وكان وجهها فى شحوب الموتى ٠٠ وعلى الرغم من سمرته هو ، فان الشحوب تبدى على وجنتيه هو الآخر ٠٠ ووقف الى جـــوارها ينظر الى الاكرة الخزفية كالمسلوب ٠٠ وقد لاذ كلاهما بالصمت ٠٠ ثم تبين أنها كانت تبكى ، فهمس فى انفعال :

ـ لا تبكى بالله ٠٠ اذا لم يكن ثمة بد ، فلنواجه الامر ٠٠ ولنتذرع برباطة الجأش ٠٠

وتلفتت حولها كمن تبحث عن شىء ، فأدرك أنهـــا تبغى منديلها ، وناولها حقيبتها ٠٠

وسألته : « أين قبعتك ؟ »

ـ تركتها فى الطابق الاسفل

ـ أواه ٠٠ يا الهى !



ـ هلا تمالكت نفسك ٠٠
من المؤكد أنه لم يكن «وولتر» ،
فما الذى يدعوه الى العودة فى
مثل هذه الساعة ؟ ٠٠ أحسبه
لايأتى قط الى البيت فى منتصف
النهار ٠٠ أم ترينه يفعل ؟

ـ **أبدا ٠٠**

ـ أراهنك بأى شىء يحلو لك
ان الخادم هى التى حركت
الاكرة ٠٠

فجاهدت لترسم شبح
ابتسامة على شفتيها ، وقد بعث

فوضع يده على فمها فى سرعة وخفة ، خنقتنا صرختها بين أصابعه ٠٠

صوته الحنون المفعم بالاحاسيس ، الطمأنينة الى نفسها ٠٠ وأمسكت يده وأخذت تضغطها فى وجد ، فتركها لحظة كى تسترد جأشها ، ثم قال : « اسمعى ٠٠ اننا لا نستطيع البقاء هنا الى الابد ٠٠ هل تحسين بالشجاعة الكافية لأن تخرجى الى الشرفة وتلقى نظرة ؟ »

– ما أرانى أقوى على الوقوف ٠٠

– هل لديك هنا أى نوع من الخمر ؟

فهزت رأسها بالنفى ٠٠ وغام على وجهه العبوس لحظة وقد أخذ صبره ينفد ، اذ لم يكن يدرى ما ينبغى له أن يفعل ٠٠ وفجأة ، اشتدت قبضتها على يده وتساءلت : « هب انه ينتظر هناك ؟ »

فاغتصب ابتسامة ، ورد الى صوته نبرته الرقيقة المشجعة التى كان موقنا من مفعولها ، وقال :

– ليس هذا بالمحتمل ٠٠ تشجعى قليلا يا كيتى ٠٠ كيف يحتمل أن يكون زوجك ؟٠٠ لو أنه جاء ورأى قبعة غريبة فى الردهة ، وصعد السلم فوجد غرفتك مغلقة ، لأحدث شيئا من الضجة بالتأكيد ٠٠ لا بد أنه كان أحد الخدم ٠٠ فليس يتقن تحريك الاكرة بهذه الطريقة سوى الصينيين ٠٠

واستردت طمأنينتها ، وقالت : « ليس الموقف مستحبا على أى حال ، حتى لو كانت صاحبة الحركة هى الوصيفة ٠٠ »

– من الممكن تأنيبها ، ولو دعت الضرورة ففى وسعى أن أرهبها ٠٠ فمع أن منصبى الحكومى لا يكفل كثيرا من الميزات ، الا أنه على كل حال يمكننى من أن أستغله قدر الامكان ٠٠

ورأت انه ولا بد على حق ، فنهضت ، والتفتت نحوه باسطة ذراعيها ، **فتناولها فى أحضانه وطبع على شفتيها قبلة ، أحست لها لذة قوية الى درجة الايلام – فلقد كانت تعبده ! – ثم أفلتها من ذراعيه فذهبت الى باب الشرفة ورفعت المزلاج ثم فتحت المصراعين الخشبيين وأطلت ٠٠؟٠٠ ولكن ، لم يكن ثمـــة**

مخلوق ٠٠ فانسابت الى الشرفة وأطلت داخل غرفة زوجها ، ثم داخل غرفة الجلوس الملحقة بمخدعها ، فاذا الغرفتان خاليتان ٠٠ وعادت الى المخدع فأشارت له قائلة : « لا أحد هناك ! »

ـ أعتقد أن الامر كله كان نوعا من خداع البصر ٠٠

ـ لا تضحك ، فقد ذعرت مثلى ٠٠ اذهب الى غرفة الجلوس وانتظرنى ، ريثما أرتدى جوربى وحذائى ٠٠

ـ ٢ ـ

◆ **وفعل** ما سألته ، ولم تنقض خمس دقائق حتى لحقت به ٠٠ وكان يدخن سيجارة ، فسألها : « نبئينى ٠٠ هل أستطيع أن أحظى بشىء من البراندى والصودا ؟ »

ـ أجل ، سأدق الجرس ٠٠

وارتقبا فى صمت ريثما لبى الخادم فأصدرت اليه الامر ، ثم قالت لصاحبها : « اتصل تليفونيا بالمعمل واسأل عما اذا كان وولتر هناك ٠٠ فانهم لا يعرفون صوتك ! »

ورفع « السماعة » فطلب الرقم وسأل عما اذا كان الدكتور « فين » هناك ، ثم رد السماعة وقال لها : « لم يكن هناك منذ الظهيرة ٠٠ سلى الخادم عما اذا كان قد حضر الى هنا »

ـ يخيل الى اننى سوف أبدو فى وضع غريب لو أنه كان هنا ولم أره ٠٠

وأحضر الخادم الشراب ، فتولى « تاونسند » صبه فى الكأسين ، وقدم لها احداهما فهزت رأسها ، وتساءلت : « وماذا يكون العمل لو أنه كان وولتر ؟ »

ـ لعله لا يحفل بالامر ٠٠

فهتفت منكرة : « وولتر ؟ »

ـ لقد خطر لى دائما أنه خجول ٠٠ وانك لتعرفين أن من الرجال من لايقوون على احتمال مثل هذه المواقف ، وان له

من الادراك ما يمكنه من أن يعرف انه لن يجنى شيئا من اثارة فضيحة ٠٠ لا أصدق دقيقة واحدة انه كان وولتر ، وحتى لو انه كان ، فاعتقادى انه لن يفعل شـــيئا ، وما أرى الا أنه سيتجاهل الامر ٠٠

ففكرت لحظة وقالت : « انه مدنف فى هواى »

ـ وهذا خير وأفضل ، فلن تلبثى أن تؤثرى عليه !

وأولاها تلك الابتسامة الساحرة التى اعتادها ، والتى وجدت دائما أن ليس فى وسعها أن تقاومها ٠٠ ابتسامة بطيئة كانت تبدأ في عينيه الزرقاوين الصافيتين ، ثم تنتشر رويدا وبدرجات ملحوظة الى فمه الجميل ، حيث تكشف عن أسنانه البيضـــاء المنسقة ٠٠ كانت ابتسامة فاتنة تذيب قلبها ٠٠

وقالت فى فورة من الغبطة : « لست أحفل كثيرا ، فقد كانت المغامرة تستحق ٠٠ »

ـ كان الذنب ذنبى ٠٠

ـ لماذا جئت ؟٠٠ لقد دهشت اذ رأيتك

ـ لم أستطع أن أقاوم ٠٠

ـ يا لك من غال حبيب !

ومالت نحوه قليلا وعيناها اللامعتان السوداوان تحدقان فى عينيه فى وجد ، وقد انفرجت شفتاها قليلا فى اشتهـــاء ، فأحاطها بذراعيه ٠٠ وأسلمت نفسها الى حماهما وهى تتنهد فى نشوة ٠٠ فقال :

ـ انك لتعلمين أن بوسعك أن تركنى الى دائما

ـ اننى جد سعيدة بك ٠٠ وبودى لو أستطيع أن أسعدك كما تسعدنى ٠٠

ـ ألم تعودى خائفة ؟

فأجابت : « اننى أكره وولتر »

ولم يدر بم يعلق على هذا ، فقبلها ٠٠ وأحس بوجهها ناعما وهو يلتصق بوجهه ٠٠ وأمسك برسغها الذى كان محوطـــا

بساعة ذهبية صغيرة ، فقرأ الوقت ٠٠ ثم قال : « أتدرين ما الذى يجب أن أفعله الآن ؟ »

قالت مبتسمة : « أتنسحب ؟ »

واذ هز رأسه بالايجاب ، ازدادت تشبثا به لحظة ، لكنها أحست برغبته فى الانصراف ، فأطلقته قائلة : « ان الطريقة التى تهمل بها عملك معيبة ٠٠ هيا فانصرف ! »

ولم يكن يقوى على اغراء الغزل ، فقال فى مداعبة : « كأنى بك تتعجلين الخلاص منى »

ـ انك لتعلم اننى أكره أن أدعك تنصرف ٠٠

وكان جوابها خافتا ، عميقا ، جادا ، فأطلق ضحكة مغرية ، وقال : « لا تتعبى رأسك الجميل الصغير بالتفكير فى زائرنا الغامض ، فانى واثق من أنه كان الخادم ٠٠ ولو حدثت أية متاعب فانى كفيل بانتشالك منها ! »

ـ أو لديك خبرة واسعة ؟

وابتسم فى عجب ولطف وقال : « لا ، ولكننى أعترف لنفسى بأننى أوتيت رأسا يعرف كيف يفكر »

- ٣ -

◆ **خرجت** الى الشرفة ترقبه وهو يبرح الدار ٠٠ ولوح بيده لها ٠٠ كان النظر اليه يبعث فى نفسها متعة جارفة ٠٠ فبرغم أنه كان فى الحادية والاربعين ، فقد أوتى قواما رشيقا ، وخطوة متوثبة كالصبى !

وكانت الشرفة ظليلة ، فتباطأت متكاسلة وقد غمر قلبها الحب ٠٠ كان البيت يقوم فى « الوادى السعيد » على سفح التل ، اذ لم تكن وزوجها يملكان ما يمكنهما من سكنى الحى الراقى القائم فوق ذروة التل ، لارتفاع نفقات الاقامة فيه ٠٠ ولم يكد بصرها الشارد يطوف بالبحر الازرق ، وبحركة السفن

التى كانت الميناء تعج بها ٠٠ حتى عادت من جديد تفكر فى حبيبها ٠٠ كان من الغباء حقا أن يتصرفا كما فعــلا فى ذلك الاصيل ، ولكن ٠٠ أنى لها الحكمة والحجى اذا كان حبيبها ينشدها ؟٠٠ لقد جاء مرتين أو ثلاثا فى فترة ما بعد الظهر ، حين لا يفكر أحد فى أن يتحرك لفرط القيظ ، ومن ثم لم يره أحد ـ حتى الخدم ـ فى غدوه أو رواحه ٠٠ وفيما عدا هذه المرات كان التقاؤهما فى (هونج كونج) عسيرا للغاية ٠٠ كانت تكره المدينة الصينية ، ويتولاها الانفعال اذا ما ذهبت الى ذلك المنزل الصغير القذر القائم فى طريق فيكتوريا ، حيث اعتادا أن يلتقيا من قبل ٠٠ وكان المنزل ملكا لأحد تجار التحف والعاديات ، فكان الصينيون الذين يجلسون حـوله يتطلعون اليها بنظرات لا ترتاح اليهــا نفسها ، كما كانت تمقت تلك الابتسامة المتملقة التى كانت ترتسم على وجه صاحب المحــل المسن وهو يقودها الى مؤخرة المتجر ، فالى درجات سلم مظلم٠٠ ثم يصعد بها الى غرفة مشعثة ، كان السرير الخشبى الكبير القائم فيها لصق الحائط يبعث القشعريرة فى جسدها !

وقد قالت لتشارلى فى أول مرة قابلته فيها هناك : « هذا مكان حقير الى درجة تثير الاشمئزاز ٠٠ أليس كذلك ؟ » ٠٠ فأجابها : « لقد كان كذلك حتى أتيت أنت اليه »

ومن الطبيعى أنها نسيت كل شىء فى اللحظة التى احتضنها فيها بين ذراعيه !

أواه !٠٠ ما كان أبغض موقفيهما !٠٠ فهى ليست حرة ٠٠ بل انه هو بدوره لم يكن حرا٠٠ ولم تكن زوجته تروق فى عينيها! ٠٠ واستقرت أفكارها لحظة على تلك الزوجــة ، « دوروثى تاونسند » ٠٠ ما كان أتعس أن تسمى « دوروثى » !٠٠ كان اسما ينم عن سن حاملته ، ولقد كانت فى الثامنة والثلاثين على الاقل ، بيد أن تشارلى لم يتحدث قط عنها ٠٠ لا بد أنه

لم يكن يحفل بها ، وانها كانت تثير فى نفسه البرم والملل ٠٠ لكنه كان رجلا مهذبا ٠٠ وابتسمت كيتى فى وجد وسخرية ٠٠ هكذا كان !٠٠ قد يخون زوجته ، ولكنه قط لا يسمح لكلمة تشينها أن تنفذ من بين شفتيه ٠٠ ولقد كانت « دوروثى » تعد بين طويلات القامة ٠ كانت أطول من كيتى ٠٠ لا بالسمينة ولا بالنحيلة ٠٠ ذات شعر بنى فاتح ٠ ولم يكن لها من الملاحة سوى ما يضفيه الشباب ٠ كانت قسماتها مقبولة ، لكنهـا ليست بالتى تستلفت النظر ٠٠ وكانت عينـاها الزرقاوان باردتين ٠٠ كما كانت لها بشرة لا تستطيع أن تنظر اليها مرتين لفرط بياضها ، ووجنتان لا حمرة فيهما ٠٠ أما أناقتها فكانت تليق بمركزها « كزوجة لمساعد مندوب وزارة المسـتعمرات – أى الحاكم – فى هونج كونج ! »

وابتسمت كيتى وهى تهز كتفيها فى حركة خفيفة ٠٠ ان أحدا لا يمكن أن ينكر بطبيعة الحال أن لدوروثى تاونسـند صوتا يبعث البهجة فى النفس ٠ وكان تشارلى يقول عنها دائما انها أم رائعة ٠٠ كانت من ذلك الصنف الذى اعتادت أم كيتى أن تصفه بـ « المرأة المهذبة » ٠٠ **ومع ذلك فان كيتى لم تشعر بميل نحوها ٠ لم تحب سلوكها المصطنع ، اذ كان الادب الذى تعاملك به اذا زرتها لتناول الشاى أو العشاء ، من النوع الذى تضيق به ، لانه لا يجعلك فى ريب من قلة ما توليك من اهتمام! ٠٠ والواقع ، كما خيل لكيتى ، انها لم تكن تحفل بشىء عدا أولادها** – الذين كان اثنان منهما يدرسان فى انجلترا ، بينما كان الثالث ما يزال فى السادسة من عمـره ، وكانت تزمع اصطحابه الى انجلترا فى العام التالى – ثم ان وجهها كان قناعا لا يشف عما فى نفسها ٠ كانت تبتسم وتتحدث بأدبها المعهود عن كل ما يرتقب منها أن تتناوله بالحديث ، لكنها برغم كل حفاوتها كانت تبقيك بمنأى عنها ، فلا تكاد تطمئن الى حظوة

لديها ٠٠ ومن ثم لم يكن لها فى المستعمرة من صديقات حميمات غير قلة كن يعجبن بها الاعجاب كله !

وكانت كيتى لا تفتأ تسائل نفسها عما اذا كانت مسز تاونسند قد اعتبرتها من طبقة لم ترق بعد الى طبقتها ؟٠٠ وتضرج وجه كيتى ٠ لم يكن ثمة داع – على أية حال – لأن تدعى ما ليس لها ٠٠ صحيح ان والد دوروثى كان حاكما لاحدى المستعمرات ، وكان هذا يضفى عليه العظمة طيلة مدة بقائه فى المنصب ، بحيث كان الجميع ينهضون واقفين اجلالا له اذا دخل قاعة ما ، والرجال يرفعون قبعاتهم تحية له اذا مر بهم فى سيارته ٠٠ ولكن ، ما أتفه مقام حكام المستعمرات اذا ما أحيلوا الى المعاش !٠٠ ومن ثم فقد عاش والد مسز تاونسند بعد احالته الى المعاش فى دار صغيرة بجهة (ايرلز كورت) ٠٠ ولعل والدة كيتى كانت لتجد غضاضة فى أن تذهب لزيارته ، لو سألتها ابنتها أن تفعل ٠٠ سيما وقد كان زوجها « برنارد جارستن » – والد كيتى – من حملة وسام الحمام بدرجة « كومودور » ، ولم يكن ثمة ما يحول دون أن يعين يوما قاضيا ٠٠ ثم ان الاسرة كانت تعيش فى حى « ساوث كنسنجتون » الراقى ، على أية حال !

– ٤ –

◆ **ولقد** كان قاسيا على نفس كيتى حين وفدت على هونج كونج عقب زواجها ، أن تجد نفسها مضطرة الى أن ترتضى الواقع الذى تمثل فى أن مكانتها الاجتماعية كانت مرتبطة بمنصب زوجها ٠٠ صحيح ان كل فرد كان يبدى لهما عطفا كريما ، وانهما قضيا شهرين أو ثلاثة وهما يحضران الحفلات فى كل ليلة تقريبا ، وعندما دعيا الى العشاء فى دار الحكومة، آثرها الحاكم برعايته بوصفها عروسا ٠٠ **لكنها سرعان ما أدركت أنها – كزوجة لبكتريولوجي الحكومة – ليست ذات**

مكانة ممتازة ٠٠ الامر الذى أثار حنقها ، فقالت لزوجها : « هذا اسفاف فى السخف !٠٠ لا يكاد يكون بين القوم هنا من يستحق أن يعنى المرء به خمس دقائق لو اننا كنا فى وطننا ٠٠ وما كانت أمى لتفكر فى أن تدعو أيا منهم للعشاء فى دارنا »
٠٠ فأجابها زوجها بقوله : « لا تهتمى بذلك ، فهى مسألة لا قيمة لها كما تعرفين ٠٠ »

ـ حقا انها مسألة تافهة ، ولا تنم الا عن مدى غبائهم ٠٠ ولكن من السخرية حقا أن نعامل هنا كما لو كنا من الاوشاب، لا سيما اذا فكرت فى مكانة أولئك الذين اعتادوا أن يترددوا على دارنا فى الوطن ٠٠

فقال مبتسما : « ليس لرجل العلم وجود ، من وجهة النظر الاجتماعية »

ولقد أدركت ذلك الآن ، لكنها لم تكن تدركه حين تزوجت منه ٠٠ فقالت وهى تضحك لكى لا يبدو فيما قالته شىء من الادعاء والغرور : « ما أرانى أسر على أية حال لو دعانى وكيل احدى الشركات هنا الى تناول العشاء »

ولعل الزوج أحس بالحسرة الكامنة خلف ما تظاهرت به كيتى من عدم اكتراث ، فقد تناول يدها فضغطها فى خجل وقال : « لشد ما أنا آسف يا عزيزتى كيتى ، ولكن ٠٠ لا تدعى هذا يعكر عليك صفوك »

ـ بالطبع ٠٠ لن أدعه !

ـ ٥ ـ

لا ٠٠ لم يكن من المعقول أن يكون « وولتر » هو الذى حرك مقابض الابواب بعد ظهر ذلك اليوم ٠٠ لا بد انه كان أحد الخدم ، وما كانت ثمة قيمة لذلك ، فان الخدم الصينيين يعرفون كل شىء عن علاقتها بتشارلى على كل حال ، ولكنهم يمسكون ألسنتهم !

وازدادت خفقات قلبها اسراعا اذ تذكرت كيف كانت الاكرة الخزفية البيضاء تتحرك على مهل ٠٠ لا ينبغى لهما أن يقدما مرة أخرى على هذه المخاطرة ٠٠ كان الذهاب الى متجر التحف خيرا وأفضل ، فما كان ليساور أى شخص يراها تدخل ذلك المتجر أى هاجس ، كما أنهما كانا هناك بمأمن تام ، اذ كان صاحب المتجر يعرف تشارلى ومركزه ، ولم يكن من الحمق بحيث يؤلب على نفسه مساعد الحاكم ٠٠ ثم ، ما الذى كان يهمها ، اللهم الا أن تشارلى كان يحبها !

وتحولت عن الشرفة عائدة الى غرفة الجلوس ، فألقت بنفسها على الاريكة ، ومدت يدها لتتناول سيجارة ، فلمحت وريقة على أحد الكتب ٠٠ وبسطتها فاذا هى مكتوبة بالقلم الرصـــاص بخط احدى صديقاتها :



« عزيزتى كيتى: هاك الكتاب الذى كنت تريدين. كنت على وشك ارســاله حين قابلت الدكتور فين فقال انه سيحمله اليك بنفســه اذ كان مارا بالمنزل ـ ف.ه »

ودقت الجرس ٠ فلما وافاها الخادم سألته عمن أحضر الكتــاب ، ومتى ، فأجاب : « أحضره السيد يا سيدتى ، بعد الظهر »

اذن ، كان « وولتر » هو الذى حـــرك مقبضى البابين !٠٠ واتصـــلت تليفونيا لفورهـــا بمكتب الحاكم وسألت عـــن تشارلى ، ثم أفضت اليه

بما علمت ٠٠ وسادت فترة صمت قبل أن يجيب ٠٠ فسـاءلته : « ماذا أفعل ؟ »

ـ اننى الآن فى اجتماع هام ، وأخشى أن لا أستطيع الحديث معك الآن ٠٠ ونصيحتى اليك أن تثبتى وتتجلدى ٠٠

وأعادت السماعة الى مكانها ، وقد أدركت انه لم يكن وحيدا، مما أثارها ضد عمله ٠٠ فجلست وأسندت رأسها الى يديها وأخذت تمعن التفكير فى الموقف : كان من الطبيعي أن لا يكون « وولتر » قد ظن شيئا اللهم الا أنهـا كانت نائمة ، وفى هذه الحالة كان منطقيـا أن توصـد باب مخدعها أثناء نومها ٠٠ وحاولت أن تتذكر هل كانت و « تشارلى » يتكلمان حين تحركت الاكرة ؟٠٠ كان من المؤكد انهما لم يتكلما بصوت مرتفع ٠٠ ولكن ، كانت القبعة هناك ٠٠ وفى الواقع كان من الجنون أن يتركها « تشارلى » فى ردهة الطابق الاسفل ٠٠ غير أنه لم تك ثمة جدوى من لومه على ذلك ، اذ كان هذا التصرف منه طبيعيا ٠٠ ولم يكن هناك ما يوحى بأن « وولتر » قد لاحظها ، فمن المحتمل انه كان فى عجلة فترك الكتاب والرسالة عليه ، وهو فى طريقه الى موعـد يرتبط بعمله ٠٠ ولكن الغريب فى الامر فى هذه الحالة أن يكون قد حاول فتح باب المخدع ، ثم بابى الشرفة ٠٠ وان يكن أغلب الظن أنه اذ فعل ، ولم تفتح الباب ، ظنها نائمة فلم يشأ ازعاجها ٠٠ فعلام اذن كل هذه الهواجس الحمقاء !

وهزت نفسها لتفيق من هواجسها ٠٠ ومرة أخرى عاودها ذلك الالم المستعذب الذى أحسته فى فؤادها حين فكرت فى « تشارلى » ٠٠ كانت متعة اللقاء تستحق المخاطرة !٠٠ ولقد قال انه سيقف الى جوارها لو أن الامور تطورت الى أسوأ درجاتها ٠٠ اذن ، فليثر « وولتر » ضجة ان شاء ، فماذا يهمها مادام تشارلى معها ؟ ٠ ٠ بل لعـل من الخير لوولتر أن يعرف ، فما اكترثت يوما به ٠٠ وقد كان يسئمهـا ويمضها ـ مذ

أحبت تشارلى تاونسند ـ أن تنصاع لعناق زوجها ! ٠٠ كانت ترجو أن تنقطع الصـلات بينها وبينه ٠٠ ولم تكن تخشى أن يثبت عليهـا أية خيانة ، فما كانت ترى له أى سبيل الى ذلك ٠ ولو حدث أنه اتهمها لكان فى وسعها أن تنكر ٠٠ واذا بلغ السيل الزبى ، ولم يعد فى وسعها المضى فى الانكار ، فانها لن تتورع عن أن تلقى بالحقيقة فى وجهه ، وليفعل ما يحلو له !

- ٦ -

◆ **لم** تكن قد انقضت شهور ثلاثة على زواج كيتى ، حين تبينت أنها أخطأت ٠٠ ولكنها كانت غلطة أمهـا أكثر مما هى غلطتها ٠٠

وكانت فى الغرفة صورة لأمها ، فوقعت نظرات كيتى المفعمة بالضيق عليها ٠٠ لم تكن تدرى لم احتفظت بها ، فهى لم تكن مشغوفة بأمها ٠٠ وكانت فى المنزل صورة لأبيها أيضا ، ولكن هذه كانت فوق المعزف فى الطابق الاسفل ، وكانت قد التقطت له حين عين فى المجلس الاستشارى للملك ، فكانت تمثله وهو بالشعر المستعار والعباءة ٠٠ ولكن هذين لم يفلحا فى اضفاء المهابة عليه ، فقد كان ضئيل الجسـم ، ذا عينين كليلتين ، وشفة عليا طويلة ، وفم رفيع ، ولعل المصور كان طيبا فسأله أن يبدو بشوشا ، لكنه لم يفلح الا فى أن يبدو صارم الطلعة ٠٠ وقد كان ذلك هو السبب الذى جعل « مسز جارستين » تختار هذه الصورة من بين « البروفات » العديدة ، ظنا منها أنها تبديه فى هيئة القضاة ، اذ كان ركنا فمـه ملتويين فى العادة الى أسفل ، وعيناه كئيبتين ، مما كان يضفى عليه وجوما وقورا ! ٠٠ أما صورتها هى ، فكانت تظهرها فى الثوب الذى حضرت فيه حفلة الاستقبال فى البلاط الملكى حين نصب زوجها مستشارا للملك ٠٠ وكانت تبدو ضخمة فى الثوب المخملى ،

وقد نسق ذيله الطويل ليزيد من رواء مظهرها ، بينما ثبتت بعض الريش فى شعرها ، وأمسكت بزهـــور فى يدها ٠٠ وكانت الام امرأة فى الخمسين ، معتدلة القامة ، ذات صـــدر منبسط ، ووجنتين برزت عظامهما ، وأنف كبير معتدل ٠٠ وكان لها شعر أسود كثيف مفرط النعومة ، طالما ارتابت كيتى فى أن يد الصانع عملت على تجميله ، ما لم يكن مصبوغا ٠٠ وكانت أبرز مافيها عينان بديعتا السواد ، لاتستقران قط ، اذ كان يأخذك وأنت تتحدث اليها أن ترى تلكما العينين لا تهدآن وسط وجهها الشاحب ، بل تتنقل نظراتهما من جزء منك الى آخر ، ثم تنتقل الى الاشخاص الآخرين فى الغرفة ، ولا تلبث أن ترتد اليك ، فتشعر بأنها تنتقدك ، وتسبر غورك ، وهى فى الوقت ذاته ترقب كل ما يجرى حولها ٠٠ كمـــا تشعر بأن لا علاقة لفكرها بالكلمات التى تقولها ٠٠!

- ٧ -

◆ **كانت** مسز جارستين امرأة صعبة المراس ، متسلطة ، طموحا ، شحيحة ، غبية ٠٠ كانت احدى بنـــات خمس رزق بهن محام فى ليفربول ٠٠ وقد التقى بها « برنارد جارستين » حين كان عضوا فى الدائرة القضائية الشمالية ، وكان اذ ذاك يبدو شابا ذا مستقبل ، قال عنه أبوها انه لن يلبث أن يرقى سلم التقدم ٠٠ ولكنه لم يرق ٠٠ كان مجدا ، عاملا ، قديرا ، لكنه لم يؤت الارادة التى تمكنه من أن يتقدم ٠٠ فكانت مسز جارستين تزدريه ، **بيد أنها كانت تدرك ـ فى مرارة ـ أن لا سبيل لها الى النجاح الا عن طريقه ، فوطدت العزم على أن تدفعه الى حيث كانت تريد أن تصل ، وراحت تضايقه فى غير ما رحمة ، اذ اكتشفت أنها اذا أرادت منه أن يفعل شـــيئا تستنكفه احساساته ، فليس عليها سوى أن توسعه مضايقة ، فلا يلبث اذا ما أرهق أن يستسلم لارادتها ٠٠ وشرعت من**

ناحيتها تتقرب الى من يكون لهم نفع من الناس ، فتتملق الوكلاء القانونيين ليحيلوا قضاياهم على زوجها ، وتتقرب الى زوجاتهم ... وتلين جانبها للقضاة ونسائهم ... وتبـدى الاكبار للسياسيين الذين يرتقب لهم مستقبل ... الخ

وهكذا، خلال خمس وعشرين سنة، لم تدع مسز جارستين أحدا لتناول العشاء فى دارها، عن مودة أو محبة خالصة.. كانت تقيم ولائم عشاء كبيرة فى فترات منتظمة ، ولكن الشح كان لا يقل عن الطموح فى أخلاقها .. كانت تكره انفاق المال .. وكانت تزهو بأنها تستطيع أن تظهر كخير ما تظهر أية سيدة أخرى ، بنصف النفقات اللازمة !.. وكانت مآدبها حافلة ، متقنـــة الاعداد ، ولكن الاقتصاد كان يشيع فيها .. فما كانت لتصدق أن الناس يفطنون الى أى نوع من الشراب هم يشربون أثنـاء انصرافهم الى الاكل أو الحديث .. وكانت تلف زجاجة الشراب المتوسط الجودة فى فوطة وهى معتقدة أن الضيوف سيأخذونها على انها « شامبانيا » !

وكان زوجها « برنارد جارستين » على قدر لابأس به من المعرفة ، ولكنه لم يؤت تجربة أو خبرة واسعة ، فلم يلبث الرجال الذين كانوا متخلفين عنه ، أن سبقوه !.. ولقد دفعته مسز جارستين الى أن يرشح نفسه للبرلمان ، وتحمل الحزب نفقات الحملة الانتخابية ، غير أن تقتيرها عرقل طموحها فى هذا الميدان أيضا ، لأنها لم تقو على أن تقنع نفسهـا بانفاق ما يكفى لكسب الدائرة .. وكانت التبرعات التى قدمت باسم برنارد جارستين للهيئات التى لا حصر لها ، والتى يرتقب من المرشح أن يتبرع لها ، أقل مما ينبغى بنسبة بسيطة ، ومن ثم فقد هزم .. وتقبلت مسز جارستين الخيبة بجلد ، وان كانت قد تمنت لو أنها أصبحت زوجة عضو برلمانى .. **على أن ترشيح زوجها قد عرفها بعدد من الاشخاص المبرزين ، فأقبلت عـلى كسب ودهم وضمهم الى مدعويها فى المآدب !.. كانت تعرف**

أن برنارد ما كان ليبرز فى مجلس النواب ، وانما أرادته أن يسجل لنفسه على حزبه فضلا يستطيع أن يدعيه لنفسه ، ليستغله فيما بعد للوصول الى الوسام الذى كانت تحلم به ..
بيد أنها لقيت فى هذا الصدد عنادا من زوجها لم يكن لها به عهد منذ سنوات ، فقد كان يخشى أن يقل عدد أصحاب القضايا الذين ينشدون مشورته ، اذا ما حاز وسام الحمام وصار مستشارا فى المجلس الملكى الخاص ، وراح يقول لها ان عصفورا فى اليد خير من اثنين على الشجرة ، فكانت تجيبه بأن الحكم والامثال آخر ما يلجأ اليه ذوو العقل الناضج !.. وأوحى اليها بأن دخله قد يهبط بعد الوسام الى النصف ـ وهو يدرك أن لا شىء يقنعها قدر الحديث عن نقص الدخل ـ ولكنها لم تشأ أن تصغى لحجته ، ووصفته بأنه هياب متقاعس ، وراحت تنغص عيشه .. حتى انصاع لها فى النهاية كعادته ، وسعى الى الوسام حتى ناله !

وصدقت مخاوفه ، فانه لم يتقدم خطوة نحو الزعامة السياسية ، كما أن قضاياه قلت عددا ، بيد أنه كان يخفى كل استياء يساوره ، وكان اذا أنحى باللائمة على زوجته ، لامها فى نفسه دون أن يجرؤ على الجهر .. ولعله ازداد جنوحا الى الصمت ، ولما كان صامتا فى بيته بطبعه ، فان أحدا فى الاسرة لم يلحظ أى تغيير عليه ..

وكانت ابنتاه لا تنظران اليه الا كمصدر للدخل !.. كان يبدو لهما أن من الطبيعى أن يشقى ويكدح ليوفر لهما المأوى ، والكساء ، والنزهات فى العطلات ، والمال اللازم لمطالبهما .. فلما خيل اليهما أن الذنب كان ذنبه فى انخفاض دخله ، خالط عدم اكتراثهما له شىء من السخط .. وما خطر لهما أن تساءلا نفسيهما عن مشاعر الرجل الضئيل الجسم ، المغلوب على أمره ، الذى كان يغادر داره مبكرا فى الصباح ، ولا يعود فى المساء

الا قبيل العشاء ٠٠ فقد كان أشبه بالغريب عنهما ، ولكنهما كانتا مطمئنتين الى أن من واجبه أن يحبهما وأن يعنى بهما ، ما دام أبوهما !

- ٨ -

◆ **على** أن مسز جارستين أوتيت نوعا من الشجاعة كان فى حد ذاته يدعو الى الاعجاب ٠٠ فهى لم تدع فرصة لأحد من المتصلين بها عن قرب ـ والذين كانوا يؤلفون دنياها الخاصة ـ كى يستبين مدى أساها لخيبة آمالها ٠٠ ومن ثم لم تبدل شيئا من نهجها فى الحياة ، بل استطاعت بشىء من التـــدبير أن تواصل اقامة المآدب الفخمة التى كانت تقيمها من قبل ، ومضت تقابل أصدقاءها بنفس البشاشة التى راضت نفسها عليها منذ زمن ، وكان لديها رصيد من الثرثرة تحيله فى المجتمع الذى كانت تظهر فيه الى أحاديث !٠٠ وكانت ضيفا نافعا لدى أولئك الذين لا يسهل عليهم فتح أبواب الحديث ، فكانوا يعتمدون عليها فى المبادرة الى تبديد أى صمت واجم ، بابتكار ملاحظة مناسبة تعيد سير الحديث ٠٠

ولم يعد من المحتمل أن يعين برنارد جارستين بين قضاة المحكمة العليا ، بيد أن الامل بقى فى أن يعين قاضيا فى محكمة احدى المقاطعات ، أو ـ على أسوأ الاحتمالات ـ أن يعين فى أحد مناصب المستعمرات ٠ وارتاحت الزوجة ، ريثما يتحقق شىء من هذا ، الى أن تراه يعين « مسجلا » فى احدى مدن مقاطعة « ويلز » ٠٠ وفى أثناء ذلك حولت آمالها الى ابنتيها ، فقـــد داخلها الرجاء فى أن تستطيع ـ بتدبير زيجتين طيبتين لهما ـ أن تعوض ما أصاب جهودها بشأن زوجها من خيبة ٠٠ ولم تكن صغراهما « دوريس » قد أوتيت شيئا من الملاحة ، اذ كان أنفها مفرط الطول ، وشكلها ضخما غير متناسق ٠٠ لذلك لم تكن

مسز جارستين ترجو لها أكثر من أن تتزوج شابا عاديا يمارس مهنة مناسبة

أما الابنة الكبرى «كيتى» فكانت جميلة،وكانت منذ طفولتها توحى بأنها ستغدو كذلك ، اذ كانت لها عينان سوداوان واسعتان ، متألقتان أخاذتان ، وشعر مجعد ، بنى اللون مشوب بحمرة خفيفة ٠٠ وأسنان ناصعة ، وبشرة بديعة ٠٠ ولو أخذت ملامحها ، كل على حدة ، لما كان لها طابع ممتاز فى الحسن ، اذ كانت ذقنها عريضة ، كما كان أنفها ضخما ـ وان لم يكن فى طول أنف « دوريس » ـ وانما كان جمالها يستند الى شبابها ٠٠ وقد أدركت مسز جارستين أنها يجب أن تتزوج فى باكورة أنوثتها ، فما هى أن أصبحت فى طور الشباب حتى غدت خلابة ٠ كانت بشرتها لا تزال أعظم عناصر جمالها ، وأما عيناها ، بأهدابهما الطويلة ، فكانتا ذاتى وميض هادىء ، ونظرات دافئة ـ فى نفس الوقت ـ حتي ان قلبك ليخفق اذا ما تطلعت اليهما !٠٠ وقد أوتيت بشاشة ورغبة فى أن ترضى كل انسان ، فأضفت أمها مسز جارستين عليها كل حنانها ٠٠ وكان حنانا جافا ، متحفزا ، لا ينفك يحسب ويقدر ٠٠ وراحت تحلم برؤى قد نسجها الطموح ٠٠ ولم تقف عند حد الامل فى زيجة طيبة لابنتها ، بل طمعت فى زواج باهر !

ولقد نشأت كيتى وهى تدرك انها ستغدو امرأة جميلة ، كما أوحت اليها مطامع أمها التى تمشت مع رغباتها ٠٠ وما لبثت مسز جارستين أن دفعتها الى المجتمع ، ولم تدخر وسعا فى السعى لان تدعى الى الحفلات الراقصة حيث يحتمل أن تلتقى ابنتها بالرجال الذين يليقون بها ٠٠ وصادفت كيتى نجاحا ، فقد كانت لطيفة بقدر ما هى جميلة ، وسرعان ما اقتنصت عددا من الرجال الذين هاموا بها ، ولكن أحدا منهم لم يكن ليلائمها ، ومن ثم حرصت كيتى ـ فى لطف ومودة ـ على أن لا تتمادى فى علاقتها بأى منهم ٠٠ وأصبحت قاعة الاستقبال فى دار

الاسرة بجهة « ساوث كينسنجتون » تزخر فى الاصيل من أيام الآحاد ، بالشبان المتيمين ٠٠ بيد أن مسز جارستين لاحظت ـ فى ابتسامة راضية ـ أنها لم تكن فى حاجة الى أن تبــذل أى جهد لتبقيهم بمنأى عن كيتى ٠٠ **فقد كانت كيتى عـــلى استعداد لأن تلعب بهم ، وكان يحلو لها أن تضرب الواحـــد منهم بالآخر ، ولكنها كانت اذا ما عرضوا عليها الزواج ـ وما أحجم واحد منهم عن المحاولة ـ رفضت فى لباقة وحزم !**

ومر الفصل الاول لظهورها فى المجتمعات ، ولما يتقدم اليها الخطيب المثالى المرجو !٠٠ وتلاه الفصل الثانى ٠٠ ولكنهاكانت صغيرة وفى وسعها أن تنتظر ٠٠ وراحت مسز جارستين تقول لصديقاتها انها ترثى للفتاة التى تتزوج قبل الحادية والعشرين! ٠٠ بيد أن عاما ثالثا تقضى ، وأعقبه رابع ٠٠ وعاد اثنان أو ثلاثة من المعجبين القدماء يطلبون يدها ، غير أنهـــم كانوا لا يزالون معدمين ٠٠ وخطبها واحد أو اثنان كانا أصغر منها سنا ٠٠ كذلك تقدم اليها أحد الموظفين المدنيين الســابقين بحكومة الهند ، الا أنه كان فى الثالثة والخمسين من عمره ! ٠٠ وكانت كيتى لا تزال تتردد على حفلات الرقص ، والمسارح الراقية ، وميادين السباق ، غير مدخرة وسعا فى الترفيه عن نفسها والاستمتاع بما فى تلك المحافل ٠٠ ومع ذلك ، فقــد ظلت دون أن يتقدم أحد ذو مركز ودخل يبعثان على الرضى ، يسألها الزواج ٠٠

وبدأت مسز جارستين تشعر بقلق متزايد ، اذ لاحظت أن كيتى لم تعد تجتذب سوى أبناء الاربعين وما بعدها ، فراحت تذكرها بأنها لن تظل على جمالها عاما آخر أو عامين ، وان ثمة أجيالا من الشابات تبرز الى المجتمع تباعا ٠٠ ولم تقتصد مسز جارستين فى كلماتها أو تخفف من وقعها فى وسط الاسرة، بل مضت تنذر ابنتها فى لهجة لاذعة بأن سوقها لن تلبث أن تكسد !

وكانت كيتى تهز كتفيها ، وهى تظن نفسها جميلة كعهدها - بل أجمل ، لانها تعلمت فى السنوات الاربع الاخيرة كيف تنتقى ثيابها وتحسن ارتداءها - وتخـــال أن الزمن لا يزال فسيحا أمامها ٠٠ ولو أنها شاءت أن تتزوج - لمجرد الزواج - لكان أمامها أكثر من عشرة من الشبان على اســـتعداد لتلقف الفرصة ٠٠ ومن المؤكد أن الرجل المنشود والملائم لن يلبث أن يأتى ، طال الامد أو قصر ٠٠ ولكن مسز جارستين كانت ترقب الموقف فى توجس ، ومن ثم خففت من تعنتها ازاء الزوج المنتظر ، والسخط يملك نفسها على الابنة الجميلة التى أضاعت الفرص ٠٠ فولت وجهها شطر طبقة أصحاب المهن الحرة التى كانت فى البداية تمتعض منها فى كبرياء ، وبدأت تبحث عن محام شاب أو رجل أعمال يوحى لها مستقبله بالثقة ٠٠

وبلغت كيتى الخامسة والعشرين ولما تكن قد تزوجت ، فنفد صبر مسز جارستين ، ولم تعد تتردد فى أن تجاهر كيتى فى مناسبات كثيرة بأسوأ ما فى ذهنها ٠٠ فكانت تسألها الى متى تتوقع أن يعولها أبوها ، وقد أنفق فوق طاقته لكى يتيح لها الفرصة فلم تنتهزها !؟٠٠ وما خطر ببال مسز جارستين أن تعنتها هى ربمـــا كان السبب فى ارهاب الرجال الذين شجعتهم بمنتهى الحفاوة على التردد على دارها ، من أبناء ذوى اليسار أو ورثة الالقاب ٠٠ وانما عزت فشل كيتى الى غبائها!

ثم آن للابنة الصغرى « دوريس » أن تظهر فى المجتمعات ، وكانت لا تزال طويلة الانف ، ولم تك تحسن الرقص ٠٠ ومع ذلك فقد خطبت فى الموسم الاول الى « جفرى دنيسن » ، وكان الابن الاوحد لجراح ثرى حصل على لقب « سير » خلال الحرب ٠٠ ومن ثم كان مقدرا لجفرى أن يرث اللقب ٠٠ وقد لا يكون الطبيب « السير » رفيع المقام الى الدرجة المنشـــودة ، ولكن للقبه وقعه على أية حال ، والحمد لله ٠٠ فضلا عما وراءه من ثروة طيبة ٠٠

وهكذا ، وفى ذعر ، اضطرت الأخت الكبرى « كيتى » الى قبول الزواج من « وولتر فين » !

- ٩ -

◆ **كانت** قد تعرفت اليه قبل ذلك بأمد وجيز فلم تحفل به كثيرا ٠٠ ولم تكن تذكر متى التقيا لاول مرة ولا أين ، حتى أنبأها بعد خطوبتهما بأن ذلك حدث فى حفلة راقصة صحبه اليها بعض الاصدقاء ٠٠ وكان من المحقق أنها لم تنتبه اليه اذ ذاك ، وانها اذا كانت قد راقصته فلأنها كانت سمحة النفس تراقص أى شخص يسألها ٠٠ ولم تعرفه حين تقدم منها بعد يوم أو يومين ـ فى حفلة راقصة أخرى ـ وتحدث اليها ٠٠ ثم لاحظت أنه كان يحضر كل حفلة راقصة تذهب اليها ٠٠ فما لبثت أن قالت له أخيرا فى لهجتها الضاحكة : « لقد رقصت معك أكثر من عشر مرات كما تعرف ، وقد آن لك أن تنبئنى باسمك ٠٠ »

وبدا عليه أنه بهت ٠٠ وسألها : « أتعنين انك لا تعرفينه ؟ ٠٠ لقد قدمت اليك ! »

ـ ولكنك تعلم أن الناس دائما يدغمون حروف الاسماء أثناء التعـــريف ٠٠ ولن يدهشنى اذا تبينت أن ليست لديك أية فكرة عن اسمى ٠٠

فابتسم ٠٠ وكانت ابتسامته عذبة رغم أن وجهه كان جامد الملامح ، يسيطر عليه شيء من الصرامة ٠٠ وقال : « بل اننى أعرفه » ٠٠ وسكت لحظة أو اثنتين ، ثم سألها : « أليس بك شيء من الفضول ؟ »

ـ بى منه ما بمعظم النساء ٠٠

ـ ومع ذلك فلم يخطر لك أن تسألى هذا أو ذاك عن اسمى؟

وتولاها بعض الدهشة ، وعجبت مما يدعوه الى الظن بأنها اهتمت به أدنى اهتمام !٠٠ لكنها كانت تميـــل دائما الى أن

تدخل السرور على القلوب ، ولذا تطلعت اليه بابتسامتهـــا الخلابة ، فاذا عيناها الجميلتان تفيضان رقة فاتنة ، وقد لاحتا كبحيرتين رقراقتين بين أشجار غابة ·· وقالت : « فما اسمك اذن ؟ » ·· وأجاب : « وولتر فين »

ولم تكن تدرى لم كان يتردد على الحفلات الراقصـــة ، فهو لم يكن يحذق الرقص ، ولا كان يعرف كثيرا من القوم ·· **وطاف ببالها انه ربما كان قد أحبها ، ولكنها طرحت عنها هذا الخاطر بهزة من كتفيها ، فلطالما عرفت فتيات يخلن أن كل رجل قابلنه قد وقع فى هواهن ، فكانت تعتبرهن سخيفات ·· على أنها أولت وولتر فين بالتدريج مزيدا من اهتمامها، فتبينت أنه لم يسلك مسلك الشبان الآخرين الذين أحبوها ·· اذ أن معظمهم كان يفاتحها بحبه فى صراحة ويسعى الى أن يقبلها ·· كثيرون فعلوا ذلك ·· بيد أن « وولتر فين » لم يتحدث قط عنها ، وقلما تحدث عن نفسه ·· وانما كان يميل الى الصمت ،** ولم تجد فى هذا ضيرا ، اذ كان لديهـــا مورد لا ينضب من الاحاديث ، وكان يسرها أن تراه يضحك اذا صدرت عنهـــا ملاحظة فكهة ·· أما حين كان يتكلم ، فقد كان كلامه بعيدا عن السخف والغباء ·· كان من الجلى أنه خجول ·· وظهر لها أنه كان يقيم فى الشرق ، وانه جاء الى انجلترا فى عطلة ··

وفى أصيل يوم أحد ، ظهر فى دار أسرتها فى ســـاوث كينسنجتون ·· وكان ثمة عدد من الناس، فجلس بعض الوقت فى غير ارتياح ، ثم انصرف ·· وعندما سألتها أمها عنه فيما بعد ، قالت : « ليست لدى أية فكرة عن سبب حضوره ، فهل دعوته ؟ »

فأجابت الام : « أجل ·· قابلته لدى آل (باديلى) ، وقد قال انه رآك فى عدة حفلات راقصة ، ومن ثم ذكرت له اننى عادة أمكث فى البيت فى أيام الآحاد »

ـ ان اسمه « فين » ، وهو يتولى منصبا فى الشرق ··

ـ أجل ٠٠ انه طبيب ٠٠ أفهل هو يحبك ؟

ـ لعمر الحق ٠٠ لست أدرى !

ـ كان خليقا بك أن تكونى قد أصبحت تميزين ما اذا كان أى شاب يحبك ٠٠

فقالت كيتى فى استخفاف : « ما أرانى أتزوجه ولو كان يحبنى »

ولم تجب مسز جارستين ، ولكن صـــمتها كان مكفهرا بالاستياء ٠٠

وتضرج وجه كيتى وقد أدركت أن أمها لم تعد تحفل بمركز من يتقدم للزواج منها قدر ما تحفل بأنه سيحمل عنها عبء اعالتها !

- ١٠ -

◆ **وقابلته** كيتى فى الاسبوع التالى فى ثلاث حفلات راقصة ، فبدأ يخرج عن صمته وقد خف خجله واستحياؤه ٠٠ فتبينت أنه كان طبيبا بالفعل ، ولكنه لم يمارس الطب العلاجى ، اذ كان بكتريولوجيا ـ أى اخصـــائيا فى التحليل الطبى وأبحاث المعامل ـ وان لم تكن كيتى تدرك هذا المعنى على أتمه ٠٠ وكان يتولى منصبا فى (هونج كونج) ، ســيعود اليه فى الخريف ٠٠ وراح يكثر من التحدث اليها عن الصين٠٠ وكانت قد راضت نفسها على أن تبدى الاهتمام بما يحدثها عنه الناس ٠٠ والواقع أن الحياة فى هونج كونج بدت لها من خلال أحاديثه مشرقة ، فقد كانت ثمة منتديات ، و « تنس » وسباق خيل ، و«بولو»، و « جولف » ٠٠ الخ

وسألته : « أو يقيم الناس حفلات راقصة كثيرة هناك ؟ »

ـ آه ٠٠ أجل ٠٠ أظن ذلك ٠٠

وساءلت كيتى نفسها عما اذا كان قد أخبرها بهذه الامور مدفوعا بحافز ما ؟٠٠ كان يلوح انه يستعذب صحبتها ، ولكنه

لم يعمد قط الى ضغطة من يد ، أو نظرة ، أو كلمة توحى بأنه اشارة الى أنه يعتبرها أكثر من فتاة التقى بها وراقصها ..
ولكنه عاد الى زيارة دارها فى يوم الاحد التالى .. وصادف أن عاد أبوها أيضا الى الدار ، اذ حرمه المطر من لعب «الجولف»، فتجاذب الحديث طويلا مع « وولتر فين ».. وسألت أباها فيما بعد عما دار بينهما ، فقال :

ـ يبدو أنه موظف فى هونج كونج ، حيث كبير القضاة من زملائى القدامى فى المحاماة .. ويظهر أنه شاب ذو ذكاء فذ

وكانت تعلم أن أباها كان يضيق بالشبان الذين اضطر لعدة سنوات أن يستقبلهم من أجلها ، ثم من أجل أختها .. فقالت : « ما رأيتك تميل كثيرا الى أصدقائى الشبان يا أبت »

فاستقرت نظراته الرحيمة المنبعثة من عينيه الكليلتين عليها، وقال : « هل خطر لك أن تقبلى الزواج منه ؟ »

ـ لا ، بالتأكيد ..

ـ هل هو يحبك ؟

ـ لم يبدر منه ما ينم عن ذلك ..

ـ هل تميلين اليه ؟

ـ ما أظننى أميل اليه كثيرا .. بل انه يضجرنى بعض الشىء ..

والواقع انه لم يكن من طرازها .. كان قصيرا ، ولكنه لم يكن ربعة ممتلىء الجسم ، بل كان يميل الى النحول ، وكان أسمر البشرة ، حليقا ، ذا قسمات منتظمة ، متناسقة ، بديعة .. وكانت عيناه سوداوين تقريبا ، ولكنهما لم تكونا واسعتين، ولا كثيرتى الحركة ، بل كانتا تستقران على الشىء فتطيلان النظر اليه .. وكان أنفه المستقيم ، الرشيق ، وجبينه الوضاء، وفمه البديع ، كفيلة بأن تجعله مليح الشكل .. ولكنه لم يكن كذلك .. مما كان يبعث على الدهشة !.. ولقد عجبت كيتى

ـ اذ شرعت تفكرفيه ـ من أن تكون له هذه القسمات ، المليحة اذا فحصت كل منها على حدة ، ثم لايجـذبها مع ذلك ! ٠٠ وكانت سيماه تنم عن شيء من السخرية الناقدة ٠٠ وقد أدركت كيتي ـ اذ عرفته أكثر من ذى قبل ـ انها لم تك ترتاح اليه لانه لم يكن على شيء من المرح ٠٠

وما أن أشرف الموسم على نهايته حتى كانا قد تقابلا كثيرا ، ولكنه ظل على ما كان عليه ، لا يشف عن شيء ٠٠ ولم يكن ما يتولاه فى حضرتها خجلا ، وانما كان ارتباكا وحرجا ٠٠ وظل حديثه بعيدا عن شخصيهما ، مما انتهى بكيتى الى أن تستنتج أنه لم يكن لها أى حب ، وانما كان يميل اليها ، ويستطيب الحديث معها ، ولن يلبث اذا ما عاد الى الصين فى نوفمبر أن يكف عن التفكير فيها ٠٠ بل انها لم تر من المستبعد انه كان طيلة الوقت على ارتباط بخطيبة ، لعلها ممرضة فى أحد مستشفيات هونج كونج ، أو ابنة أحد رجال الدين ٠٠ خطيبة بليدة الفهم، بسيطة ، ذات قدمين مسطوحتين، لا تنى عن العمل فى دارها ٠٠ فقد كان هـــذا هو الطراز الذى يليق به من الزوجات !

ثم جاءت خطبة دوريس الى جفرى دنيسن ٠٠ كانت دوريس فى الثامنة عشرة ، ومع ذلك فقد وفقت الى زواج مناسب ٠٠ أما هى فلم تخطب أو تتزوج برغم أنها بلغت الخامســـــة والعشرين !٠٠ ولعلها لن تتزوج البتة ، فان الوحيد الذى تقدم فى هذا الموسم يطلب يدها لم يكن سوى صبى فى العشرين من عمره لا يزال يطلب العلم فى اكسفورد ـ وما كان لها أن تتزوج من فتى يصغرها بخمس سنوات !٠٠ لقد أضاعت الفرص التى سنحت لها : ففى العام الماضى رفضت أرملا يحمل لقب « سير » وقد خلفت له زوجته السابقة ثلاثة أطفال ، فودت الآن لو أنها لم ترفضه ، سيما وان أمها لن تلبث أن تسف فى فظاظتها٠٠ كما لن تلبث دوريس ـ دوريس التى طالما أهملت من أجلها ، اذ

كان الامل معقودا على كيتى فى اصطياد الزوج اللامع ـ دوريس هذه ، لن تلبث أن تسخر منها ٠٠

وأحست كيتى بقلبها يغوص فى صدرها تحت ثقل أساها !

- ١١

◆ **بيد** أنها لم تلبث ذات أصيل ـ وكانت تتمشى فى طريقها من منتدى (هارود) الى دارها ـ أن صادفت « وولتر فين » فى طريق (برومبتن) ، فوقف يجاذبها أطراف الحديث ٠٠ ثم سألها عفوا عما اذا كان يروق لها أن تصحبه الى نزهة فى حدائق (بارك) ؟٠٠ ولم تكن بها رغبة ملحة فى العودة الى الدار ، سيما وان الدار لم تكن فى تلك الآونة بالمكان الذى ترتاح اليه ، فراحا يتمشيان وهما يتجاذبان أطراف الحديث فيما ألفاه من موضوعات عابرة ٠٠ وسألها عن المكان الذى ستقضى فيه الصيف فقالت :

ـ آه ٠٠ اننا ندفن أنفسنا عادة فى الريف ٠٠ فانك لتعلم



أن أبى يكون مرهقا بعد الدورة القانونية ، ومن ثم فنحن نقصد أهدأ مكان نستطيع أن نجده ٠٠

وكانت كيتى تتكلم محجمة ، اذ كانت تعلم أن أباها لا يكاد يجد من العمل ما يضنيه ٠٠ وحتى اذا وجد العمل الذى يرهقه فان راحته لم تكن بين العوامل التى يحسب لها حساب فى اختيار مقصد الاسرة فى العطلات !٠٠ وانما كانت تختار الاماكن الهادئة لقلة نفقاتها !

وسألها وولتر فجأة : « ألا ترين أن هذين المقعدين يغريان بالجلوس ؟ » ٠٠ وتبعت نظراته ، فرأت مقعدين أخضرين بمعزل فوق العشب تحت احدى الاشجار ، فقالت : « لنجلس عليهما »

ولكنهما لم يكادا يجلسان حتى بدأ ذهنه يشرد بشكل عجيب ٠٠ كان مخلوقا غريبا !٠٠ على أنها مضت تثرثر بقدر ما وسعها من انطلاق ، وهى تسائل نفسها عما دعاه أن يسألها أن تتمشى معه فى المتنزه ٠٠ لعله كان يوشك أن يفضفض اليها بشغفه بالممرضة ذات القدمين المسطوحتين التى تركها فى هونج كونج !؟

وفجأة ، استدار نحوها ، فقطع عليها عبارة كانت ماضية فى ذكرها ، مما نم عن أنه لم ينصت اليها ، وقال وقد صار وجهه فى بياض الطباشير : « أريد أن أقول لك شيئا »

وأسرعت تتطلع اليه ، فرأت عينيه تفيضان بانفعال عرم ٠٠ وقبل أن تسائل نفسها عما وراء هذا الانفعال ، عاد يقول : « أريد أن أسألك ٠٠ هل تقبلين الزواج منى ؟ »

فأجابت وهى تحدق فيه دون مواراة لفرط دهشتها : « هذه مفاجأة لم أك أتوقعها »

— أو ما دريت اننى كنت مغرقا فى حبك ؟

— انك لم تكشف لى عما يوحى بذلك !

— اننى خجول ، حيى ، يشق على دائما أن أقول ما أقصد قوله ، فلا أملك سوى أن أقول ما لا أقصد ٠٠

وتسارعت دقات قلبها قليلا ٠٠ ما أكثر ما فوتحت فى الزواج من قبل ، ولكن الحديث كان عادة بهيجا ، أو عاطفيا ٠٠ وكانت تجيب بنفس الروح ٠٠ فما سألها أحد الزواج بمثل هــذه الطريقة الجافة المفاجئة ، ذات الطابع الواجم الغريب ٠٠ وقالت مستريبة : « هذا تلطف منك »

ـ لقد وقعت فى هواك منذ أول مرة رأيتك فيها، وكنت أريد أن أفاتحك من قبل ، ولكننى لم أفلح قط فى الاقدام ٠٠

فضحكت قائلة : « ما أظنك تعنى هذا حقا ؟ »

وسرها أن وجدت فرصة للضحك ، فقد بدا أن الجو المحيط بهما ، في ذلك اليوم الصحو الجميل ، قد استحال فجـــأة راكدا ، ثقيلا ٠٠ وعبس هو متجهما ، ثم قال :

ـ أواه ٠٠ انك لتدرين ما أعنى ٠٠ لم أشأ أن أفقد الامل ٠٠ أما وأنت تتأهبين للسفر للمصيف ، وأنا أســـتعد للعودة الى الصين فى الخريف ٠٠؟

قالت فى حيرة : « ما فكرت فيك ـ من هذه الناحية ـ من قبل »

ولم يقل شيئا ، بل غض من بصره فى وجوم ٠٠ كان مخلوقا غريبا الى الغاية ، بيد أنها بدأت تشعر ـ بطريقة غامضة ـ وقد صارحها بما صارحها به ، أن حبه من نوع لم تصادفه أبدا من قبل ٠٠ وأحست بشىء من الذعر ، ولكنها أحست فى الوقت ذاته بشىء من التخفف ، فقالت :

ـ يجب أن تمهلنى ريثما أفكر ٠٠

وظل صامتا لم ينبس ببنت شفة ، أو يحر حراكا٠٠ أو تراه كان مزمعا أن يستبقيها حيث كانا الى أن تتخذ فى الامر رأيا ؟ ٠٠ انه ليكون عنوانا للسخف بعينه ، لو فعل !٠٠ اذ ينبغى أن تبحث الامر مع أمها ٠٠ ومن ثم كان خليقا به أن يدعوها الى الانصراف حين وعدته بالتفكير ٠٠

وترقبت ، ظنا منها أنه لن يلبث أن يجيب ، وقد أحسست بأن من العسير عليها أن تتحرك فى مجلسها ، دون أن تدرى لذلك داعيا ٠٠ ومع انها لم تنظر نحوه ، فانها كانت تحس بما يبدو عليه منظره ٠٠ قط ما خطر لها أن تتزوج من رجل لا يجاوزها طولا الا بالقليل ! رجل اذا جلست بالقرب منه ، تبينت مدى وسامة قسماته ، ومدى جمود تعبيرات وجهه ، ومع ذلك فقد كان من العجيب أن لا تتمالك نفسك من الشعور بالوجد المتأجج فى قلبه !

وعادت تقول بصوت متهدج : « اننى لم أعرفك بعد ٠٠ لم أعرفك قط »

ونظر اليها ، فأحست بعينيها تنجذبان نحوه ٠٠ كان فى نظراته حنان لم تره فيها من قبل ٠٠ وفى عينيه شىء من الذلة، شبيه بما يفيض من عينى كلب مضروب ، مما أثر فى نفسها ٠٠ وما عتم أن قال : « أظننى قمينا بأن أكشف عن نواح طيبة اذا ما ازددت تعرفا بى »

ـ أجل ٠٠ اننى لادرك انك خجول ٠٠ ألست كذلك ؟

كان أعجب حديث سمعته فى مناسبة كهذه ٠٠ ولاح لها أن كلا منهمـــا يفضى لصاحبه بآخر ما يرتقب منـــه فى معرض الخطوبة ٠٠ انها لم تكن تشعر نحوه بأتفه حب ٠٠ ولكنها لم تدر لماذا ترددت فى أن ترفض عرضه بمجرد أن صارحها به !

وأردف يقول : « اننى مفرط الغباء ٠٠ كان خليقا بى أن أقول لك اننى أحبك أكثر من الوجـــود كله ، ولكنى أجد عناء شديدا فى أن أقول ذلك ! »

وهذا أيضا كان غريبا بدوره ، اذ أنه مس أوتار قلبها دون أن تدرى لذلك سببا !٠٠ لا ، انه لم يكن فاتر العاطفة ، ولا باردا ، انما كانت طبيعة خلقه هى كل عيبه ٠٠ وأحست بأنها قد مالت اليه فى تلك اللحظة أكثر مما مالت من قبل ٠٠ وكانت دوريس مقدمة على الزواج فى نوفمبر ، ولسوف يكون هو اذ

ذاك فى طريقه الى الصين ، ولا بد لها من أن ترافقه لو أنها تزوجت منه ٠٠ ولم يكن مما يسرها أن تكون وصيفة شرف فى زفاف دوريس ، ومن ثم فقد كان يسعدها أن تفلت من هذا الموقف !٠٠ **ثم طاف بذهنها حالها حين تغدو دوريس زوجة وهى بعد عذراء !٠٠ كان كل امرىء يعرف دوريس وما كانت عليه ، ومن ثم فان زواجها قمين بأن يبدى كيتى أكبر سنا مما هى ٠٠ وأن يدفع بها الى أحضان الاهمال والعنوسة٠٠ ولو أنها تزوجت من « فين » لما كان هذا خير زواج لها ٠ ولكنه سيكون زواجا على أية حال ٠٠ سيما وانها ستقيم معه فى الصين ٠٠ وكانت تخشى لسان أمها اللاذع ٠٠ لقد تزوجت كل لداتها منذ أمد طويل ، وأصبح لكثير منهن أطفال !٠٠ ولقد أسأمها أن تزورهن وأن تراهن يبالغن فى الحديث عن أطفالهن !**

وها هوذا « وولتر فين » يعرض عليها حياة جديدة ٠٠

والتفتت اليه وعلى شفتيها ابتسامة كانت توقن من فعلها ، وقالت : « لو اننى تسرعت فى تهور وقلت اننى أقبل الزواج منك ، فمتى تريد أن يتم الزواج ؟ »

وشهق فجأة فى ابتهاج ، وسرى الدم فى وجهه الشديد الشحوب ، وقال : « الآن ٠٠ فورا ٠٠ بأسرع ما يمكن ٠٠ وسنذهب الى ايطاليا لقضاء شهر العسل ٠٠ بل نقضى هناك شهرى أغسطس وسبتمبر »

وكان هذا كفيلا بأن يجنبها قضاء الصيف فى الريف مع أبيها وأمها٠٠ واستعرضت فى ذهنها بسرعة البرق نبأ الخطوبة اذ ينشر فى صحيفة « مورنينج بوست » ، وما سيكتب عن اضطرار العروس الى العودة الى الشرق ، ومن ثم الى اتمام الزواج فورا !٠٠ وكانت تعرف أمها حق المعرفة ، وتدرك أن فى وسعها أن تعتمد عليها فى خلق ضجة تدفع « دوريس » جانبا بعض الوقت ٠٠ فاذا ما حان زواج « دوريس » الفخم ،

فانها ستكون قد غادرت البلاد !

وبسطت يدها قائلة : « **أعتقد اننى أميل كثيرا اليك، ويجب أن تتيح لى وقتا آلفك فيه** »

فقطع عليها الكلام متسائلا : « أو هذا قبول ؟ »

ـ أظن ذلك ..

ـ ١٢ ـ

◆ **لم تكن** اذ ذاك تعرفه الا قليلا .. جدا .. ومع ذلك فانها لم تزدد معرفة به ، زيادة تذكر ، بعد أن انقضى حوالى العامين على زواجهما !.. وقد تأثرت فى البداية لترفقه وتلطفه .. وازدهاها ـ وان كان قد أدهشها ـ تأجج عاطفته .. كان فى منتهى الرصانة ، وكان شديد الاحتفاء براحتها ، **فما أعربت مرة عن أتفه رغبة الا وسارع الى ارضائها .. وكان يغمرها فى كل مناسبة بالهدايا الصغيرة .. واذا أحست بوعكة ، لم يكن ثمة من هو ارحم واكثر انشغالا بها منه .. وكأنما توليه صـــنيعا اذا هى أتاحت له فرصة القيام بعمل ـ ينطوى على شىء من التعب ـ من أجلها !.. وكان دائما مفرط التأدب ، فاذا دخلت عليه غرفة نهض قائما ، واذا ركبا سيارة مد يده يساعدها ، واذا صادفها فى الطريق رفع قبعتــه ، وكان يتكلف عناء فتح الباب لها حين تغادر غرفة يكونان فيها .. وما ولج مرة مخدعها أو غرفتها الملحقة به دون أن يطرق الباب .. لم يكن يعاملها كما رأت معظم الرجال يعاملون زوجاتهم ، وانما كان يحتفى بها كما لو كانت ضيفة فى بيته !**

.. وكانت هذه المعاملة كفيلة بارضائها ، ولكنها كانت تنطوى على شىء يثير ضحكها . ولو أنه كان أقل احتفاء لازدادت ألفة معه .. كما ان علاقاتهما الزوجية لم تزدها قربا منه ، اذ كان خلالها يستحيل مشبوب العاطفة ، عنيفا ، متأجج الاحاسيس ، بل لعل من الغرابة انه كان يبدو متهـــوس الانفعال ..

وكان يحيرها ان تتبين مدى التهاب عواطفه .. كانت رزانته وليدة حيائه، او لعلها نتيجة المران الطويل ـ فما استطاعت ان تدرى الى أيهما تعزوها ـ وكان يثيرها بعض الشىء ان تشعر وهى بين ذراعيه وقد هدأت شهوته ، ان هذا الذى كان يخجل من التفوه بالتوافه ، والذى كان يخشى أن يبدو سخيفا ، كان ينقلب فيحلو له ان يعمد الى لهجة الاطفال فى الكلام !.. **ولقد آلمته مرة فى قسوة اذ ضحكت وقالت انه يتفوه بأسخف حديث .. فأحست بذراعيه تجمدان حولها ، وظل ساكنا صامتا برهة ، ثم أفلتهـا من**

أحضانه دون أن ينبس ببنت شفة وانصرف الى حجرته .. ولم تكن قد أرادت أن تجرح شعوره ، فقالت له بعد يوم أو يومين : « لست أضيق أيها الأبله بأى هراء تهرف به » .. فضحك فى استحياء ..

ولم تلبث ان اكتشفت أنه كان عاجزا كل العجز عن ان ينسى نفسه.. كان دائما يفطن الى كل كلمة تصدر عنه أو حركة تبدر منه .. فاذا غنى جميع الحاضرين فى احدى الحفلات التى كانا يدعيان اليها ، عجز «وولتر» عن مجاراة القوم .. بل كان يجلس مبتسما ليريهم انه مسرور وقرير ، غير ان ابتسامته كانت مغتصبة مفتعلة ، أشبه بالاستهجان الساخر ، بحيث توحى بأن صاحبها يعتبر جميع أولئك الذين ينساقون فى جو المرح والانشراح حفنة من الحمقى ! .. وكان لا يقوى على حمل نفسه على الاشتراك فى الالعاب الجماعية التى كانت « كيتى » ـ بما أوتيت من خفة روح ـ تجد فيها مسرة ومرحا .. ولقد رفض رفضا تاما أثناء رحلتهما الى الصين ان يرتدى فى احدى الحفلات ثيابا تنكرية كبقية المسافرين .. وكان مما عكر سرور زوجته انه بدا ضجرا من الحفلة كلها !

وكانت «كيتى» مرحة ، تود لو أتيح لها أن تتكلم طيلة النهار ، وان تضحك فى حرية وانطلاق .. ولكن صمته كان يحيرها ويثير الاضطراب فى نفسها .. وكان مسلكه فى عدم الرد على ما تبدى من ملاحظات عابرة يضايقها .. ومن الصحيح ان أمثال تلك الملاحظات لم تكن تستدعى ردا ، ولكن الرد كان كفيلا بأن يرضيها .. فلو انها قالت وهى ترى السماء تمطر : « لقد تفتحت ميازيب السماء » ، لظل صامتا .. بينما تتمنى لو أنه أجاب : « أجل .. أليست كذلك حقا ؟ » .. ولكم ودت فى بعض الاحيان أن تهزه لينطق .. ولكنها كانت تكتفى بأن تكرر عبارتها : « اقول أن ميازيب السماء قد تفتحت » .. واذ ذاك كان يكتفى بأن يقول مبتسما : « لقد سمعتك » !

وكانت ابتسامته تنم عن انه لم يكن يبغى ان يسىء اليها ، وانه ما صمت الا لانه فى الواقع لم يجد ما يقول .. ولكن «كيتى» كانت تقول لنفسها مبتسمة : « لو ان كل امرىء لم يتكلم الا اذا وجد ما يستحق القول ، لفقد الجنس البشرى سريعا مقدرته على الكلام ! »

- ١٣ -

◆ **والواقع** انه كان مجردا من كل فتنة .. وكان هذا هو السر فى أنه لم يكن بارزا لامعا ، الامر الذى اكتشفته قبل أن يمضى على وصولها الى هونج كونج أمد طويل .. ولقد ظلت على غير دراية واضحة بعمله .. وكان

حسبها أن تدرك ـ وقد أدركت فعلا ـ ان انتسابها ، كزوجة ، الى الطبيب البكتريولوجى للحكومة ، ليس بالشرف الرفيع .. وكان يبدو عليه أنه عزوف عن أن يتناول هذه الناحية من حياته بالحديث معها .. ولما كانت هى ميالة ـ ولا سيما فى البداية ـ الى الاهتمام بكل شىء ، فقد سألته عن عمله .. ولكنه ردها عنه باشارة مقتضبة . وفى مناسبة أخرى قال : « انه عمل ممل وفنى للغاية .. ثم ان الاجر الذى يدفع عنه أقل بكثير مما يستحق .. »

وكان شديد التحفظ ، حتى أن كل ماعرفته عن ماضيه ، ومولده ، وتربيته ، وحياته قبل أن يلقاها ، لم يتسن لها الا عن طريق انتزاعه من فمه بالاسئلة الصريحة المباشرة التى كانت توجهها اليه !.. ومن الريب أن السؤال كان الشىء الوحيد الذى يثير ضيقه واستياءه وكانت اذا أغرقته ـ بدافع من فضولها الطبيعى ـ بسيل من الاسئلة تباعا ، ازدادت اجاباته اقتضابا مع كل سؤال .. وأفهمها ذكاؤها انه لايضن بالاجابة لان لديه ما يحب أن يخفيه عنها ، وانما لمجرد انه فطر على التكتم .. كان يمضه أن يتحدث عن نفسه ، اذ كان ذلك يضاعف من حيائه وارتباكه .. فما كان يدرى كيف يكشف عن جلية نفسه ..

وكان مشغوفا بالقراءة ، ولكن الكتب التى كان يقرأها كانت تبدو لكيتى ثقيلة مملة ، فانه اذا لم يعكف على موضوع علمى ، كان يقرأ الكتب التى تدور حول بلاد الصين التى يعيش فيها ، أو المؤلفات التاريخية .. قط لم يكن يتخفف من العمل والقراءة الجدية ، حتى لقد خيل اليها أنه عاجز عن التخفف .. وكانت اللعبتان الوحيدتان اللتان يحبهما هما « التنس » و « البريدج » ..

وكانت تعجب فى نفسها مما جعله يقع فى هواها ، فما كانت ترى بين النساء من هى أبعد منها ملاءمة لهذا الرجل الدؤوب ، الجامد الحس ، الرصين .. ومع ذلك ، فقد كان ـ بكل تأكيد ـ مدلها فى غرامها ، حتى انه لم يكن يتورع عن أن يفعل أى شىء يرضيها .. كان كالشمع الطرى بين يديها ! .. وكانت كلما فكرت فى الجانب الوحيد الذى أطلعها عليه من نفسه ، أحست بشىء من الازدراء نحوه .. وكانت تسائل نفسها عما اذا كانت طبيعته الساخرة الناقدة ـ وما يصحبها من تحمله فى ذلة كثيرا من الاشخاص والاشياء التى تعجب بها ـ مجرد ستار يخفى وراءه ضعفا تاما ؟! .. ذلك انها فى الوقت الذى كانت تراه فيه ماهرا ـ وكذلك كان يحسبه كل امرىء ـ لم تكن هى تجد لديه استعدادا لأن يكون مقبولا ، اللهم الا فى حالات نادرة جدا ، حين يجلس الى الاثنين أو الثلاثة الذين كان يميل اليهم ـ من بين

الناس طرا - وهو فى حالة مرح وتبسط ..

والخلاصة انه كان يثير الضجر - كل الضجر - فى نفسها .. حتى لقد جعلها تستهين به ولا تقيم له وزنا !

- ١٤ -

◆ قضت كيتى بضعة أسابيع فى هونج كونج قبل أن ترى « تشارلس تاونسند » - مع أنها التقت بزوجته فى عدد من مآدب الشاى - وهكذا لم تتعرف عليه الا حين رافقت زوجها لتناول العشاء فى داره .. وكانت كيتى متحفظة ، حذرة ، اذ أن تشارلس تاونسند كان مساعد حاكم المستعمرة ، ولم تكن راغبة فى أن تدعه يعاملها بتلك الروح المتكرمة ، المتكلفة التواضع ، التى كانت تحسهامن مسز تاونسند رغم طيب طباعها ..

وكانت القاعة التى استقبلا فيها رحبة واسعة ، وقد فرشت بما فرشت به كل غرفة استقبال أخرى ولجتها فى هونج كونج .. أثثت على نمط مريح .. وكان المدعوون كثيرين ، وقد كانت كيتى وزوجها آخر من وصل منهم ، فوجدا الخدم الصينيين يدورون على الحضور بكؤوس الكوكتيل والزيتون.. ورحبت بهم مسز تاونسند بطريقتها المتكلفة ، ثم تأملت قائمة مكتوبة ، وذكرت لوولتر اسم زميلته التى ستجلس الى جواره حول المائدة ..

ورأت كيتى رجلا طويلا ، مفرط الاناقة ، يقبل نحوهم .. فقالت مسز تاونسند : « هذا زوجى .. »

وقال لها الرجل : « ستكون لى حظوة الجلوس الى جانبك »

وأحست لفورها بارتياح ، وتلاشى من صدرها كل شعور بالنفور .. ولمحت فى عينيه المبتسمتين ومضة سريعة من الدهشة والمفاجأة ، لم يخف عليها معناها ، فودت لو استطاعت أن تضحك !

وقال الرجل : « لن أستطيع أن أصيب شيئا من العشاء ، مع ما أعلمه عن أصناف دوروثى الشهية »

فسألته : « ولماذا ؟ »

- كان يجب أن يخبرونى من قبل .. كان يجدر بهم أن ينذرونى ..

- عم .. وبم ؟

- لم يفض أحد بكلمة واحدة ، فكيف كان لى أن أعلم اننى ساقابل جمالا باهرا خلابا ؟

- آه .. بماذا ترانى أجيب عن هذه المجاملة ؟

- بلا شىء .. دعى الكلام لى ، ولسوف أردد هذا القول مرارا وتكرارا !

ولم تؤخذ كيتى بمجاملاته ، وانما تمنت لو انها عرفت ما قالته له زوجته عنها .. لابد انه سألها عنها !

وتذكر تاونسند فجأة ، وهو يطل عليها بعينيه الضاحكتين ، انه تساءل حين انبأته زوجته بأنها قابلت عروس الدكتور فين : « وما شكلها يا ترى ؟ »

ـ شابة لطيفة صغيرة .. كالممثلات ..

ـ هل كانت تعتلى المسرح ؟

ـ لا .. ما أظن ذلك .. ان أباها طبيب ، أو لعله محام ، أو أى شىء آخر .. أعتقد ان علينا أن ندعوهما الى العشاء ..

ـ لا داعى للعجلة .. أليس كذلك ؟

وقال لكيتى وهو يجاورها حول المائدة انه عرف زوجها « وولتر فين » مذ وفد على المستعمرة .. واستطرد قائلا : « اعتدنا أن نلعب البريدج معا .. انه أحسن وأبرع لاعب بريدج فى المنتدى »

ولقد ذكرت ذلك لوولتر وهما فى طريقهما الى دارهما فقال : « هذا اسراف منه فى المجاملة كما ترين »

ـ وهل هو يجيد اللعب ؟

ـ لا بأس به كلاعب .. انه يجيد دوره اذا كانت الاوراق ملائمة .. ولكنه ينهار اذا أوتى أوراقا سيئة ..

ـ هل يعادلك مهارة فى اللعب ؟

ـ لست أدرى مدى مهارتى .. اننى أعتبر نفسى لاعبا جيدا من الدرجة الثانية ، أما تاونسند فيرى انه من لاعبى الدرجة الاولى .. ولكنه ليس كذلك !

ـ ألست تميل اليه ؟

ـ لست أحبه ، ولا أكرهه .. وأعتقد أن لا بأس به فى عمله ، كما يقول كل امرىء انه رياضى حاذق .. لكنه لا يروق لى كثيرا ..

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى يثير فيها تزمت « وولتر » غيظها ، فساءلت نفسها عما يضطره الى التزام هذه الرزانة الحكيمة ؟ .. اننا عادة اما أن نحب الناس أو لا نحبهم !.. ولقد ارتاحت هى الى تشارلى تاونسند كثيرا ، وما كانت تتوقع ذلك .. كان يكاد يعتبر أحب وأشهر رجل فى المستعمرة ، وكان من المرتقب ان يحال الحاكم الى المعاش عما قريب فتمنى كل فرد لو يخلفه تاونسند .. ثم أنه كان يلعب « التنس » و « البولو » و « الجولف » ، ويقتنى جيادا للسباق .. وكان دائما على استعداد لأن يولى أى فرد صنيعا ، فما ترك « الروتين » يعترض طريقه قط .. لا ولم يكن يصطنع المظاهر .. ولم تدر «كيتى» لم كانت تنفر من أن تسمع اطراء له ، اذ لم تكن تتمالك ان تظنه مزهوا شديد الغرور .. لكنها كانت مخطئة ، فان الزهو والغرور كانا آخر ما يمكن أن يتهم به !

ولقد استمتعت بالسهرة فى تلك الليلة .. تحدثت معه عن مسارح لندن، وميادين السباق ، وكل الاشياء التى كانت تعرفها ، كما لو كانت قد قابلته فى احدى الدور الراقية فى حى « لينوكس جاردنز » ! .. وعندما أقبل الرجال على قاعة الجلوس ـ بعد العشاء ـ تقدم بخطى واسعة وجلس الى جانبها .. ومع انه لم يقل شيئا يدعو الى الضحك ، الا أنه أثار ضحكها بطريقة ما ، قد تكون فى اللهجة التى تعمد أن يلقى بها كلامه .. وكان فى صوته العميق ، الغنى بالنبرات ، حنان عذب .. وفى عينيه الرحيمتين ، الزرقاوين ، المتألقتين ، نظرة بهيجة تجعلك تحس بألفة تربطك اليه .. كان ساحرا حقا .. وكان هذا هو السر فى لطفه ..

وكان طويل القامة ـ قدرت هى طوله بستة أقدام وبوصتين على الاقل ـ وكان شكله جميلا ، ومن الجلى ان صحته كانت جيدة ، وان وزنه لم يكن يزيد عما يتناسب مع طوله .. ثم انه كان أنيق الملبس ، أكثر الرجال الذين كانوا فى الحجرة أناقة .. وكانت كيتى تحب فى الرجل ان يكون وجيها ! .. وتحولت نظراتها الى « وولتر » .. كان يخلق به أن يزيد من عنايته بمظهره .. ولقد لاحظت أزرار كمى قميص تاونسند ، وأزرار صديريته .. كانت قد رأت مثلها معروضا فى محلات « كارتيير » الكبرى ، ومن ثم فلابد أن لآل تاونسند دخلا خاصا !

وكان وجهه شديد السمرة ، بيد أن الشمس لم تسلب وجنتيه حمرة الصحة .. ولقد أحبت فيه ذينك الشاربين المفتولين عند طرفيهما القصيرين ، دون أن يخفيا شفتيه الشديدتى الاحمرار .. وكان ذا شعر أسود ، قصير ، شديد اللمعان ، نسقته الفرشاة بعناية .. على أن عينيه القابعتين تحت حاجبين كثيفين ، عريضين ، كانتا أفضل قسماته . كانتا شديدتى الزرقة، فيهما حنان ضاحك يجعلك تؤمن بلطف روحه وعذوبة طبعه. وليس فى وسع رجل أوتى هاتين العينين الزرقاوين أن يقوى على ايذاء أحد !

ولم يكن فى وسعها أن تغفل الاثر الذى أحدثته فى نفسه .. ولو انه لم يفض اليها بأعذب الاقوال ، لما عجزت عيناه ، وماكان يفيض منهما من نظرات دافئة مفعمة بالاعجاب ، عن أن تشيا به ! .. وكانت بساطته عذبة ، تبعث فى النفس شعورا بالانشراح . ولم يكن معتدا بنفسه الى درجة اصطناع الرزانة والوقار .. وقد أعجبت كيتى بالطريقة التى كان يعمد بها خلال المزاح الذى ساد حديثهما الى ازجاء عبارات المجاملة والغزل المستعذبة .. وعندما صافحته وقد همت بالانصراف ، ضغط راحتها بطريقة ما كانت لتخطىء معناها .. ثم قال عرضا : « أرجو أن اراك ثانية عما قريب » .. غير

ان عينيه أضفتا على كلماته معنى لم تغفله .. فقالت : « ان هونج كونج مدينة صغيرة .. أليس كذلك ؟ »

- ١٥ -

◆ من كان يظن اذ ذاك أن العلاقات بينهما تغدو فى شــهور ثلاثة الى ما أصبحت عليه ؟ .. لقد حدثها بعد ذلك بأنه افتتن بها منذ الامسية التى رآها فيها لاول مرة .. كانت أجمل من رأى فى حياته .. وقد ظل يذكر الثوب الذى بدت فيه .. كان ثوب زفافها ، وقد قال انها لاحت فيه كزنبقة فى واد !

ولقد أدركت أنه أحبها قبل ان يفاتحها ، فتولاها شىء من الفــزع وأخذت تباعده عنها .. ولكنه كان مستهترا ، مندفعا .. وكان الامر شاقا عليها ، حتى لقد أحست بالخوف من أن تدعه يقبلها ، بل ان مجرد التفكير فى ذراعيه حولها كان يبعث خفقات قلبها متسارعة ! .. انها ما عرفت الحب قط من قبل ، فاذا بها تجده رائعا ! .. وأحست فجأة باشفاق على « وولتر » لما كان يكنه لها من هوى ، فأخذت تداعبه فى تدلل ، وتلمس مدى استعذابه لذلك .. ولعلها كانت تخشاه هونا ما ، بيد انها ما لبثت أن اطمأنت ووثقت فى نفسها ، فراحت تغازله فى جرأة ، وكان يلذ لها ان تتمثل ابتسامة الدهشة والتردد التى تلقى بها دعاباتها فى بادىء الامر ، وان خيل اليها انه لن يلبث أن يغدو يوما كغيره من البشر ! .. ولقد لذ لها - اذ عرفت شيئا عن الوجد والهيام - ان تعبث بعواطفه فى خفة ، كالعازف اذ يجرى أحد أنامله على أوتار قيثارته .. وكانت تضحك اذ تستبين مدى ما تسببه له من حيرة وارتباك !

وأصبح الموقف بينها وبين وولتر يبدو - بعد أن غدا تشارلى عشيقها - فى منتهى السخف .. كانت لا تكاد تستطيع أن ترفع بصرها اليه دون أن تضحك لمنظره الرزين الوقور .. وبدأت تجد سعادة قصوى فى أن تقسو فى شعورها نحوه .. ولو انها لولاه - رغم كل شىء - ما عرفت تشارلى أبدا !.. ولقد ترددت بعض الوقت قبل أن تقدم على الخطوة النهائية ، لا **لانها كانت زاهدة فى الاستسلام لغرام تشارلى المشبوب - فقد كان هيامها به لا يقل تأججا - وانما لان تربيتها وجميع المبادىء التى اعتنقتها فى حياتها كانت تنفرها وتعوقها .. ولقد جاءت الخطوة النهائية عفوا ، اذ لم يفطن احد منهما الى الفرصة حتى وجدها أمــامه ماثلة .. وشد ما دهشت اذ تبينت ان شعورها بعد هذه الخطوة لم يختلف فى شىء عنه قبلهــا ! .. لقد كانت تتوقع ان ينتابها تغير خيالى - لم تدرك كنهه - يشعرها بانها**

ليست المرأة التى عهدتها من قبل .. فاذا بها تدهش ، كلما سنح لها أن ترى نفسها فى المرآة ، اذ ترى أمامها نفس المرأة التى رأتها فى اليوم السابق !

ولقد سألها تشارلى عقب تلك الخطوة : « أغاضبة أنت منى ؟ »

فهمست قائلة : « بل انى أعبدك ! »

ـ الا ترين انك كنت غبية جدا اذ أضعت علينا كل هذا الوقت ؟

ـ بل كنت غاية فى الغباء ..

- ١٦ -

◆ **وكانت** سعادتها تفيض أحيانا عما تستطيع أن تحتمل ، فتجدد من حسنها وجمالها .. وكانت قبيل زواجها قد بدأت تفقد شيئا من نضارة شبابها ، فبدت كليلة ، متراخية ـ بحيث زعم قساة القلوب انها بدأت تذبل ـ ولكن ما أعظم الفارق بين الفتاة ابنة الخامسة والعشرين وبين المرأة المتزوجة التى فى السن ذاتها ! .. لقد كانت كزهرة بدأت الصفرة تعدو على حواف أوراقها ، رغم انها لم تستكمل تفتحها ، ثم تحولت فجأة الى وردة فى أوج نضارتها : فاكتسبت عيناها الضيقتان نظرات جديدة حافلة بالمعانى ، وأصبحت بشرتها ـ التى كانت دائما مبعث فخرها وموضع عنايتها ـ تبهر الابصار بسناها ، بحيث يشبه بها الخوخ المتورد أو الزهرة ، وليست هى التى تشبه بهما ! .. لقد ارتدت تبدو كابنة الثامنة عشرة ، تتألق فى أوج فتنتها الباهرة ، حتى لقد كان من المستحيل أن لا تفطن العين الى ما أصابها من تحول .. فأخذت صديقاتها يسائلنها فى ود وهن ينتحين بها جانبا ، عما اذا كانت توشك أن تنجب طفلا ؟ .. وأصبحت المتجنيات اللاتى كن يقلن انها ليست سوى امرأة رشيقة ذات أنف طويل ، يعترفن بأنهن ظلمنها بهذا الحكم ! .. وبالاختصار فقد صارت ، كما وصفها تشارلى حين رآها للمرة الاولى ، ذات جمال باهر خلاب !

واستطاعا أن يخفيا علاقتهما بمهارة .. كان مركزه وسلطانه يحميانه كما كان يقول لها ، فليس يهمه هو من الامر شىء ، وانما كان عليهما ان يتجنبا أنفه مغامرة من أجلها هى .. ولم يكونا يلتقيان كثيرا على حدة ـ حتى ولا نصف المرات التى كان تشارلى يتوق اليها ! ـ اذ كان يؤثر ان يفكر فيها أولا .. وكانت هذه المقابلات القليلة تحدث أحيانا فى متجر العاديات والتحف .. أو فى دارها ، بين آن وآخر ، بعد الغداء ، عندما لا يكون ثمة رقيب .. على انها الى جانب ذلك كانت تراه كثيرا فى الاماكن العامة ، فكان يروق

لها أن تشهد الطريقة « الرسمية » التى كان يتحدث بها اليها ، فى رفق وتلطف ـ شأنه مع كل انسان فى العادة ـ وهل كان فى وسع أحد أن يتصور اذ يسمعه يثرثر معها بطريقته المرحة الساحرة ، انه كان يحتضنها قبل ذلك بوقت قريب ، فى وجد متقد ؟

وصارت تعبده .. كان رائعا فى حذاءيه العاليين وغطائى ساقيه وهو يلعب « البولو » .. وفى ثياب التنس كان يبدو مجرد غلام يافع .. والواقع أنه كان فخورا بشكله . وكان يتجشم عناء فى سبيل الاحتفاظ به ، فكان لا يأكل الخبز أو البطاطس أو الزبد على الاطلاق ، فى الوقت الذى يهتم فيه غاية الاهتمام بالتدريبات الرياضية .. وكانت تعجب بعنايته بيديه ، اذ كان يطلى أظافره فى كل أسبوع مرة ! .. ثم انه كان رياضيا رائعا ، فاز فى العام السابق ببطولة التنس المحلية .. كما كان ـ بالتـأكيد ـ أبرع راقصراقصته ! كان الرقص معه حلما عذبا .. وأخيرا ، ما كان أحـد ليظن أنه قد بلغ الاربعين .. ولقد انبأته مرة بأنها هى نفسها لاتصدق ذلك ، وأردفت : « أعتقد أنهـا خدعة ، وأنك لم تجاوز الخامسـة والعشرين ! » .. فضحك وقد طرب لذلك ، وقال : « أواه ياعزيزتى ان لى ابنـا فى الخامسة عشرة .. اننى رجـل فى أوسط العـمر ولن ألبث بعد عامين أو ثلاثة أن أغدو مسنا مترهلا »

ـ بل ستظل تدير الرؤوس حتى لو بلغت المائة !

وكانت تحب حاجبيه الاسودين الكثيفين ، وتتساءل هل هما اللذان يضفيان على عينيه الزرقاوين تلك النظرة التى يخيل اليك أنها تستشف مافى أعماقك ! ؟

ثم انه كان حاذقا فى كل شىء ، بحيث لم تكن تصدق أن ثمة شيئا لايستطيع أن يؤديه : كان يجيد العزف على « البيانو » ـ فى أوقات اللهو طبعا ـ وكان يغنى أغانى هزلية بصوت غنى النبرات ، وروح خفيفةمرحة .. هذا الى جانب أنه كان بارعا فى عمله ، وكم كانت تشاطره سروره كلما أخبرها مثلا بأن الحاكم قد عنى بتهنئته على الطريقة التى أدى بها مهمة عويصة ! .. كان يضحك وعيناه تومضان بالحب الذى يكنه لها ، وهو يقول : « ومع أننى أكره امتداح نفسى ، الا أنه لا يوجد فى الخدمة من كان يستطيع أن يؤدى هذه المهمـة خيرا مما فعلت ! »

أواه ! .. لشد ما صارت تتمنى لو أنها كانت زوجته ، وليست زوجة وولتر !

- ١٧ -

◆ **لم** يكن من المؤكد أن « وولتر » قد ألم بالحقيقة فى عصر ذلك اليوم الذى فوجىء فيه العاشقان بحركة مقابض الابواب .. واذا لم يكن قد ألم بها ، فلعله كان من الخير ترك المسألة جانبا ، أما اذا كان قد فعل ، فلا بأس ، قد يكون هذا أفضل بالنسبة لهم جميعا .. فلقد كانت كيتى فى البداية قانعة ـ ان لم تكن راضية ـ بأن لاترى تشارلى الا خلسة ، بيد أن الزمن أذكى وجدها ، فأخذ صبرها يزداد نفادا ـ منذ أمد ـ ازاء العقبات التى كانت تحول دون أن يكونا معا على الدوام ! .. وكثيرا ما كان يقول انه يلعن مركزه الذى يضطره الى التزام هذا التكتم ، ويلعن الروابط التى تقيده ، والروابط التى تقيدها .. ويحلم بسعادتهما فيما لو كانا طليقين !

ولقد قدرت وجهة نظره ، فليس من انسان يرغب فى الفضيحة ، كما أن الاقدام على تغيير مجرى حياتك يقتضيك بالطبع تفكيرا طويلا .... ولكن .. كم يصبح كل شىء سهلا لو أن الحرية فرضت عليهما فرضا ! .. **ولم يكن يبدو أن أحدا منهما سيتألم كثيرا لهذا .. فقد كانت كيتى تدرك تماما مدى علاقة تشارلى بزوجته ، وكيف كانت هذه فاترة العواطف حتى لقد انقضت سنوات لم يقم بينهما خلالها حب أو علاقة غرام ! .. والواقع أنه لم يكن يستبقيهما على رباط معا سوى حكم العادة .. والاولاد طبعا ! .. ومن ثم كان التحرير بالنسبة لتشارلى أهون منه بالنسبة لها ، وهى التى كان زوجها وولتر مدلها فى هواها .. بيد أنه كان من ناحية أخرى مستغرقا فى عمله ، لايكاد يشغل بسواه اللهم الا بالمنتدى طبعا .. ولعله سوف يصدم فى البداية ، ولكنه لن يلبث ان يتغلب على الصدمة ، وليس ثمة ما يحول بينه وبين أن يتزوج ثانية من سواها .. ولقد قال لها تشارلى أنه لايكاد يفهم كيف قبلت أن تلقى بنفسها الى « هاوية » الزواج من وولتر فين !**

وعجبت ، وقد ابتسمت هونا ما ، مما اعتراها قبيل ذلك بقليل من ذعر حين قدرت ان وولتر قد « ضبطهما ! » .. كان من المفزع حقا ان ترى أكرة الباب تتحرك فى تؤدة ، ولكنهما كانا ـ بعد كل هذا ـ يدركان أسوأ ما يمكن ان يفعله « وولتر » .. وكانا على أهبة لملاقاته ، فان تشارلى لن يكون أقل منها ارتياحا حين يفرض عليهما ماكانا يشتهيانه أكثر من أى شىء فى دنياهما !

لقد كان وولتر رجلا شهما مهذبا ، ومن الانصاف أن تعترف له بهذا.. وكان يحبها ، ومن ثم فسوف يفعل ما ينبغى ان يفعل ، فيدعها تطلقه ،

اذ أنهما ارتكبا خطأ بزواجهما ، وكان من أسعد الامور أنهما تبيناه قبل أن يمتد بهما اجل الايغال فيه ..

وأخذت تحدد فى ذهنها ما ستقوله له ، وكيف تعامله .. ستكون مترفقة ، باسمة ، حازمة .. فليست بهما حاجة الى ان يتشاجرا .. ولسوف يسرها – بعد الطلاق – ان تراه دائما .. بل انها رجت مخلصة صادقة أن تظل للعامين اللذين قضياهما معا ، ذكرى غالية فى نفسه ! ..

وقالت لنفسها وهى تفكر : « **ما أظن دوروثى تاونسند تأبه للطلاق من تشارلى .. فان ابنهما الاصغر راحل الى انجلترا ، ومن الخير لها ان ترحل معه هى الاخرى ، فليس لديها ما تفعله اطلاقا فى هونج كونج ، وانما سيغدو فى وسعها أن تقضى كل العطلات مع أولادها .. ثم ان اباها وامها يقيمان فى انجلترا .. »**

اذن فقد كان الامر سهلا للغاية ، ومن الممكن تدبير كل شىء دون ما فضيحة او ضغينة ، فلا تلبث أن يصبح فى وسعها وتشارلى ان يتزوجا ! .. وتنفست كيتى الصعداء .. لسوف يكونان فى أوج السعادة .. وكانت هذه الغاية تستحق ان يخوضا من أجلها بعض المتاعب .. واخذت الرؤى تتتابع عليها متلاحقة ، متداخلة بعضها فى بعض : فكرت فى الحياة التى سيعيشانها معا .. فى المسرة التى سيحظيان بها ، وفى الرحلات القصيرة التى سيقومان بها معا .. فى البيت الذى سوف يقيمان فيه .. فى المركز الذى سيرقى اليه ، وفى المعونة التى ستبذلها من أجله .. لسوف يفخر بها كل الفخر .. أما هى .. فسوف تعبده !

بيد أن مسا من القلق كان يسرى فى جميع هذه الرؤى من أحلام اليقظة .. كانت احلاما بهيجة ، كأنما كل شىء حولها كان يبعث أعذب الالحان .. ولكن ، فى قرار تلك الانغام كان ثمة دوى خافت ، منفر ، كئيب .. فان وولتر لن يلبث ان يعود الى البيت ، ان عاجلا او آجلا !.. **وتسارعت خفقات قلبها وهى تتصور لقاءه .. كان من الغريب ان انصرف بعد ظهر ذاك اليوم دون ان يقول لها كلمة ما .. وراحت تردد لنفسها انها بطبيعة الحال لم تكن خائفة منه ، اذ ماذا يستطيع ان يفعل ، على أسوأ الافتراضات ؟ .. غير انها عجزت عن ان تطامن من هواجسها .. وراحت تكرر من جديد ما اعتزمت ان تقول له : ما جدوى اثارة ضجة ؟.. انها جد آسفة ، ويعلم الله انها ما أرادت ان تسبب له ألما ما .. ولكنها لم تكن تملك من امرها شيئا ، اذ لم تقو على ان تحبه .. وما كان ثمة خير يرجى من التكلف والمداراة ، بل ان من الافضل دائما الاعتراف بالحقيقة .. وانها لترجو ان لا يشقى ، فلقد اشتركا معـــا فى الخطأ اذ تزوجا ،**

وليس افضل من الاقرار بذلك .. ولسوف تظل تذكره دائما بالخير !

وغشيتها لفحة من الخـوف المباغت ، رغم انها ما كانت تحـدث الا نفسها ! .. فاذا العرق يتفصد من ابهامى يديها .. واحست بالحنق والغضب يشتدان فى اعماقها عليه ، من فرط خوفها منه ! اذا شاء ان يثير ضجة ، فليكن له ما أراد ، والذنب ذنبه .. ولا ينبغى له ان يدهش اذا استجلب على نفسه اكثر مما كان يرجو .. لسوف تقول له انهـا ما حفلت به قط ، وانه لم يمر بها منذ زواجهمـا يوم لم تندم فيه على زواجها منه ! .. كان غبيا بليد الحس ، ولكم بعث الملل الى نفسها !.. لكم اضجرها !.. كان يعتبر نفسه افضل بكثير من سواه ، وما ادعى هذا للضحك ! .. انه لم يؤت قط اى قسط من المرح وتذوق الفكاهة .. ولقد كانت تكره تزمته ، وبروده ، ورزانته .. وما اسهل ان يتخذ المرء سـمة الرزانة اذا كان لا يهتم او يعنى باى شىء ، او اى شخص ، عدا نفسه !.. كان وولتر يثير تقززها ، حتى انها كانت تكره ان تدعه يقبلها .. ففيم كان غروره اذن ، وبم كان يزدهى ويتيه ؟.. كان جاهلا فى الرقص ، جامد الروح فى الحفلات، لايلعب ولا يغنى ، ولا يمارس « البولو » ، ولايتفوق على سواه فى التنس » ، أفكان يحذق «البريدج» ؟ .. ربما ، ولكن منذا الذى يحفل بالبريدج ؟

وهكذا راحت «كيتى» تذكى جذوة ثورتها .. فليجرؤ على ان يلومها ! .. لقد كان كل ما حدث نتيجة خطئه هو ، وانما لتشعر بارتياح لكونه عرف الحقيقة اخيرا ، فقد كانت تكرهه وتتمنى لو انها لا تراه ثانية قط ! .. أجل .. كانت مغتبطة لان كل شىء قد انتهى .. لم لا يدعها وشأنها ؟ .. لقد ضايقها حتى ارتضت الزواج منه ، ولكنها الان بلغت اقصى درجات الملل والضجر ..

ورددت لنفسها بصوت عال وهى ترتعش غضبا : «لقد سئمت .. سئمت .. سئمت ! »

ثم تناهى اليها صوت السيارة تقف لدى باب حديقة الدار .. وسمعته يصعد السلم !

- ١٨ -

◆ **وولج** الغرفة ، فاذا قلبها يخفق فى عنف ، ويداها ترتجفان ـ ومن حسن الصدفة انها كانت مستلقية على الاريكة ، وقد امسكت بكتاب مفتوح كما لو كانت تقرأ ـ ووقف وولتر على العتبة لحظة ، ثم التقت أنظارهما .. وغاص قلبها ، وأحست فجأة بقشعريرة تسرى فى اوصالها فارتعشت .. وساورها ذلك الشعور الذى تعبر عنه بقولك : «كأن امرؤا يمشى على قبـرى ! »

كان وجهه فى شحوب الموتى ٠٠ فهى لم تره كذلك من قبل الا مرة واحدة ، يوم كانا يجلسان فى المنتزه ، فسألها أن تقبل الزواج منه ٠٠ والان لاحت لها عيناه السوداوان ، الجامدتان ، الفامضتان ، كما لو كانتا اكتسبتا اتساعا غير طبيعى ٠٠ كان يعرف كل شىء !

وقالت فى تكلف : «لقد عدت مبكرا ٠٠»

وارتجفت شفتاه حتى كادت لا تستبين كلماته وهو يجيبها : «اظننى جئت فى موعدى المعتاد تقريبا ٠٠»

وتولاها الفزع ، حتى خشيت ان تفقد الوعى ٠٠ وبدا صوته غريبا فى اذنيها ٠٠ سيما حين ارتفع عند الكلمة الاخيرة فى جهد اراد ان يغالب به ما كان يخالجه ، ولكنها ادركت انه اغتصبه من حلقه اغتصابا !٠٠ وساءلت نفسها عما اذا كان قد رأى كل جارحة فى جسدها وهى ترتجف ٠٠ ولم تغالب الصرخة التى كادت تند عنها الا بجهد !

وغض بصره قائلا : « سأذهب لاستبدل ثيابى للعشاء » ٠٠ ثم فارق الحجرة وهى مضعضعة الحواس ، حتى لقد ظلت دقيقتين او ثلاثا لا تقوى على الحراك ٠٠ ولكنها لم تلبث ان رفعت جسدها عن الاريكة فى عناء ، وكأنها برئت حديثا من مرض أورثها ضعفا ، ونهضت على قدميها ، وهى لا تدرى ان كانت ساقاها تقويان على حملها ٠٠ وراحت تستند الى المقاعد والمناضد ميممة شطر الشرفة ، ثم اعتمدت الحائط بيدها ، ومضت الى غرفتها ، فارتدت ثوبا مما يرتدى فى مناسبة تناول الشاى - فى ساعات الاصيل - حتى اذا عادت الى غرفة زينتها ألفته واقفا الى جوار المائدة ، يتأمل الصور فى مجلة «سكيتش» ٠٠ واستجمعت كل قواها لتدفع نفسها الى داخل الغرفة ، بينما ابتدرها هو قائلا : «هل نهبط ؟ ٠٠ احسب ان العشاء معد ؟ »

- هل تركتك تنتظر طويلا ؟

وضايقها ان لم تقو على السيطرة على رجفة شفتيها ! ٠٠ ترى متى يتكلم فيبدد هذا الانفعال ؟ ٠٠ وجلسا ٠٠ وسادهما الصمت لحظة ، ثم ابدى ملاحظة قطع بها حبل الوجوم ، ولكن تفاهة الملاحظة جعلت لها جوا موحشا ٠٠ اذ قال : «لم تصل الباخرة (امبريس) اليوم ٠٠ واخشى ان تكون قد عاقتها عاصفة»

- هل كانت مرتقبة اليوم ؟

- اجـل ٠٠

وتطلعت اليه اذ ذاك ، فرأت عينيه مثبتتين على طبقه ٠٠ وأبدى ملاحظة اخرى ، تشبه الاولى فى تفاهتها ، اذ كانت تدور حول مباراة دورية للتنس توشك ان تبدأ ، فتكلم عنها واطال الحديث ٠٠ وكان صوته عادة مقبولا ،

غنيا بالنبرات ، ولكنه اقتصر فى هذه المرة على نبرة واحدة ، فبدا غير طبيعى الى درجة غريبة ، جعلت كيتى تشعر كأنه كان يتكلم من بعد سحيق ! ..
وكانت عيناه طيلة الوقت تتجهان الى طبقه ، او المائدة ، او صورة على الجدار .. كان يتحاشى ان يلتقى بصره ببصرها .. وتبينت انه لا يقوى على ان ينظر اليها ! .. حتى اذا ما فرغا من العشاء ، سألها : «هل نصعد الى الطابق العلوى ؟ »

فاجابته : «اذا كان هذا يروق لك»

ونهضت ، ففتح الباب وامسك به كى تمر ، وهو يغض بصره ، واذ بلغا قاعة الجلوس تناول الصحيفة المصورة من جديد ، وتساءل « أهذا عدد جديد من «سكيتش» ؟ .. ما اظننى رأيته من قبل»

فقالت : «لست ادرى .. فما فطنت الى وجوده»

كانت المجلة ملقاة على المنضدة منذ اسبوعين ، وكانت كيتى تعرف انه تصفحها صفحة صفحة من قبل .. ومع ذلك فقد أمسك بها وجلس يتشاغل بالنظر اليها .. واستلقت هى من جديد على الاريكة ممسكة بكتابها ، مع انه كان من عادتهما ، اذا مكثا وحيدين فى المساء ، ان يلعبا «الكونكان» او لعبة «الصبر» .. ولكنه الليلة اضطجع فى المقعد الوثير ، فى وضع مريح ، وبدا مستغرقا بكل انتباهه فى الصورة التى كان ينظر اليها .. لكنه لم يقلب الصفحة !.. وحاولت هى من ناحيتها ان تقرأ ، فلم تتبين الحروف الماثلة امام عينيها ، ولاحت لها الكلمات مهتزة .. بل احست برأسها يؤلمها فى قسوة وهى تسائل نفسها : متى تراه يتكلم ؟

وجلسا ساعة فى صمت .. وتنحت كيتى عن اصطناع القراءة وتركت الرواية تسقط فى حجرها لتتطلع الى الفضاء ، وقد تولاها خـــوف من ان تصدر عنها اتفه حركة او اتفه صوت .. اما هو فجلس هانئا فى ذلك الوضع المريح ، وراح يحدق فى الصورة بعينيه الجامدتين الواسعتين .. وبدا لها صمته غريبا رهيبا ، كأنه وحش يتأهب للانقضاض !

واجفلت عندما نهض فجأة ، فضمت قبضتى يديها فى شدة ، وأحست بالدماء تغيض من وجهها ، وقد خيل اليها ان اللحظة قد حانت ! ولكنه قال فى صوت هادىء ، اجوف ، وعيناه تتحاشيانها : «لدى بعض العمل ، لذلك سآوى الى حجرة المكتب اذا لم يكن لديك مانع .. واظن انك ستكونين قد أويت الى مضجعك عندما أفرغ ..»

ــ اننى متعبة الليلة بالفعل ..

ــ حسنا .. عمى مساء ..

ــ عم مساء ..

وبارح الحجرة !

- ١٩ -

◆ **اتصلت** كيتى تليفونيا بتاونسند فى اول فرصة سنحت لها فى الصباح التالى ، فبادرها متسائلا : « نعم .. ماذا لديك ؟ »

– أريد ان اراك ..

– اننى جد مشغول يا عزيزتى .. فانا رجل جم الاعمال

– ولكنه امر عظيم الاهمية .. هل استطيع ان اوافيك فى مكتبك ؟

– اوه .. لا .. ماكنت لافعل ذلك لو كنت فى موضعك

– اذن ، فتعال الى هنا ..

– ليس فى وسعى مفارقة مكتبى .. ما رأيك فى ان نلتقى بعد ظهر اليوم ؟.. ثم ألا ترين من الخير أن لا آتى الى دارك ؟

– بل يجب ان أراك فورا !

وران الصمت برهة ،خشيت معها ان يكون الاتصال قد انقطع ، فهتفت فى قلق : «أو لا تزال متصلا بى ؟ »

– أجل .. كنت افكر .. هل حدث شىء ؟

– لا استطيع ان اخبرك خلال التليفون ..

وساد الصمت برهة اخرى قبل ان يستأنف الكلام قائلا : **«حسنا ، اسمعى .. أستطيع أن أدبر أمورى بحيث أراك فى الساعة الواحدة الا عشر دقائق .. فيحسن أن تذهبى الى « كو – تشو » وسأوافيك هناك بأسرع ما أستطيع »**

فتساءلت فى استياء : « فى متجر العاديات ؟ »

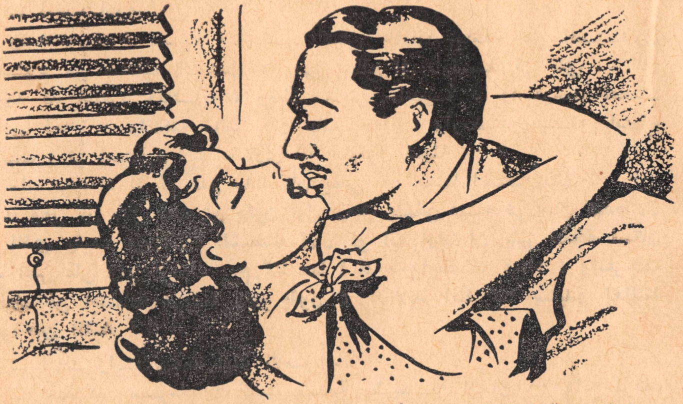
فاجاب : « وما الحيلة اذا لم يكن فى وسعنا ان نلتقى فى بهو فندق « هونج كونج » فى امان ؟ »

وبدا لها اثر من الضيق فى صوته ، فقالت : «حسن جدا .. سأذهب الى متجر كو – تشو »

❉

◆ .. **وهبطت** من «الريكشو» – العربة التى يجرها الخدم – فى طريق «فيكتوريا» ، ثم اجتازت الحارة المنحدرة الضيقة حتى بلغت المتجر .. وترددت فى الخارج برهة كأنما اجتذبت التحف المعروضة انتباهها ، ولكن فتى كان يقف خارج المتجر لدعوة الزبائن عرفها فابتسم لها فى تملق ، ووجه بضع كلمات بالصينية الى شخص داخل المتجر ، فاذا صاحبه – الذى كان رجلا ضئيل الجسم بدين الوجه ، فى ثوب أسود فضفاض – يخرج اليها ويحييها فأسرعت بالدخول .. وقال الرجل فى انجليزية مهشمة : «لم يأت مستر تاونسند بعد .. هل تصعدين ؟»

فسارت الى مؤخرة المتجر ، ثم صعدت السلم الواهى المعتم ٠٠ وتبعها الصينى ففتح لها الباب الذى افضى الى حجرة نوم مكتومة الهواء ، تشيع فيها رائحة الافيون الحادة ٠٠ وهناك جلست على صندوق من خشب الصندل ٠٠ وان هى الا لحظة حتى سمعت وقع قدمين ثقيلتين كانت درجات السلم تئن تحتهما ٠٠ وأقبل تاونسند ، فأغلق الباب خلفه ٠٠ وكانت على وجهه سحابة قاتمة ، تلاشت اذ رآها ، فابتسم بطريقته المألوفة الفاتنة واحتضنها



بين ذراعيه بقوة فقبلها ثم سألها : « والآن ماذا يضايقك ؟ »

فابتسمت قائلة : «ان رؤيتك كافية لان تسرى عنى»

وجلس على السرير ، واشعل سيجارة ، ثم قال : «انك تبدين شاحبة بعض الشىء فى هذا النهار»

فأجابت : « لا عجب ٠٠ فما اراني اغمضت جفنا طيلة الليل ! »

ورمقها وهو لا يزال يبتسم ، بيد ان ابتسامته بدت مصطنعة ، غير طبيعية .. وخيل اليها أن ظلا من القلق بدا فى عينيه .. واردفت : « انه يعرف ؟ » !

ورأت لحظة صمت قبل أن يجيب قائلا : « وماذا قال ؟ »

– لم يقل شيئا ..

فتطلع اليها فى حدةوتساءل : « ماذا ؟..وماذا يجعلكتظنين انهيعرف؟ »

– كل شىء : نظرته ٠٠ لهجته فى الكلام أثناء العشاء ٠٠

– هل كان يبعث على الضيق ؟

ـ لا .. بالعكس .. كان مؤدبا بدرجـة تبعث على الريب ، ولاول مرة منذ زواجنا لم يقبلنى وهو يحيينى قبل النوم !

وغضت بصرها .. لم تكن واثقة من أن تشارلى فهم ماوراء ذلك ، فقد كان « وولتر » يحرص على أن يحتضنها ويلصق شفتيه بشفتيها فـلا يفلتهما .. وجسمه يلين كأنه ينصهر بالوجد الذى تثيره القبلة ..

وسألها تاونسند : « ولم تتوهمين أن لديه شيئا لم يقله ؟ »

ـ لست أدرى ..

وسادت فترة صمت ، جلست كيتى خلالها جامدة على الصنـدوق المصنوع من خشب الصندل ، وهى تتطلع الى تاونسند فى قلق .. كان وجهه قد استرد اكتئـابه ، وقطب مابين حاجبيـه ، واسترخت أعصاب ركنى فمه .. ولـكنه مالبث أن تطلع فجأة ، وأومضت عينـاه بابتهاج خبيث ، ثم استطرد : « ما ارى أنه سيقول شيئا .. »

ولم تجب ، اذ لم تدر ماذا كان يعنى .. بينما اضاف قائلا :

« وعلى كل حال فانه لن يكون أول رجل يغمض عينيه فى حال كهذه .. ما الذى يفيده من اثارة الشحناء ؟.. لو أنه أراد أن يثير ضجة لـكان قد أصر على ولوجغرفتك يوم كنا معا ! » ..واومضت عيناه ، وانفرجت **شفتاه عن ابتسامة عريضة وهو يقول : « لابد أننا كنا سنبدو لحظتئذ نموذجين للغباء ! »**

ـ ليتك رأيت وجهه ليلة الامس ..

ـ لعله كان مهموما .. كانت صدمة بطبيعـة الحال .. وانه لموقف مهين لاى رجل .. لـكن « وولتر » لا يوحى لى بأنه من الرجال الذين يعمدون الى غسل ثيابهم القذرة امام الملا !

فأجابت وهى مستغرقة فى التفكير : « ما أظنـه يفعـل .. انه شديد الحساسية .. لقد تبينت ذلك »

ـ هذا خير وأفضل بالنسبة لنا .. الا ترين أن من حسن التـدبير أن تضعى نفسك فى موقف غيرك ، وان تسألى نفسك عما تفعلين لوكنت فى مكانه ؟.. ليس ثمة سوى طريقة واحدة يستطيع بها أى رجل أن يصون كرامته اذا ما وجد نفسه فى مثل هذا الـوضع ، وهى أن يصطنع الجهل بكل شىء ! .. وأراهنك بأى شىء أن هذا عين ما سوف يفعـله ..

وكان تاونسند كلما مضى فى الـكلام تزايد ابتهاجه ، فلمعت عينـاه الزرقاوان ، واسترد مرحه ولطفه ، فأشاعجوا من الطمأنينة المشجعة.. وراح يقول : **« يعلم الله اننى لا أحب أن أغض من شـأنه ، ولـكنك اذا راعيت الناحيةالرسمية لوجدت أن الطبيب « البكتريولوجى » ليس بذى مكانة تذكر .. بينما الظروف كلهـا توحى باننى سأغدو حاكما اذا**

ما عاد ((سيمونز)) الى الوطن ، ومن مصلحة ((وولتـــر)) أن يكون على وئام معى ٠٠ فان عليه أن يفكر فى مصدر عيشه ، كما نفعل جميعا ٠٠ افتظنين أن وزارة المستعمرات تقدر رجلا يثيرفضيحة ؟٠٠ صدقينى انه يستطيع أن يكسب كل شىء اذا ماامسك لسانه ٠٠ وان يخسر كل شىء اذا أثار ضجة !))

وتململت ((كيتى)) ٠٠ كانت تعرف مدى خجل ((وولتر)) ، وتكاد تؤمن بأن الخوف من الفضيحة ، والذعر من اثارة انتباه النـــاس ، يسيطران عليه ٠٠ ولـــكنها لم تكن تعتقد أنه يحفل بالتفكير فى النفع المادى الذى يعود عليه ٠٠ وقد يكون من المحتمل انها لم تعرفـه حق المعرفة ٠٠ ولـكن تشارلى لم يعرفه اطلاقا !

وسألته : ((هل خطر ببالك انه مجنون بحبى ؟))

ولم يجب ، بل رمقها بنظرة مبتسمة من عينيه الماكرتين ٠٠ وكانت تعرف هذه النظرة الساحرة وتحبها ٠٠ فقـالت : ((حســـنا ، ماذا لديك ؟٠٠ اعلم انك توشك أن تنطق بشىء خطير))

ـ أريد أن اقول ان النساء كثيرا مايوحين الى انفسهن بأن الرجال يهيمون بهن اكثر مما هم فى الواقع !

وضحكت للمرة الاولى ٠٠ كانت ثقته توحى اليهـــا بالطمأنينة ٠٠ وقالت : ((ما أقبح ماتقول !))

ـ بل اصارحك انك لمتكونى تحفلين بزوجك كثيرا فى الفترةالاخيرة٠٠ فلعله لم يعد مدلها بك بالقدر الذى كان عليه ٠

ـ مهما تكن الظروف ، فلن اخـــدع نفسى أبدا بأنـك متيم بى الى درجة الجنون !

ـ تخطئين فى هـــذا ٠٠

ولذ لها أن تسمعه يقول ذلك ، وان كانت تعلمه من قبل ، وأحسست أن ايمانها بوجده يغمر قلبها بالدفء ٠٠ وكان قد نهض عن السرير أثناء الحديث وجلس الى جوارهاعلى الصندوق المصنوع من خشبالصندل٠٠ ثم أحاط جيدها بذراعه ، وقال :

ـ لاتتعبى مخيلتك الصغيرة الحمقاء لحظة بعـد الآن .. أعدك بأنه لن يكون ثمة مايخشى ٠٠ اننى واثق كل الثقة من انه سيتظاهر بأنهلايعرف شيئا ٠٠ فأنت تعرفين ان مثل هذا الامر يتعذر اثباته ٠٠ ثم انـك تقولين انه يحبك ، فلعله لذلك لايحب أن يفقدك نهائيا ٠٠ اقسم اننى كنت أوثر أن أقبـل هذا لو أنك كنت زوجتى !

ومالت عليـه ٠٠ ودب الوهم فى جسمها لمجرد لمسها جسمه ٠٠ كان الحب الذى تحسه نحـوه يبلغ مبلغ العذاب ٠٠ ولقد أوحت اليها كلماته

الاخيرة بأن من المحتمل ان وولتر كان مشبوب الغرام بها الى درجــة تجعله على استعداد لان يقبل كل مهانة وصغـــار ليحظى بهـــا فى بعض الاحيان !٠٠ ولقد كان فى وسعها ان تقدر شعوره هذا ، لانه عين شعورها نحو تشارلى !٠٠ وسرت فى جسدها رجفة مزهوة ، كما خالجها فى الوقت ذاته شعور واهن من الازدراء نحو الرجل الذى يسمح لحبها بأن يستعبده الى هــذه الدرجــة !

وأحاطت عنق تشارلى بذراعها فى هيام وقالت : « يالك من رائع .. كنت أرتجف كورقة فى مهب الريح ، حين جئت .. فاذا بك تصلح كل شىء ! »

فاحتوى وجهها بين راحتيه ، وقبل شفتيها مغمغما : « يا حبيبتى ! »

وزفرت هامسة : « لشد ماتبعث الطمأنينة فى نفسى ! »

ـ اننى متأكد من ان لاحاجة بك الى أن ترهقى اعصابك ٠٠ وانــك لتعرفين اننى سأقف الى جوارك ، ولن اتخلى عنك ٠٠

وطرحت عنها هواجسها ، وان خالجها ـ لحظة ـ أسف لا مبرر له على ما اصاب الخطط التى رسمتها للمستقبل من تصدع ٠٠ واذ انجاب عنها كل شعور بالخطر ، غدت تتمنى لو أن « وولتــر » وطن عزمه على الاصرار على الطلاق !

وقالت : « أعلم ان بوسعى ان أعول عليك ٠٠ »

ـ هــذا ما آمله ٠٠٠

ـ الا ينبغى أن تنصرف الآن لتتناول غداءك .. ؟

ـ أواه !٠٠ ليذهب غدائى الى الشيطان !

وشدها اليه ، حتى الصقها به ، وراح فمه يبحث عن فمها ٠٠ فهتفت فى وهن : « أواه ياتشارلى ٠٠ دعنى اذهب »

ـ أبدا !٠٠

واطلقت ضحكة قصيرة خافتة ٠٠ ضحكة أطلقهـــا الهنـاء فى الحب ، والشعور بالفوز .. وكانت عيناه تفيضان بالرغبة .. فأنهضـــها علـى قدميها ، وظل يشـــدها الى صدره لا يفلتهـــا .. بينما امتدت يده توصد الباب بالمفتاح

ـ ٢١ ـ

◆ **ظلت** كيتى طيلة الوقت ـ بعد ظهر ذلك اليوم ـ تفكر فيما قاله تشارلى عن وولتر .. كان من المقرر أن يتناولا العشاء فى تلك الليلة خارج الدار ، لذلك كانت قد اتمت ارتداء ثيابها حين عاد وولتر من المنتدى وطرق بابها ، فهتفت : « ادخل » .. بيد أنه لم يفتح الباب ، بل قال من ورائه :

ـ سأبادر بارتداء ثيابى .. كم من الوقت يلزمك ؟

ـ عشر دقائق ...

ولم يعقب ، بل اتجه لفوره الى غرفته .. كانت فى صوته تلك اللهجة المتحفظة التي سمعتها فى الليلة السالفة ، لكنها الان غدت فى أتم اطمئنان الى نفسها .. وسبقته فى التأهب ، فلما هبط السلم ، ألفاها جالسة فى السيارة .. فقال : « اخشى أن أكون قد تركتك تنتظرين »

فأجابت وقد تمكنت من الابتسام : « لم يضجرنى ذلك » ..

وأبدت ملاحظة أو اثنتين وهما يهبطان التل بالسيارة ، ولكنه أجاب عنهما فى اقتضاب ، فهزت كتفيها .. كانت قد بدأت تفقد حلمها قليلا : لئن كان راغبا فى التجهم والعبوس ، فليكن له ما اراد ، ولن تحفل به !.. وسادهما الصمت حتى بلغا غايتهما .. كانت ثمة حفلة عشاء كبيرة ، وكان هناك حشد كبير من الناس ، ومجموعة شهية من ألوان الطعام .. وراحت كيتى ترقب وولتر وهى تثرثر فى مرح مع جيرانها .. كان وجهه عابسا شديد الاصفرار !.. وسمعت من يقول لها : « أن زوجك يبدو شاحبا .. ظننته لايتأثر بحرارة الجو .. أهو يرهق نفسه بالعمل ؟ »

ـ انه دائما يعمل جاهدا ..

ـ ظنك سترحلين الى الخارج قريبا ؟

فقالت : « آه .. أجل ، أظننى سأذهب الى اليابان كما فعلت فى العام الماضى .. فان الطبيب يقول ان لابد لى من الفرار من الحر اذا شئت أن لا تنهار صحتى .. »

ولم ينظر اليها وولتر مبتسما بين آن وآخر كعادته حين كانا يتناولان العشاء فى الخارج .. قط لم ينظر اليها !.. وكانت قد لاحظت انه تحاشى النظر اليها حين لحق بها فى السيارة ، وفعل نفس الشىء حين بسط لها يده فى أدبه المألوف يساعدها على النهوض .. فلما جلس الجميع حول المائدة ، لم يبتسم وهو يتحدث الى الجالستين الى جانبيه ، وانما كان ينظر اليهما بعينين جامدتين لا تطرفان .. وكانت عيناه تبدوان عظيمتى الاتساع حقا ، وكأنهما قطعتان من الفحم الاسود فى ذلك الوجه الشاحب .. كان وجهه جامدا قمطريرا !

وقالت كيتى لنفسها فى سخرية : «ياله من رفيق مسل !» .. ولم يغير من رأيها أن السيدتين السيئتى الحظ اللتين كانتا تجلسان الى جانبيه راحتا تحاولان مجاذبة ذلك الوجه العابس أطراف الحديث ..

انه ولابد كان على علم .. لم يكن ثمة شك فى ذلك .. لابد انه كان ساخطا عليها .. لم لم يفضفض بشىء ؟ .. أكان ذلك لانه ـ رغم غضبه وألمه ـ كان يحبها الى درجة تجعله يخاف ان تهجره ؟.. وجعلتها هذه الفكرة

اكثر شعورا من قبل بشيء من الازدراء نحوه !.. ولكنه ازدراء خال من سوء النية ، فهو رغم كل شيء زوجها الذى يوفر لها المأوى والسكن .. وانها لعلى استعداد لان تتلطف معه طالما حرص على عدم التدخل فى شئونها ، وتركها تفعل ما تشاء .. ومن ناحية اخرى ، لعل صمته راجع الى افراطه فى الخجل وحسب ؟ .. لقـــد كان تشارلى مصيبا اذ قال أن ليس من مخلوق يكره الفضيحة قدر وولتر .. انه قط لم يلق فى مناسبة خطابا استطاع ان يتفاداه .. ولقد انبأها مرة انه استدعى يوما للشهادة فى احدى القضايا ، فظل اسبوعا قبل القضية ، لا يكاد ينام ! كان خجله نوعا من المرض ..

وثمة شيء آخر .. ان الرجال مغرورون فى انفسهم ، ومن المحتمل ان يقنع وولتر بتجاهل ما حدث طالما ان احدا لم يدر بشيء !.. وساءلت كيتى نفسها اذ ذاك عما اذا كان تشارلى قد الهم الصواب حين اشار الى ان وولتر كان مضطرا الى أن يقدر مصدر عيشه ؟ .. لقد كان تشارلى ابرز شخصية فى المستعمرة ، ولن يلبث ان يصبح فى القريب حاكما ، واذ ذاك يغدو عظيم النفع لوولتر .. كما انه يستطيع – من ناحية اخرى – ان يجعل نفسه مصدر تعب لوولتر اذا شاء هذا ان يركب رأسه ! .. وخفق قلبها جذلا اذ فكرت فى قوة عاشقها وقدرته على التدبير .. كانت تحس بين ذراعيه القويتين بانها عزلاء لا حول لها ولا قوة .. ما اعجب الرجال !.. ما كان ليخطر ببالها ابدا ان وولتر يهوى الى مثل هذا الهوان .. ومع ذلك ، فمن يدرى ؟ .. لعل مظهره الوقور لم يكن سوى قناع يخفى طبيعة وضيعة ، حقيرة ، مخزية .. وكانت كلما فكرت فى ذلك ، ازدادت ميلا الى الايمان بصدق تشارلى .. وحولت نظرها مرة اخرى الى زوجها فى غير ما رفق او تسامح ..

وكانت المرأتان الجالستان الى جانبيه قد تحولتا فى تلك الاثناء الى جاريهما وأخذتا تبادلانهما الحديث .. بينما بقى هو وحيدا ، يحدق فى الفضاء امامه ، وقد نسى المأدبة ، وفاضت عيناه بحزن قاتل ، هز قلب كيتى !

— ٢٢ —

◆ **كانت** كيتى مستلقية بعد غداء اليوم التالى مغفية ، حين أيقظتها طرقة على بابها ، فصاحت فى انفعال : « من هناك ؟ ! » .. ولم تكن قد اعتادت أن يزعجها أحد فى مثل تلك الســاعة .. وسمعت صوت زوجها يقول : « أنا » .. فأسرعت تجلس وصاحت : « أدخل » .. فسألها وهو يغلق الباب خلفه : « هل أيقظتك ؟ »

فأجابت باللهجة الطبيعيــة التى انتهجتها معه فى اليومين الاخيرين : «اجل ، ان شئت الواقع»

ـ هلا اتيت الى الحجرة المجاورة ، اذ اريد ان اتحدث اليك قليلا

واشتدت دقات قلبها فى صدرها فجأة ، وقالت : «سأرتدى ثوبا وألحق بك »

وتركها ، فدست قدميها ، العاريتين فى نعلين ، ولفت جسدها فى غلالة «كيمونو» .. ثم أطلت فى المرآة ، فاذا هى شديدة الشحوب،فوضعت بعض الطلاء الاحمر على وجهها .. ووقفت لدى الباب لحظة تستجمع اعصابها للمقابلة .. ثم لحقت به بوجه تجلت عليه الجرأة المجردة من الحياء ..

وبادرته : «كيف أستطعت ان تفادر المعمل فى هذه الساعة ؟.. ما اعتدت ان اراك كثيرا فى هذا الوقت من النهار ؟»

ـ هلا جلست ؟

ولم ينظر اليها .. كان يتكلم بلهجة رصينة مهيبة ، فسرها ان تستجيب، اذ كانت ركبتاها قد شرعتا ترتجفان .. ولاذت بالصمت ، عجزت عن المضى فى لهجتها الساخرة .. وجلس هو بدوره ، ثم اشعل سيجارة .. وراحت عيناه تتنقلان فى ارجاء الحجرة فى غير استقرار .. بدا انه يعانى مشقة فى فتح باب الحديث .. وفجأة تطلع اليها محملقا فى وجهها ، فاذا نظراته ـ لفرط ما كانت تتفاداها ـ تبعث الذعر فى نفسها ، حتى لم تتمالك نفسها من اطلاق أنة مكتومة .. وسألها :

ـ هل سمعت يوما عن «مى ـ تان ـ فو» ؟ .. لقد تردد اسمها كثيرا فى الصحف اخيرا ..

وحملقت فيه فى دهشة ، ثم قالت فى تردد : «أهى المنطقة التى انتشرت فيها الكوليرا ؟ .. كان مستر اربوثنوت يتحدث عنها ليلة الامس»

ـ هناك وباء ، أعتقد أنه أسوأ ماظهر منذ سنوات .. وكان يعمل فى المنطقة طبيب من رجال البعثات التبشيرية ، ولكنه مات بالكوليرا منذ ثلاثة ايام .. وفيما عدا راهبات الدير الفرنسى ، وموظف الجمرك بالطبع ، فان جميع سكان المنطقة هجروها !

وكانت نظراته لا تزال مثبتة عليها ، ولم يك فى وسعها ان تنكس بصرها .. وحاولت ان تقرأ ما سيطر على ملامحه من تعبيرات ، ولكن اعصابها كانت مضطربة ، فلم تتمالك ان تجد نفسها مسوقة الى التزام لون غريب من الحذر .. كيف يرمقها بهذا الحزم ، فلا يكاد يطرف له جفن ؟.. ومضى يقول:

ـ وتبذل الراهبات الفرنسيات قصارى جهدهن فى مكافحة الوباء ، وقد أحلن الملجأ الى مستشفى .. ولكن الناس يهوون صرعى كالذباب .. وقد عرضت ان اذهب وأتولى مقاومة الوباء ..

ـ انـت ؟

وأجفلت ماخوذة .. وكان أول ما خامرها أنها اذا مارحل غدت حرة ، لايعوقها شيء عن أن ترى تشارلى ؟ .. ولكن الفكرة هزت كيانها ، فشعرت بوجهها يتضرج ٠٠ لماذا يرقبها هكذا ؟٠٠ واشاحت فى حيرة ، وتساءلــت متلعثمة : ((أو هذا أمر لامفر منه ؟))

ـ ليس فى المنطقة طبيب اجنبى واحد ٠٠

ـ ولكنك لست طبيبا ، وانما انت «بكتريولوجى» ٠٠

ـ تعرفين اننى حصلت على اجازة الطب واننى قبل ان اتخصص فى التحاليل تدربت فترة طويلة فى المستشفيات على ممارسة الطب عامة ٠٠ ثم ان كونى اخصائيا بكتريولوجيا أفضل بالنسبـــة لى ، اذ سيتيح لى فرصة رائعة للقيام بالابحاث ٠٠

وكان يتكلم فى طلاقة ٠٠ وأذهلها حين نظرت اليه أن رأت فى عينيه وميضا من السخرية والاستهزاء ، عجزت معه عن ان تفهم ما كان يبغى ، فقالت : « لكن ذلك سيكون امرا بالغ الخطورة ؟»

ـ الى اقصى درجة

وابتسم ٠٠ ابتسامة ساخرة !.. وأسندت هى جبينها الى راحتها .. أهو انتحار ؟ ٠٠ انه بمثابة ذلك ! ٠٠ يا للهول !٠٠ انها ما كانت تظن انه سيتلقى خيانتها على هذه الصورة ٠٠ لكنها لا تملك ان تدعه يقدم على ذلك .. انها قسوة ٠٠ لم يكن ذنبها أنها لم تحبه!..ولم تقو علىاحتمال التفكير فى انه سيقتل نفسه من اجلها ، فانسابت الدموع على خديها مدرارا ٠٠

وسالها : «لم تبكين ؟» ٠٠ فاجابته فى لهجة باردة : «لست مجبرا على الذهاب ٠٠»

ـ هذا صحيح .. فانى ذاهب بمحض ارادتى

ـ اذن ارجوك ان لا تذهب يا وولتر ٠٠ سيكون الامر فظيعا لو ان شيئا حدث لك ٠٠ هب انك لقيت حتفك ؟

ومع ان وجهه ظل جامدا ، الا ان شبح ابتسامة عاد يطفو على نظراته ٠٠ ولم يجب ٠٠ فعادت تسأله بعد صمت : «اين يقع هذا المكان ؟»

ـ «مى ـ تان ـ فو» ؟.. انه مجرد فرع من النهر الغربى ٠٠ ومن ثم يجب ان نرحل على النهر فى اتجاه مصبه ، ثم نتم رحلتنا على المحفات ٠٠

ـ من تقصد بـ «نا» ؟

ـ انت ٠٠ وانـــا !

ونظرت اليه فى عجلة وقد خيل اليها انها اخطأت السمع ، فاذا الابتسامة قد انتقلت من عينيه الى شفتيه ٠٠ واذا عيناه السوداوان مثبتتان عليها ٠٠ فسألته : «أتتوقع ان ارحل انا الاخرى ؟»

ـ ظننتك سترغبين فى ذلك ..

وبدأت انفاسها تتهدج متلاحقة .. وسرت فى كيانها رعدة .. ثم قالت : «ولكن من المؤكد ان ليس هناك مجال لامرأة .. لقد ارسل المبعوث الدينى زوجه واولاده الى هنا منذ اسابيع ، كما جاء مبعوث الادارة العامة وزوجته، اذ قابلتها فى حفلة شاى .. وقد تذكرت الآن أنها قالت أنهما غادرا المكان بسبب الكوليرا»

ـ هناك خمس راهبات فرنسيات باقيات فى المنطقة الموبوءة

وتملكها الذعر ، فقالت : «لست أدرى ماتقصد..من الجنون أن أذهب، فأنت تعرف مدى ماعليه صحتى من ارهاف ، وقد قال الدكتور هايوارد ان على ان اغادر هونج كونج لشدة حرها .. اننى لن اقوى على احتمال الحر هناك .. والكوليرا ! لسوف اجن فزعا .. انك بذلك تبحث عن سبب لاثارة المضايقات .. لا داعى يحتم ذهابى .. سأموت لو تم ذلك !»

ولم يجب .. وتطلعت اليه فى غمرة يأسها ، فلم تكد تقوى على كبح صرخة اوشكت ان تنطلق منها .. كان وجهه قد اكتسى بشحوب قاتم ، وارتسمت فى عينيه نظرة مقت ، ارهبتها .. أفمن المحتمل انه يريد لها ان تموت ؟ .. وسبقته الى الاجابة بنفسها على هذا الخاطر المفزع ،

ـ هذا غباء سخيف .. اذا كنت ترى أنه يجدر بك أن تذهب ، فلك رأيك .. ولكنك يجب ان لا تتوقع منى ان اذهب .. اننى ابغض المرض .. والكوليرا منتشرة هناك بدرجة وبائية !؟.. وانا لا ازعم اننى شجاعة ، ولا يضيرنى أن أنبئك باننى لاتواتينى الجـرأة على ذلك .. سأبقى هنا حتى يتهيأ الوقت لاذهب الى اليابان ..

ـ ظننت انك سترغبين فى مرافقتى اذ ارحل فى مهمة خطرة !

كان يسخر منها فى غير ما مداراة .. وكانت من الاضطراب بحيث لم تدر ما اذا كان يعنى ما قال ، أم كان يحاول مجرد اخافتها .. فقالت : « ما أظن أحدا يلـومنى اذا أنا رفضت الذهاب الى منطقة خطرة كهذه ، لاعمل لى فيها ، ولا مجال للانتفاع بى .. »

ـ بل تستطيعين أن تكونى عظيمة النفع ، بأن تسرى عنى وتعملى على توفير الراحة لى ..

فازداد شحوبها ، وقالت : «لست أفقه ما تقول »

ـ ما ظننت أن فهمه يحتاج الى أكثر من ذكاء متوسط !

ـ لن أذهب يا وولتر .. من القسوة البشعة أن تطالبنى بالذهاب ..

ـ اذن ، فلن اذهب انا الاخر .. سأبادر الى سحب طلبى ..

— ٢٣ —

◆ **حملقت** فيه مشدوهة ، فانها لم تكن تتوقع ما قال ، حتى لقد صعب عليها فى البداية أن تتمالك نفسهـــا .. فهتفت وهى تشهق : « ماذا تعنى بربك ؟ »

وبدا الزيف فى ردها واضحا .. حتى لنفسها !.. ورأت نظرة ازدراء تنبعث من وجهه الصارم وهو يجيبها : « أخشى أنك غاليت فى تقدير غبــائى ! »

ولم تدر تماما ماذا ينبغى أن تقول .. ترددت بين أن تقبل على تأكيد براءتها فى انفة وكبرياء ، أو تنفجر منحية عليه باللائمـــة فى حنق .. والظاهر انه قرأ افكارها ، فقد قال : « ان لدى الدليل الكافى ! »

وانخرطت فى البكاء .. انسابت الدموع من عينيهـــا دون ما عنـاء واضح ، فلم تحاول أن تجففها . بل بدا البكاء كأن يتيح لهـــا فترة كى تتمالك نفســـها ، اذ كان ذهنها خلوا من أية فكرة تسعفها .. بينما راح هو يرقبها فى غير ما اكتراث ، حتى أن هدوءه افزعهـا .. وازداد صبره نفادا ، فقال : « أنت تعلمين أنك لن تجنى شيئا من البكاء .. »

وكان صوته باردا ، قاسيا ، أثار فى نفسها شيئا من الانفة ، فشرعت تسترد رباطة جأشها ، وقالت :

ـ لست آبه لشىء .. وما أرى لديك مانعا من الطلاق .. فهذا لايضير الرجل فى شىء ..

ـ أو تسمحين لى ان اســألك عما يدعونى الى ان احمـــل نفسى ما لا يروق لى بسببك ؟

ـ الامر سواء بالنسبة لك .. وليس بالكثير أن اسألك ان تتصرف كأى شـــهم مهذب !

ـ ان لمصلحتك اعتبارا عظيما لدى ، فوق ماتخالين ..

واعتدلت فى جلستها وجففت عينيها ، ثم سألته : « ماذا تعنى ؟ »

ـ ان تاونسند لن يتزوج منك الا اذا صار طرفا فى القضية .. وانها لقضية مخزية ، حتى أن زوجته ستضطر الى طلب الطلاق منه ..

فصاحت : « انك لاتدرى ماتقول »

ـ بل انك لحمقاء غبية ..

وكانت لهجته مفعمة بالازدراء ، حتى لقد تضرج وجهها غضبا .. بل لعل غضبها كان أكثر مما بدا عليها ، اذ انها لم تكن قد اعتـــادت ان تسمع منه سوى كل قول عذب ، مبهج ، زاخر بالملق والمجاملة .. كانت قد الفت ان تراه عبدا يستجيب لـكل نزواتها .. لذلك بادرت قائلة :

- اليك الحقيقة ان شئتها ٠٠ انه انمـــا يتلهف عـلى الزواج منى ، وان دوروثى تاونسند لعلى استعداد تام لان تطلقه ، ومن ثم فسنتزوج بمجرد تحررنا من رابطتينا ٠٠

- هل ذكر لك هذا فى عبارات واضحة مفصلة ، أو انه مجرد الاثر الذى أوحت به اليك تصرفاته ؟

وشعت عيناه ببريق ساخر مرير ، هز اطمئنان كيتى ، فانهـا لم تكن واثقة تمام الثقة من ان تشارلى قال لها يوما كل هذا فى عبارات واضحة واسهاب ٠٠ ولـكنها قالت : « لقد قاله لى مرارا وتكرارا ٠٠ »

- هذا كذب ٠٠ وانك لتدركين انه كذب !

- انه يحبنى بجماع قلبه وروحه .. يحبنى عين الوله الذى احبه اياه .. ولقد اكتشفت أنت ذلك بنفسك ، ومن ثم فلن أعمـد الى الانـكار ..ولمـاذا انكر ؟.. لقد كنا خليلين قرابة العام ، وانى لفخورة بذلك ؟ ٠٠ انه كل شىء لى فى الحياة ، ويسرنى انك عرفت ذلك أخيرا ٠٠ لقد سئمنا غاية السأم اضطرارنا الىالتكتم والحيطـة وما الى ذلك ٠٠ كان خطأ ان تزوجت منك ، فما كان ينبغى لى ٠٠ كنت حمقاء ٠٠ اذ اننى لم اكترث بك ، ولم تكن بيننـا اية رابطة مشـتركة ، فانا لا احب من تحب من أناس ، وانا أضيق كل الضيق بما يروق لك من اشياء ٠٠ وكم انا قريرة لانتهاء كل هذا الزيف !

وكان يراقبها دون ان تختلج فى وجهه جارحة تنم عن شعوره ٠٠ كان يصغى فى وعى دون أن يتبدى على وجهه ما يشى بأن لمـا قالته أثرا على نفسه ٠٠ واستطردت متسائلة :

- اتعرف لم تزوجت منك ؟

- لانك أردت أن تتزوجى قبل اختك دوريس

وكان هذا حقا ، ولـكنها احست بشىء من الدهشة المثيرة اذ تبينت انه عـلى علم به ٠٠ ومن العجيب حقا ان هذا أثار فى نفسها شيئا من الاشفاق ، فى هذه اللحظة التى امتزج فيها الخوف بالغضب !

وابتسم هو فى وهن قائلا : « **لم تخالجنى اية اوهام عن شـعورك نحوى ٠٠ فقد كنت اعرف انك حمقـاء ، رعنـاء ، خاوية الرأس ٠٠ ولكنى كنت احبك ٠٠ كنت اعرف ان أهدافك ومثلك العليا مبتذلة ٠٠ سوقية ٠٠ ولـكنى كنت أحبك ٠٠ كنت أعرف انك انسانة من الدرجـة الثانية ٠٠ ولـكنى كنت أحبك ! ٠٠ومن المضحك أن استعرض فى فـكرى الآن كيف حاولت جاهدا أن استطيب ما كان يطيب لك من أمور ، وكيف كنت حريصا على ان اخفى عنك اننى لم اكن جاهلا ، ولا دنيئا ، ولامحبا**

لاثارة الفضائح ، ولا عبيا .. كنت اعرف مدى ذعرك من الذكاء ، فبذلت كل ما فى وسعى لاجعلك تظنيننى على شـــاكلة من عـرفت من الرجال الاغبياء .. كنت اعرف انك لم تتزوجى منى الا لترضى غرورك ، ومع ذلك فقد كان حبى عظيما الى درجـــة جعلتنى لا اكترث .. ان معظم الناس ـ على ما أرى ـ يشـعرون بغضـــاضة فى نفوسهم اذا ما أحبوا شخصا ما ووجدوا أن حبهـــم لايقابل بمثله .. فلا يلبثون أن يشعروا بغيظ ومرارة مطردين .. لكننى لم اكن من هذا الصنف ، فمـا توقعت يوما ان تحبينى ، ولم أر مايدعوك الى أن تحبينى ، بل وما تصورت اننى من الشخصـــيات التى تحب .. وكنت قريرا بأن تســمحى لى بأن أحبك ، وكنت أطير جذلا اذا ماخيل لى من آن الى آخر انك راضـية عنى ، او اذا مالاحظت فى عينيك بريق حنان صادق .. وحاولت ان لا أضايقك بحبى .. كنت أدرك ان ذلك يكلفنى غاليـــا ، ومع ذلك كنت دائما أتراجع من أول اشارة تشى لى بأنك تضيقين بعواطفى .. وكنت أتلقى ما يعده معظم الازواج حقا من حقوقهم ، على انه جميل منك ! »

قط لم تسمع كيتى مثل هذه الاقوال توجه اليها من قبل ، وهى التى ألفت طيلة عمرها ان لاتسمع سوى عبارات المداهنة والملق ! .. فانبثق فى قلبها حنق ســاخط اكتسح ما كان فيه من خوف ، وخالت انه يوشـك أن يخنقها .. واحست بالاوعية الدموية فى صدغيها تختلج فى عنف .. فان الغرور الجريح يجعل المرأة اكثر تحفزا للانتقام من اية لبؤة حرمت من اشبالها ! .. وبرز فكها الأسفل الى الامام ـ مع انه عادة مربع بعض الشىء ـ فبدا شكلها قبيحـــا .. واظلمت عيناها بالشر ، ولـكنها ظلت مسيطرة على اعصابها ، وقالت :

ـ اذا لم يؤت الرجل ما يلزم لأن يحمل المرأة على حبه ، فالذنب فى ذلك ذنبه ، لا ذنبها !

ـ هذه حقيقة واضحة كل الوضوح ..

وضاعفت لهجته الساخرة من غيظها .. وأحست بأن فى وسعها أن توغل فى ايلامه اذا هى احتفظت بهدوئها ، فقالت : « لست راقية التعليم ، ولا انا عظيمة الذكاء والمهارة .. انما انا شابة عادية فى كل شىء .. أحب ما اعتاد الناس الذين قضيت عمرى بينهم أن يحبـــوه .. احب الرقص و « التنس » والمسارح ، وأحب الرجال الذين يمارسون الالعـــاب .. وفى الحقيقة اننى كنت دائما ضجرة منك ، أضيق بما تميل اليه من أشياء .. فهى لم تكن تروق لى فى شىء ، ولاكنت راغبة فيها .. لقـــد جررتنى معك الى معارض البندقية ومتاحفها التى لانهاية لها ، فى حين كنت أشعر بمزيد من المتعة لو اننى ـ بدلا من ذلك ـ لعبت « الجولف » فى « ســاندويتش » !

ـ أعلم ذلك ..

ـ اننى آسفة اذا لم أكن كما توقعتنى ورجوت منى .. ومن سوء الطالع اننى كنت دائما اجدك تثير نفورى من الناحية الجسدية .. وليس فى ذلك ما تستطيع ان تلومنى عليه !

ـ لست ألومك ..

وكان الاندماج فى الموقف ايسر على كيتى لو انه ثار أو أرغى ، اذ كان فى وسعها عندئذ ان تقابل العنف بعنف .. **لكن سيطرته على نفسه كانت قاسية عليها ، فاذا بها تمقته اذ ذاك كما لم تمقته قط من قبل.. مما دفعها الى أن تقول له : « ما أحسبك رجلا على الاطلاق .. لماذا لم تقتحم الحجرة حين عرفت اننى كنت فيها مع تشارلى ؟ .. كان فى وسعك أن تحاول أن تضربه على الاقل .. او كنت خائفا ؟ »**

ولكن وجهها تضرج فى عين اللحظة التى قالت فيهـا ذلك ، اذ احست باستحياء وخزى .. ولم يجبها ، ولكنها قرأت فى عينيه ازدراء قاسيا .. و حوم على شفتيه طيف ابتسامة ، وقال :

ـ لعلنى ، كتلك الشخصيات التى يحدثنا عنها التاريخ ، أشعر بأننى أرفع من ان أتشاجر ..

وهزت كيتى كتفيها وقد عجز ذهنها عن ان يسعفها برد .. وظل هو لحظة يتقاذفها بين نظراته الجامدة ، ثم قال :

ـ أظننى قلت كل ما أردت أن أقول .. اذا كنت ترفضين الذهاب الى « ميى ـ تان ـ فو » ، فسألغى طلبى ..

ـ لم لا توافق على أن تدعنى اطلب الطلاق منك ؟

فرفع بصره عنها أخيرا ، واضطجع فى مقعده ، واشعل سيجارة دخنها حتى نهايتها دون ان ينبس ببنت شفة .. حتى اذا القى ما تبقى منها ، ارسل ابتسامة بسيطة ، وعاد ينظر اليها قائلا : « لو ان مسز تاونسند اكدت لى انها ستطلق زوجها ، ولو انه اعطانى وعدا كتابيا بأن يتزوج منـك فى خلال اسبوع من صدور قرار الطلاق البات ، فاننى أوافق » ..

وكان فى الطريقة التى تحدث بها ما اشعرها بالهوان ، لكن كرامتهـا دفعتها الى قبول ما عرض فى ترفع ، قائلة : « هذا كرم عظيم منك ياوولتر »

ولدهشتها ، انفجر فجأة مقهقها ، فاحمر وجهها غيظا وصاحت: « ما الذى يضحكك ؟ .. لست ارى ما يضحك »

ـ معذرة .. يخيل الى ان لى شعورا غريبا فى تقدير موطن الفكاهة

فحدجته فى عبوس ، وهى تود لو ترميه بكلمة قاسية تجرح شعوره ، لولا ان ذهنها لم يسعفها .. والقى هو على ساعته نظرة ثم قال : « يحسن

بك ان تبادرى اذا شئت ان تتصلى بتاونسند فى مكتبه ، فان موعد انصرافه قد أزف .. أما اذا قررت أن تأتى معى الى «مى ـ تان ـ فو» فسيكون من الضرورى ان نبدأ الرحلة بعد غد .. »

ـ أو تريدنى ان انبئه اليوم ؟

ـ يقولون ان ليس انسب من الحاضر وقتا ..

وشرعت دقات قلبها تتسارع .. لم يكن ما احست به قلقا ، وانما كان .. لم تكن تدرى تماما اى شىء كان ! .. وودت لو انها امهلت فترة اطول ، فقد كانت ترجو ان تمهد لدى تشارلى للحديث .. بيد انها كانت توليه كامل الثقة ، اذ كان يحبها بقدر ما تحبه ، وكان من الغدر أن تسمح بأن يعبر بذهنها أى خاطر عن أنه قد لايرحب بالضرورة التى فرضت عليهما

والتفتت الى وولتر قائلة فى جد : « ما أظنك تعرف ما هو الحب .. ليست لديك اتفه فكرة عن مدى ما يكنه كل من تشارلى واياى من حب للآخر .. وهذا هو الشىء الوحيد المهم فى الأمر .. وازاءه تهون كل تضحية قد يتطلبها حبنا »

فالتفت اليها فى انحناءة بسيطة دون ان ينبس ببنت شفة .. وتبعتها عيناه اذ سارت فى خطى منتظمة ، مغادرة الحجرة

ــ ٢٤ ــ

◆ **وأرسلت** كيتى الى تشارلى وريقة كتبت عليها : « ارجو ان تسمح لى بمقابلتك لامر هام عاجل » .. وسألها خادم صينى ان تنتظر ريثما احضر لها الجواب بأن مستر تاونسند سيستقبلها خلال خمس دقائق .. وكانت مرتبكة الاعصاب لدرجة لا حد لها .. وعند ما اقتيدت أخيرا الى غرفته، تقدم تشارلى فصافحها ، على انه لم يلبث ان اسقط تلطفه الرسمى بمجرد ان اغلق الخادم الباب وتركهما فى خلوة .. وعندئذ قال : « أعتقد ياعزيزتى انك ينبغى ان لا تأتى الى هنا اثناء ساعات العمل .. فان لدى مشاغل جمة ، كما اننا لن نرضى بأن نتيح للناس فرصة كى يتقولوا علينا .. ! »

فرمقته بنظرة طويلة من عينيها الجميلتين ، وحاولت ان تبتسم .. ولكن شفتيها جمدتا ، فلم تستطع .. وقالت أخيرا : « ما كنت لآتى لولا الضرورة »

فابتسم وأمسك بذراعها قائلا : « ما دمت هنا ، فتعالى واجلسى »

كانت غرفته ضيقة ، ذات سقف عال ، خالية من الرياش ، فكان كل ما احتوت من اثاث يتألف من مكتب كبير ، ومقعد دوار يجلس فيه تاونسند ، ومقعد جلدى وثير للزائرين ..



واحست كيتى برهبة وهى تجلس فى هذا المقعد ، بينما جلس هو الى مكتبه .. ولم تكن قد رأته يلبس « نظارة » من قبل ، لا ولا درت انه يستعمل واحدة .. فلما لاحظ أن نظراتها استقرت عليها ، خلعها قائلا : « لست استعملها الا فى القراءة »

وتبادرت الدموع الى عينيها فى سهولة ، دون ان تدرى لذلك سببا ، فشرعت تنتحب .. انها لم تكن تتعمد أن تخدعه ، وانما كانت تساورها رغبة غريزية فى ان تستثير عطفه .. فحملق فيها ، وتساءل : « هل حدث شىء ؟ .. اواه ياعزيزتى ، لا تبكى ! »

فأخرجت منديلها ، وحاولت أن تكبت عبراتها .. ودق هو الجرس ، فلما اقبل الخادم خف للقائه لدى الباب وقال له :

ـ اذا سأل احد عنى فقل له اننى فى الخارج ..

ـ حسنا ياسيدى ..

وأغلق الخادم الباب ، فجلس تشارلى على ذراع المقعد واحاط كتفى كيتى بذراعه قائلا : « الآن ياكيتى العزيزة .. نبئينى بما كدرك .. »

فقالت : « ان وولتر يريد الطلاق ! »

وأحست بذراعه تتراخى حول كتفيها، وبجسمه يجمد .. ورانت عليهما لحظة صمت ، فنهض تاونسيند ، وعاد يجلس فى مقعده .. ثم قال : « ماذا

تعنين .. بالضبط ؟ »

فرمقته بنظرة سريعة .. كان صوته اجش .. ولاحظت ان وجهه قد اكتسى حمرة كئيبة ، فقالت : « لقد تحدثت معه .. وجئت لتوى من البيت .. انه يقول ان لديه الدليل الذى يلزمه ! »

ـ أرجو ان لا تكونى قد انزلقت فأقررت بشىء .. ؟

غاص قلبها .. وتمتمت ، كاذبة : « لا »

فسألها وهو يتفرس فى وجهها : « أمتأكدة انت ؟ »

فعادت تصر على اكذوبتها : « كل التأكد »

واضطجع فى مقعده ، مرسلا نظرات فارغة الى خريطة الصين التى كانت معلقة على الحائط المقابل له .. **وهى تراقبه فى قلق ، وقد أحست بشىء من الهوان من جراء الطريقة التى تلقى بها النبأ .. فلقد كانت تتوقع منه ان يتناولها بين ذراعيه وينبئها بأنه سعيد ، اذ صار فى وسعهما الآن ان يكونا معا على الدوام ! .. على ان للرجال طباعا غريبـــة ولا بد .. وانخرطت فى البكاء بصوت خافت ، لا لتثير عطفه فى هذه المرة ، وانما لأن البكاء بدا لها امرا طبيعيا فى هذا الموقف !**

وقال تشارلى أخيرا : « هذا هو المأزق اللعين الذى تورطنا فيه .. على انه ليس من الخير ان نجزع .. ولن يجدينا البكاء كما تعلمين »

ولاحظت الانفعال الذى شاب صوته ، فجففت عينيها وقالت : « لا حيلة لى فى هذا يا تشارلى ، فانى لا أكاد أقوى على ان املك نفسى ازاءه

ـ ما أراك تقوين حقا .. كان الامر مجرد حظ سىء ، ولست أقل منك استحقاقا للوم .. والذى ينبغى ان نفعله الآن هو ان نتدبر طريقا للخروج من المأزق .. فما أراك راغبة فى الطلاق ، شأنك فى ذلك شأنى أنا !

وكتمت شهقة كادت تفلت منها ، وتطلعت اليه فى تساؤل ، فاذا هو لا يفكر فيها .. اذ قال : « انى لأتساءل ، أية أدلة يملكها ؟!.. فلست أدرى كيف يستطيع ان يثبت حقا اننا كنا فى الحجرة معا .. كنا فى كل شىء حذرين الى أقصى ما يستطيعه أى امرؤ آخر . وانى لمتـأكد من أن العجوز صاحب متجر العاديات لا يجرؤ على الوشـاية بنا .. وحتى اذا كان قد رآنا هناك ، فليس ثمة ما يحول دون أن نشترك معا فى البحث عن التحف الطريفة ! »

وبدا كأنه يحدث نفسه اكثر مما كان يحدثها .. واستطرد يقول : **« ان توجيه الاتهامات من السهولة بمكان ، ولكن من العسير جدا اثباتها.. ان اى محام يؤكد لك هذا .. ومن ثم فخطتنا تتمثل فى ان ننكر كل شىء ، فاذا هدد برفع الامر الى القضاء ، قلنا له افعل ما بدا لك ، وخضـــنا المعركة .. ! »**

ـ لكنى لا أستطيع أن اقف امام القضاء يا تشارلى

ـ ولماذا بربك ؟ .. أخشى أنك ستضطرين الى ذلك .. ويعلم الله أننى لا أريد ضجة ، ولكنا لانستطيع أن نرقد على جنبينا ونتلقى الهجوم صاغرين !

ـ وما حاجتنا الى الدفاع ؟

ـ يا له من سؤال ! .. ثم ان الأمر لا يتعلق بك وحدك ، بل يمسنى انا الآخر .. على اننى بالطبع لا اظنك بحاجة الى ان تخافى .. سيكون بوسعنا ان نهزم زوجك بطريقة ما .. وليس يزعجنى سوى البحث عن خير طريقة لذلك ..

وبدا كأنما وافته فكرة ، اذ تحول نحوها بابتسامته الساحرة ، وقد تحولت لهجته ـ التى كانت منذ لحظة جافة وجادة ـ الى تلطف رقيق : « أخشى أنك تعرضت لصدمة قاسية أيتها الصغيرة المسكينة .. ما أسوأ هذا ! » .. ومد يده فتناول يدها وهو يستطرد : « هذا مأزق انزلقنا اليه ، ولكنا سنخرج منه .. انها ليست .. « وامسك عن الكلام ، فهجس ببال كيتى انه كان يوشك ان يقول انها ليست المرة الاولى التى خرج فيها من مثل هذا الموقف ..على انه اردف يقول : « أهم شىء هو ان نحتفظ بثباتنا .. وانك لتعرفين اننى لن أتخلى عنك أبدا ! »

ـ لست فزعة .. ولست احفل بما قد يفعل

وظل مبتسما ، بيد ان ابتسامته بدت كما لو كانت مغتصبة الى حد ما ، وقال : « اذا تطور الأمر الى اسوأ حدوده ، فسأخبر الحاكم .. ولسوف يلعننى ويقسو فى السخط على ، ولكنه طيب ، ورجل دنيوى حقا .. وسيتدارك الامر بطريقة ما ، اذ ليس من صالحه فى شىء ان تفوح فضيحة ما ! »

فتساءلت كيتى : « وما الذى يستطيع ان يفعله ؟ »

ـ يستطيع ان يضغط على وولتر ، فاذا لم يؤثر عليه من ناحية تتعلق بطموحه ، فانه سيعالجه من ناحية ادراك الواجب ..

واحست كيتى بقشعريرة باردة ، اذ لاح انها كانت عاجزة عن ان تنبه تشارلى الى مدى سوء الموقف وخطورته .. وذهب استخفافه ببقية جلدها، فأحست بالندم لأنها جاءت لمقابلته فى مكتبه ، اذ كان الجو المحيط بها يشيع فى نفسها رهبة .. ولو انها كانت فى احضانه وذراعاها حول عنقه، لسهل عليها ان تقول ما كانت تود قوله !

وقالت : « انك لا تعرف وولتر على حقيقته »

ـ ولكننى اعرف ان لكل رجل ثمنا ..

وكانت تحب تشارلى بكل قلبها ، ولكن رده اشعرها بالصغار ، اذ كان من الغباء لرجل فى براعته ان يقول ذلك .. فعادت تقول : « ما أراك قد تبينت مدى غضب وولتر .. انك لم تر وجهه ولا النظرة التى كانت تنبعث من عينيه .. »

وظل لحظة لا يجيب ، وان بقى ينظر اليهـا وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة .. وعرفت ما كان يفكر فيه .. كان وولتر ، كبكتريولوجى ، فى منصب تحت امرته ، فليس من الحكمة فى شىء ان يناصب كبار موظفى المستعمرة العداء .. فقالت فى اخلاص : « ليس من الخير ان تخدع نفسك يا تشارلى .. فلو ان وولتر عقد العزم على ان يرفع قضية ، لما كان لأى شىء تملك انت او سواك قوله اتفه تأثير عليه ! »

وعاد وجهه يكتسى جهامة وعبوسا ، وتساءل : « أكانت فكرته ان يزج بى طرفا فى القضية ؟ »

ـ كانت تلك فكرته فى بادىء الأمر ، ولكننى افلحت فى النهاية فى ان احمله على ان يرتضى ان اكون انا طالبة الطلاق

فعاد يتخلى عن توتره مرة أخرى .. ورأت آثار الارتياح فى عينيه ، وهو يقـــول : « آه .. ليس هذا بالامر الفظيع .. يلوح لى أن هذا خير مخرج .. وهو ، على كل حال ، اقل ما يستطيع ان يفعله اى شخص آخر .. انه عمل ينم عن التعقل .. »

ـ ولكنه يتمسك بشرط ..

فرمقها بنظرة متسائلة ، وقد لاح عليه انه يفكر .. وقال : « لست واسع الثراء بطبيعة الحال ، ولكننى سأبذل كل ما فى طوقى .. »

ولاذت كيتى بالصمت .. كان تشارلى يتحدث عن امور ما كانت ابدا لتتوقع ان يتحدث عنها .. وقد جعلت هذه الامور من العسير عليها ان تتكلم .. كانت تتوقع أن تفضى له بهذا الشرط فى عبارة موجزة ، وهى بين أحضـــانه ، وقد أخفت وجهها المتضرج حياء ، فى صدره ..

واردفت تقول : « انه يوافق على ان اكون طالبة الطلاق ، بشرط ان تؤكد له زوجتك انها ستطلب الطلاق منك »

ـ وهل ثمة شىء آخر ؟

وعانت كيتى جهدا حتى انبعث صوتها وهى تستطرد : « و .. انه ليشق على ياتشارلى ان اقول .. انه شرط بغيض .. انه يشترط ان تعد بأن تتزوج منى خلال اسبوع من صدور قرار الطلاق النهائى ! »

— ٢٥ —

◆ **لاذ** تشارلى بالصمت لحظة ، ثم عاد يتناول يدها ويضغطها فى رفق قائلا : « انك لتعرفين ياحبيبتى أننا يجب أن نبقى دوروثى بعيدا عن هذه المسألة مهما حدث »

فحملقت فيه وقالت : « ولكنى لا افهم كيف يتسنى لنا ذلك ؟ »

— ليس لنا ان نقصر تفكيرنا على انفسنا فى هذه الدنيا ، فانت تعرفين ان كل الامور الاخرى سواء ، وليس أحب لدى فى هذه الدنيا من ان اتزوج منك .. ولكنه امر غير ذى موضوع ، فانى أعرف دوروثى .. لن يغريها شىء على ان تطلب الطلاق منى !

واشتد بكيتى الجزع ، فشرعت تبكى من جديد .. فنهض وجلس الى جوارها ، وذراعه حول خصرها ، وقال : « **حاولى ان لا تعكرى صفوك** ياحبيبتى ، اذ يجب أن نحتفظ برباطة جأشنا .. »

— ظننتك تحبنى ..

فقال بحنان : « **بالتأكيد احبك .. وليس بوسعك الآن ان ترتابى فى ذلك !** »

— **اذا لم تطلب هى الطلاق منك فان وولتر سيجعلك طرفا فى القضية..**

وتريث فترة ليست بالقصيرة يتدبر الجواب ، فلما تكلم انبعث صوته جافا خشنا : « ان هذا ولا شك سيهدم مستقبلى فى عملى ، لكنى أخشى ان لا يعود عليك انت ايضا خير كثير من وراء ذلك ! .. ولو ان الامور بلغت أقصى حدود السوء ، فسأصارح دوروثى بكل شىء ، وسوف تتألم وتشقى بدرجة فظيعة ، ولكنها ستغفر لى » .. ثم خطرت بباله فكرة فأردف : « لست واثقا من ان كتمان الامر عنها من حسن التدبير .. فلو انها ذهبت الى زوجك لاستطاعت — فى رأيى — ان تحمله على ان يمسك لسانه ! »

— اتعنى بهذا انك لا تريدها أن تطلب الطلاق منك ؟

— ربما .. فهناك اولادى الذين يجب ان افكر فيهم .. أليس كذلك ؟ .. ثم اننى بطبيعة الحال لا ابغى ان اشقيها .. لقد عشنا دائما معا فى وئام .. ولقد كانت زوجة طيبة لى كما تعرفين ..

— فلم انبأتنى اذن بأنها لا تهمك فى شىء ؟

— **لم أقل ذلك ابدا ، وانما قلت اننى لم اكن معها على غرام .. ولم ننم معا فى فراش واحد ، منذ سنوات ، اللهم الا بين آونة وأخرى .. فى عيد الميلاد — مثلا — أو اليوم الذى كان يسبق سفرها الى وطنها ، أو**

يوم عودتها .. فهى ليست بالمرأة التى تكترث لمثل هذا الامر .. على اننا كنا دائما صديقين حميمين .. ولا ضير فى ان اخبرك بأننى اعتمد عليها أكثر مما أعتمد على أى شخص آخر أوتى عقلا ..

ـ الا ترى اذن انه كان من الخير ان تدعنى وشأنى ؟

وعجبت لنفسها اذ استطاعت ان تتكلم بمثل هذا الهدوء ، رغم ان الذعر كان يحبس أنفاسها .. أما هو فأجاب قائلا : « لقد كنت أروع امرأة رأيتها منذ سنوات ، فلم اتمالك ان جننت بك حبا .. فهل تلومينني على ذلك ؟ »

ـ لقد قلت انك لن تتخلى عنى ابدا ..

ـ هو ذلك وربى .. فلن اتخلى عنك .. لقد تورطنا فى مأزق بغيض ، وسأبذل كل ما فى طاقة الانسان ان يفعل لانتشلك منه !

ـ ستبذل كل ما فى طاقة الانسان اللهم الا العمل الطبيعى الواضح الوحيد ..

فنهض عائدا الى مقعده ، وشرع يقول : « **يجب ان تكونى معقـــولة ياعزيزتى .. ومن الخير ان نواجه الموقف بصراحة : اننى لا احب ان اجرح احساساتك ، غير ان من الواجب ان انبئك بالحقيقة.. اننى شديد الحرص على مستقبلى ، فليس ثمة ما يمنع من ان اكون حاكما فى يوم من الايام ، وانه لمنصب شديد الاغراء ـ منصب الحاكم لاحدى المستعمرات ـ وما لم نخمد هذه الضجة ، لن تكون امامى فرصة ما .. صحيح ان الأمر قد لا يؤدى الى ان اترك الخدمة ، بيد انه سيظل وصمة سوداء ضدى .. ثم اننى اذا اضطررت الى ان اترك الخدمة ، فلا بد لى من أن اتحول الى الاشتغال بالتجارة فى الصين حيث عرفت الناس .. وفى الحالين ، يتوقف حظى على مدى ملازمة دوروثى لى !** »

ـ أفكان من الضرورى والحالة هذه ان تنبئنى بأنك لم تكن ترغب فى شىء من الدنيا سواى .. ؟

فتراخت عضلات ركنى فمه فى ضجر وقال : « **اواه ياعزيزتى .. من الصعب ان تتمسكى بحرفية ما يقول اى رجل وهو فى نشوة حبك .. !** »

ـ أو لم تكن تعنى ما قلت ؟

ـ كنت أعنيه فى اللحظة التى قلته فيها ..

ـ وماذا يكون من أمرى اذا طلقنى وولتر ؟

ـ اذا لم يكن لدينا ما نستند اليه ، فلن يتسنى لنا أن ندفع الامر عنا بالطبع .. ولن تكون ثمة ضجة .. كما ان عقول الناس قد اتسعت اليوم ، فهم اكثر تسامحا ..

ولأول مرة فكرت كيتى فى أمها ، فارتجفت.. وعادت تتطلع الى تاونسند من جديد ، وقد شاب ألمها نوع من الانفة والاستنكار ، وقالت : « اننى واثقة من انك لن تجد عناء فى تحمل اية متاعب أعانيها .. »

ـ لن نحرز اى تقدم بتبادل الاقوال المقذعة ..

وتأوهت فى قنوط .. كان من الفظيع ان تكون متفانية فى حبه بالدرجة التى كانت عليها ، ثم تشعر نحوه بتلك المرارة .. لم يكن من الميسور ان يفقه مدى قيمته بالنسبة لها .. وهتفت فى انين : « اواه ياتشارلى .. الا تدرى كم احبك ؟ »

ـ ولكننى أحبك ياعزيزتى .. غير اننا لا نعيش فى جزيرة مهجورة ، وعلينا أن نفيد من الظروف المفروضة علينا الى أقصى ما نستطيع .. يجب ان تكونى عاقلة ..

ـ كيف استطيع أن اكون عاقلة ؟ .. لقد كان حبنا كل شىء لى ، وكنت انت كل حياتى .. وليس مما يبعث على السرور ان اتبين ان الامر لم يكن بالنسبة لك سوى فترة لهو عابرة !

ـ لم تكن فترة عابرة فى الواقع .. ولكنك تعلمين انك ـ اذ تطالبيننى بأن احمل زوجتى التى ارتبط بها اشد ارتباط على ان تطلقنى ، وبأن اهدم مستقبلى بالزواج منك ـ انما تطلبين فوق ما فى طوقى !

ـ ان ما انا مستعدة لعمله من اجلك لا يقل عن هذا ..

ـ ولكن ظروفنا تختلف ..

ـ الاختلاف الوحيد هو انك لا تحبنى ..

ـ ان الرجل يستطيع ان يتدله فى حب امرأة دون ان يكون راغبا فى ان يقضى بقية حياته معها !

فرمقته بنظرة خاطفة ، ثم استبد بها اليأس ، فانهمرت الدموع غزيرة على خديها .. وهتفت : « اواه ! .. ما اقساك ؟ .. كيف يتسنى لك ان توصد قلبك الى هذه الدرجة ؟ »

وبدأت تنشج فى انفعال ، فرمق البـــاب فى قلق وقال : « حاولى أن تتجلدى يا عزيزتى .. »

فقالت بين شهقاتها : « انك لا تدرى الى اى مدى احبك.. ليس بوسعى ان اعيش بدونك .. اليست لديك ذرة من الشفقة على ؟ »

ولم تعد تقوى على الكلام ، فراحت تبكى دون ان تتمالك نفسها ، بينما قال هو : « لست أحب أن أكون قاسيا ، وان السماء لتشهد على أننى لا ابغى ان اجرح مشاعرك ، ولكنى مضطر الى ان اصارحك بالحقيقة .. »

ـ ان فيها دمار حياتى كلها .. لم لم تدعنى وشأنى ؟ .. اى ضرر اوقعته بك ؟

ـ لك ان تلقى على كل اللوم بالطبع اذا كان فى هذا ما يسرى عنك ..

فتولى كيتى فجأة غضب متقد وصاحت : « كأننى كنت اتهالك عليك .. كأننى لم أدعك حتى انصعت واستجبت لتوسلاتى ! »

ـ لست أقول هذا ، ولكننى ما كنت لأفكر بالتأكيد فى ان اطارحك الهوى لو لم تظهرى لى بجلاء أنك مستعدة لأن تتقبلى الهوى .. ! »

يا للخزى ! .. كانت تدرك ان الحقيقة هى ما ذكر .. وبدا الضجر والضيق على وجهه ، وراحت يده تتحرك فى تململ ، وهو يلقى بين حين وآخر نظرة سأم .. ثم قال بعد برهة : « اليس لدى زوجك استعداد لأن يغفر لك ؟ »

ـ لم اسأله ..

فضم قبضته فى حركة غريزية .. ورأته يكتم صيحة السخط التى قفزت الى شفتيه .. ثم قال : « **لم لاتذهبين اليه ، فتنشدين رحمته ؟ .. انه لقمين بأن يصفح عنك اذا كان مدلهـا فى حبك بالشكل الذى تصورين .. »**

ـ ما أقل ما تعرفه عنه !

ـ ٢٦ ـ

◆ **مسحت** الدموع عن عينيها ، وحاولت أن تتمالك نفسها وهى تقول : « لو انك هجرتنى يا تشارلى فسوف أموت ! » .. لقد أصبحت مسوقة الى أن تحاول استثارة شفقته ، وأحست انه كان خليقا بها ان تفعل ذلك من البداية ، فلعل كرمه .. وشعوره بالانصاف .. ورجولته .. تستيقظ متحمسة اذا هو عرف المصير الرهيب الذى يلوح لها ، فلا يعود يفكر الا فى الخطر المحيق بها .. أواه !.. لشد ما كانت تهفو فى وجد مشبوب الى أن تشعر بذراعيه الحبيبتين تحوطانها فى حماية !

وعادت تقول : « ان وولتر يريد الذهاب الى « مى ـ تان ـ فو »

ـ آه .. ولكن الكوليرا متفشية فى تلك المنطقة التى رزئت بأسوأ وباء عرفته منذ خمسين عاما .. انه مكان لا يصلح لامرأة ، ولذا فليس من الممكن أن تذهبى اليه ..

ـ اذا تخليت عنى فسوف أذهب !

ـ ماذا تعنين ؟ .. لست افقه شيئا ..

ـ ان وولتر يعتزم ان يحل محل طبيب البعثة التبشيرية الذى مات .. ويريد منى ان أرحل معه ..

ـ متى ؟

ـ الآن .. فورا

فدفع مقعده الى الخلف وحملق فيها بعينين تبدت فيهما الحيرة وقال : « قد أكون غاية فى الغباء ، لكنى لا أستطيع أن أفهم لما تقولين رأسا من ذيل ٠٠ اذا كان يريدك على ان تذهبى معه الى ذلك المكان ، فما مجال الطلاق هنا ؟ »

ـ انه يخيرنى : اما ان اذهب الى مى ـ تان ـ فو ، او يرفع قضية الطلاق !

فتغيرت لهجة تاونسند قليلا اذ هتف : « آه ٠٠ فهمت ٠٠ أعتقد أن هذا مسلك معتدل منه ٠٠ ألا ترين ذلك ؟ »

ـ معتدل ! ؟

ـ الواقع أنها مغامرة نبيلة منه أن يذهب الى هناك ٠٠ انه شىء لا استطيع ان اسفهه او استخف بقيمته ٠٠ ولسوف يحصل على وسام من أجله اذا ما عاد ٠٠

فصاحت بصوت مفعم بالأسى : « وانا يا تشارلى ٠٠ ما موقفى ؟ »

ـ أعتقد انه اذا كان يريدك أن تذهبى ، فلست ارى ـ ازاء الظروف القائمة ـ منفذا لك كى ترفضى !

ـ لكن معنى ذلك الموت ٠٠ الموت المؤكد المحتوم !

ـ اوه ٠٠ الى الجحيم بهذا الهراء ! ٠٠ انها مبالغة منك ٠٠ انه ما كان ليأخذك لو كان يعتقد ذلك٠٠ولن يتضمن الامر خطرا يتهددك فوق ما يتهدده ٠٠ والواقع ان ليس هناك عظيم خطر اذا عنيت باتخاذ الحذر ٠٠ لقد كنت هنا حين تفشت الكوليرا مرة ، فلم تهتز شعرة فى جسدى٠٠كل ما فى الامر أن لا تأكلى شيئا ما لم يكن مطهوا ٠٠ واحذرى الفواكه والخضر الفجة وما اليها ، واحرصى على ان يكون الماء الذى تشربين مغليا ٠٠

وشرع يسترد ثقته واعتداده وهو يمضى فى الكلام ، فانساب حديثه سلسا ٠٠ بل لقد بدأ بتخلى عن اكتئابه ويسترد روحه اليقظة الفكهة ، وبدا على شىء من المرح وهو يقول : « انه عمله ، على اية حال ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ انه يعنى بالحشرات ، وهذه فرصة سانحة له ، لو تدبرت الواقع »

فعادت تكرر فى حزن ، وان فارقها الجزع : « وانا يا تشارلى ؟ »

ـ ان خير وسيلة لفهم اى رجل ، ان تضعى نفسك فى موقفه ٠٠ وانت قد كنت ـ من وجهة نظره ـ مخلوقة طائشة حمقاء ، وهو يريد ان يبعدك عن موطن الضرر ٠٠ لقد كنت اعتقد دائما انه لا يود ان يطلقك ، فهو فيما يبدو لى ليس من ذلك الصنف من الرجال الذين يجنحون الى هذا المسلك ٠٠ ولكنه فعل ما خال انه منتهى الكرم ، فاذا بك تردين عرضه بالرفض ٠٠ ولست

ابغى ان ألومك ، ولكننى فىالواقع ارى - لصالحنا جميعا - انه كان خليقا بك ان تولى الامر بعض الاعتبار ..

- ولكن .. ألا ترى ان هذا يقتلنى ؟ .. الا تدرى انه يأخذنى الى هناك لأنه يعلم ان فى ذلك هلاكى ؟

- أواه يا عزيزتى .. لا تقولى هذا .. اننا فى موقف غاية فى الحرج ، والواقع ان الظرف غير مناسب للتصرفات المسرحية ..

- انك تصر على ان لا تفهم الموقف ..

أواه ! .. ما كان أقسى الألم الذى أثقل قلبها .. والخوف !.. وودت لو تصرخ لفرط وجيعتها .. ولكنها تمالكت نفسها لتمضى قائلة : « ما اراك ترسلنى الى موت محقق ! .. اذا لم يكن لديك شىء من الحب او الشفقة ، فليكن لديك مجرد شعور انسانى عادى .. »

- تظلمينني اذ تصورين الامر على هذه الصورة .. ان زوجك - بقدر ما أرى - يبدى غاية الكرم .. انه راغب فى أن يغفرلك اذا ما أفسحت له الفرصة .. انه يريد أن ينأى بك ، وقد سنحت له هذه الفرصة كى يصحبك الى مكان تكونين فيه بمنجى عن الضرر لبضعة شهور .. ولست أزعم أن «مى - تان - فو» مكان صحى يصلح للنزهة ، وما عرفت مدينة صينية يمكن ان توصف بهذا ، ولكن لا داعى للمغالاة فى تصور عيوبها .. والحق ان هذا خير ما تفعلين ، رغم سوئه .. وانى لأعتقد ان عدد من يموتون من الناس لمجرد الخوف من الوباء ، لا يقل عن عدد الذين يموتون بعدوى هذا الوباء !

- ولكنى مذعورة .. ولقد كدت أفقد رشدى حين فاتحنى وولتـــر فى الأمر ..

- اننى أقدر أن الامر كان صدمة مفاجئة فى البداية .. ولكنك لن تلبثى أن تطمئنى اذا ما فكرت فيه بهدوء .. ستكون تجربة لم يقدر لكل امرأة أن تجتازها ..

- ظننت .. ظننت ..

وراحت تهتز فى ألم بالغ .. ولم ينبس هو ببنت شفة ، بل عاد وجهه يكتسى مظهر الضجر الذى لم تألفه منه الا أخيرا .. وكانت قد كفت عن البكاء ، وجفت عيناها ، وعاودها شىء من الهدوء .. فغدا صوتها متزنا ، رغم انخفاضه ، وهى تتساءل : « أو تريدنى اذن أن أذهب ؟ »

- لا مجال للاختيار .. أليس كذلك ؟

- هل ترى ذلك ؟

- من الانصاف أن اخبرك بأنه اذا رفع زوجك قضية طلاق وكسبها ، فلن **أكون فى مركز يسمح لى بأن أتزوج منك !**

وبدا له كأنما انقضى دهر قبل ان تجيب ، اذ نهضت فى بطء مستوية على قدميها وقالت : « ما أظن زوجى فكر حقا فى ان يرفع الامر للقضاء ٠٠ »

فسألها : اذن فلماذا بربك أرعبتنى حتى كدت تخرجيننى عن وعيى ؟»

فنظرت اليه فى فتور وقالت : « كان يعلم انك ستتخلى عنى ! »

ووقفت صامتة ٠٠ وكما يحدث لك حين تدرس لغة أجنبية وتقرأ صفحة لا تفقه منها فى بداية الامر شيئا ، حتى تفتح لك كلمة او عبارة ما طريق الفهم ، فاذا شعور بالادراك غير الواضح يشرق على ذهنك المضنى فجأة ٠٠ بمثل هذا الابهام استطاعت كيتى ان تدرك لمحة من سير تفكير وولتر ، فكأنما رأت منظرا بشعا مظلما ، تجلى فى لمحة من البرق ثم اختفى فى اللحظة التالية بين طيات الليل ، واذا بها ترتجف لما رأت ! ٠٠ وقالت : « انه لم يشترط ويهدد الا لأنه عرف انك ستتراجع امام النذير ياتشارلى ٠٠ ومن العجيب انه استطاع أن يعرفك بمثل هذه الدقة ٠٠ وقد شاء ــ كما توحى طبيعته ــ ان يدعنى اكشف بنفسى خيبة هذا الوهم المضلل القاسى ! »

ونكس تشارلى بصره الى صفحة « النشاف » التى أمامه ، وقد عبس قليلا ، وأرخى أعصاب فمه ٠٠ ولكنه لم يحر جوابا . بينما استأنفت كيتى حديثا قائلة : **« كان يعرف أنك مغرور بالباطل ، وأنك لاتفكر لجبنك الا فى نفسك ٠٠ وقد اراد لى ان ارى ذلك بعينى ! ٠٠ كان يعلم انك ستجرى كالأرنب اذ يقترب الخطر ٠٠ ويعرف مدى خديعتى اذ فكرت فى انك كنت تحبنى ــ لأنه كان يدرك أنك عاجز عن حب أحد غير نفسك ! ٠٠ كان يعلم أنك تقدم على التضحية بى دون ما ندم كى تنقذ جلدك ٠٠ »**

ــ اذا كان يرضيك حقا ان تقولى لى مثل هذه الاشــياء ، فلست ارى لنفسى حقا فى الشكوى والتذمر ٠٠ ان النساء دائما ظالمات ، وهن على العموم قادرات على أن يضعن أى رجل الوضع الخاطىء الذى يبغين ! ٠٠ ولكن ثمة ما ينبغى أن يقال من الجانب الآخر ٠٠

ولم تكترث لمقاطعته ، بل استطردت قائلة : **« ولقد اصبحت الآن أعرف ما كان يعرفه وولتر ٠٠ اعرف انك عديم الاحساس والقلب ٠٠ أعرف انك انانى ٠ انانى أكثر مما يمكن للكلمات ان تصور ! ٠٠ وأعرف انك لم تؤت من الشجاعة حتى ما أوتيه الأرنب ٠٠ اعرف انك كاذب ، مخاتل ٠٠ أعرف انك خسيس ، زرى الى أقصى مدى ٠٠ والمؤلم فى الامر » ــ واربد وجهها فجأة لفرط الألم وهى تمضى قائلة ــ « المؤلم فى الامر أننى أحبك رغم ذلك من كل قلبى ! »**

ــ كيتى ٠٠

فارسلت ضحكة مريرة ، اذ لفظ اسمها بلهجتــه الدافئة ، التى تذيب

القلب .. اللهجة التي كانت تواتيه فى سهولة طبيعية ، وان لم يكن يعنيها! .. ثم استطردت : « لقد بدأت تكرهنى .. الست كذلك ؟ .. حسنا ، اكرهنى ، فلن يضيرنى هذا الآن فى شيء ! »

وشرعت تلبس قفازها ، فسألها : « ماذا تعتزمين أن تفعلى ؟ »

ـ آه ، لا تخف ، فلن تتعرض أنت لأذى .. ستكون فى أمان !

فأجاب وصوته العميق يفيض قلقا : « لا تتكلمى بربك بهذه اللهجـة يا كيتى !.. يجب أن تعرفى أن ما يهمك يهمنى .. وسأكون بالغ اللهفة على معرفة ما يجرى.. ماذا تعتزمين ان تقولى لزوجك ؟ »

ـ سأنبئه بأننى مستعدة لأن أذهب معه الى مى ـ تان ـ فو

ـ لعله لا يصر اذا وافقت ..

ولم يستطع ان يدرى لم تطلعت اليه بتلك النظرة الغريبة اذ قال ذلك ، فسألها : « ما اظنك خائفة حقا ؟ »

قالت : « لا .. لقد ألهمتنى الشجاعة .. ان الذهاب فى غمـرة وباء الـكوليرا تجربة فذة .. فان مت .. فلأمت ! »

ـ لقد حاولت ان اترفق بك ما وسعنى ..

فتطلعت اليه مرة أخرى.. وعادت الدموع تتبادر الى عينيها وقد ملأ الأسى قلبها .. وهفت بها رغبة طاغية فى ان تلقى بنفسها على صدره ، وتسحق شفتيها على شفتيه .. ولكن ، لم يكن لذلك أى نفع ! .. فقالت وهى تحاول أن يبدو صوتها هادئا : « ان شئت ان تعرف ، فأننى اذهب والموت والخوف يفعمان قلبى .. لست أدرى ماذا يخفى وولتر فى ذهنه المعتم ، الملتوى ، ولكننى ارتجف ذعرا .. وأعتقد ان الموت قد يكون راحة حقيقية تخلصنى.. »

وشعرت بأنها لن تستطيع أن تحتفظ بجلدها لحظة أخرى، فسارت مسرعة الى الباب ، وخرجت قبل ان يجد وقتا للتحرك فى مقعده .. فأرسـل تاونسند زفرة ارتياح طويلة ، وأحس انه اشد ما يكون حاجة الى كأس من الخمر !

ـ ٢٧ ـ

◆ **وكان** وولتر في البيت حين بلغته .. وودت لو تيمم صوب مخدعها مباشرة ، ولكنه كان فى بهو الطابق الاسفل يدلى بتعليماته الى الخدم.. وكانت تعسة الى درجة جعلتها على استعداد لأن ترحب بالهوان الذى لا بد من ان تعرض نفسها له لو التقت به .. فوقفت امامه وقالت : « **سأذهب معك الى ذلك المكان** »

ـ آه .. هذا حسن ..

ـ متى تريد أن اكون متأهبة ؟
ـ مساء الغد ..
ولم تدر اية شجاعة ظاهرية سرت اليها فجعلتها تحتمل عدم اكتراثه الذى وخزها كسنان الحربة .. واذا بها تقول ما اذهلها : « اظنني فى غير حاجة الى أن آخذ معى أكثر من بضعة أشياء صيفية .. وكفن ! . . أليس كذلك ؟ »

وكانت تراقب وجهه وهى تتكلم ، وتعلم ان ملاحظتها الاخيرة قد أغضبته .. ولكنه اكتفى بأن قال : « لقد انبأت وصيفتك بما سوف تحتاجين اليه .. »

ونكست رأسها .. ثم صعدت الى مخدعها ، وهى بالغة الشحوب !

- ٢٨ -

◆ **أشرفا** أخيرا على غاية رحلتهما ، بعد أن ظلا محمولين على محفتيهما يوما بعد يوم ، خلال دروب ضيقة بين حقول الارز التى لا تكاد تنتهى .. وكانا وحمالوهما يبدأون من الصباح ، فيمضون حتى تضطرهم حرارة النهار الى أن يلوذوا بخان على حافة الطريق ، ثم لا يلبثون أن يعاودوا الرحيل منه .. حتى يبلغوا البلدة التى اعتزموا أن يبيتوا فيها ليلتهم .. وكانت محفة كيتى تتقدم الموكب ، ووولتر فى أثرها ، ثم يتعاقب الخدم الذين يحملون لوازم نومهما ، ومؤونتهما ، ومعداتهما ، يشقون طريقهم جاهدين ..

وكانت كيتى تجتاز الريف دون أن ترى عيناها مناظره .. وأخذت الساعات الطوال تمر فى صمت لا تقطعه سوى ملاحظة عابرة من أحد الحمالين ، أو ترديد أغنية جافة غير متناسقة اللحن .. وراحت الزوجة تستعرض فى ذهنها المعذب دقائق المنظر المفجع الذى جرى فى مكتب تشارلى .. وأحست بخيبة مرة وهى تتذكر ما قاله لها وما قالته له ، اذ تبينت كيف انقلب حديثهما جافا جديا ، وكأنهما كانا يتناقشان فى عمل تجارى ، فلم تقل كل ما كانت تود أن تقول ، ولم تتكلم باللهجة التى كانت تعتزم أن تتكلم بها .. ولعلها لو استطاعت أن تبين له حبها الذى لا حد له ، والجوى المستعر فى فؤادها،وعجزها وأساها ، لما جرد نفسه من الشعور الانسانى ولما تركها لمصيرها !.. ولكنها أخذت على غرة .. لم تكد تصدق أذنيها حين أنبأها ـ بمسلكه أكثر منه بكلماته ـ بأنه لم يك يأبه لها .. وكان هذا هو السر فى أنها لم تسرف فى البكاء ، فقد ذهلت .. ولكنها بكت بعد ذلك .. بكت فى شقوة وتعاسة !

كانت تستلقى طيلة الليل مستيقظة فى الفنادق الريفية التى كانا ينزلان بها ، وهى تشاطر زوجها خير الغرف ، وتحس به نائما فى سريره ، فكانت تعض الوسادة كى لا تفلت أثناء انتحابها شهقة تنبهه الى بكائها .. أما فى النهار ، فكانت سجف محفتها تحميها من نظراته ، مما كان يجعلها تفضفض من أساها .. وكان ألمها عارما ، تود معه لو أطلقت صوتها بالصراخ .. انها ما عرفت قط أن الانسان يألم بهذا الشكل !.. وكانت تسائل نفسها فى قنوط عما فعلت حتى تستحق هذا العذاب .. فلقد أعياها أن تجد مبررا يعلل عدم حب تشارلى لها ، فوقر فى نفسها أن الذنب ربما كان ذنبها .. ولكنها بذلت كل ما فى وسعها لتجعله مشغوفا بها ، وكانا دائما ينسجمان فيضحكان طيلة الوقت الذى يلتقيان فيه .. أجل ، **لم يكونا عاشقين فحسب ، بل كانا صديقين أيضا .. ومع ذلك فانها لم تفقه سر تصرفه الذى حطم قلبها !.. وراحت تقول لنفسها انها تكرهـــه وتزدريه ، ومع ذلك فلم تكن تدرى كيف تعيش دون أن تراه ثانية .. أجل ، اذا كان وولتر يصطحبها الى « مى ـ تان ـ فو » عقابا لها ، فهو أحمق ، لانها لم تعد تحفل بما يصيبها !.. لم يعد لها أمل تحيا من أجله .. ولم يكن أقسى على نفسها من أن تنبذ الحياة وهى بعد فى السابعة والعشرين !**

- ٢٩ -

◆ وعلى ظهر الباخرة التى اجتازت بهما النهر الغربى لم يكف وولتر عن القراءة ، بيد أنه كان يحاول فى أوقات تناول الطعام أن يخلق جوا للحديث بينهما .. كان يكلمها ـ كما لو كانت امرأة غريبة صادفها فى الرحلة ـ عن أشياء تافهة ، خيل لكيتى أنه لايتحدث عنها الا من قبيل الادب،أو من قبيل اشعارها بالهوة التى فصلت بينهما !.. وكانت قد أنبأت تشارلى ، بوحى ومضة من بعد النظر ، أن وولتر قد أرسلها اليه بنذير الطلاق ـ كاحتمـــال بجنبها مرافقته الى المدينة الموبوءة ـ لتستبين بنفسها مدى ما كان عليه من غدر ، وجبن ، وأنانية !.. وكانت محقة اذ حدست ذلك ، فان مثل هـــذا التفكير يتسق تماما مع ما أوتى وولتر من طباع ساخرة .. لقد كان يعرف تماما ما سوف يحدث ، ومن ثم أدلى لوصيفتها بالتعليمات اللازمة للسفر قبل عودتها !.. ولقد قرأت فى عينيه احتقارا شملها وشمل عشيقها على السواء .. ولعله قال لنفسه انه لو كان فى وضع تاونسند لما عاقه شىء فى الدنيا عن الاقدام على أية تضحية لارضاء أتفه نزواتها !.. وكانت هى تدرك أنه لو كان مكان الآخر لأقدم فعلا على جميع التضحيات فى سبيلها .. بيد أنها وقد تفتحت عيناها ، بدأت تسائل نفسها كيف يضطرها الى اجراء على هذه الدرجـــة من الخطورة ، يدرك ولابد أنه يبعث أقسى الفزع فى نفسها ؟

لقد ظنته فى بادىء الامر يعبث بها ، وظلت حتى شرعا فى رحلتهما - بل حتى غادرا النهر وانطلقا فى محفتيهما عبر الريف - تعتقد انه لن يلبث أن يطلق ضحكته القصيرة المعهودة ، ويخبرها أن لا حاجة بها الى أن تذهب معه ! .. فهى لا تستريب قط فيما يدور فى رأسه ، وليس من الممكن أن يكون حقا راغبا فى موتها ، فقد كان مدنفا فى هواها ، وهى قد عرفت الآن معنى الحب ، فأخذت تتذكر ألف بادرة وبادرة كانت تنم عن هيامه بها ، وعن أنها مبعث سروره وأساه .. كلا ، من المستحيل انه لم يعد يحبها .. فهل يكف الانسان عن حب شخص ما لانه قسا فى معاملته ؟.. انها لم تعذبه كما عذبها تشارلى ، ومع ذلك فلو ان تشارلى أشار لها مجرد اشارة - رغم كل شىء ، ورغم أنها أصبحت تعرفه على حقيقته - لنبذت كل ما تقدمه لها الدنيا وطارت الى ذراعيه !.. فانها لتحبه حتى بعد أن ضحى بها ولم يكترث لها .. حتى بعد أن أبدى لها الجحود والقسوة الجافية !

وخيل اليها فى البداية أن ليس عليها سوى أن تصمد للزمن فلا يلبث وولتر أن يصفح عنها ، ان عاجلا أو آجلا .. فقد كانت مفرطة الثقة فى سلطانها عليه ، بحيث كان من العسير عليها أن تصدق أن هذا السلطان قد تبدد ، فان المياه الدافقة لايمكن أن تطفىء الحب.. واذا كان قد أحبها، وشعر أن لامناص من حبها ، فهو ولا بد ضعيف ازاءها .. بيد أنها لم تعد الآن واثقة من ذلك.. فكلما أتيح لها أن تتأمله فى غير عناء وهو جالس فى المساء يقرأ على المقعد الخشبى غير المريح فى الفندق ، وضوء مصباح الغاز المتوهج (الكلوب) يسقط على وجهه .. وهى مستلقية بعيدا عن الضوء ، على الحصير الذى أعد ليقام عليه فراشها .. كانت قسماته الحادة ، المستقيمة ، المنتظمة تبدى وجهه صارما ، حتى ليعز عليك أن تصدق انه يستطيع أن يعطيك - اذا حانت مناسبة - تلك الابتسامة العذبة التى كانت تصدر عنه !.. وكان فى وسعه أن يمضى فى القراءة هادئا ، ساكنا ، وكأنها على بعد ألف ميل منه .. كانت تراه يقلب الصفحات ، وتبصر عينيه تتحركان بانتظام وهما تتابعان السطور ، فتشعر انه لا يفكر فيها ! وعندما كانت المائدة تبسط ، ويحمل اليها طعام العشاء ، كان يضع كتابه جانبا ، ويرمقها بنظرة - وهو لا يعلم أن الضوء المتساقط على وجهه يكسب ملامحه مظهرا خاصا - فكانت تجفل اذ ترى فى نظرته اشمئزازا ملموسا .. أجل ، كانت تجفل .. أمن الممكن أن يكون حبه قد تبخر تماما ؟.. أمن المحتمل أن يكون قد رسم حقا خطة لموتها ؟.. هراء ، والا لكان ذلك تصرف رجل مجنون ! .. وكانت تشعر بقشعريرة غريبة تسرى فى كيانها اذ يخطر لها أن وولتر قد لا يكون كامل العقل !

- ٣٠ -

◆ **وفجأة** ، بدأ حاملو محفتها يتكلمون بعد طول صمت ٠٠ والتفت أحدهم يقول لها كلمات لم تستطع أن تفهمها، وهو يشير ليجتذب انتباهها. ٠ وأرسلت بصرها الى حيث أشار ، فاذا بها ترى – على قمة أحد التلال – نصبا على شكل قنطرة ، أو بوابة محدودبة ٠٠ وكانت قد عرفت لكثرة ما مرت به مذ غادرا النهر من أمثال هذا النصب ، انه مبنى تذكارى لتخليد ذكرى عالم مجدود ، أو أرملة وفية ناصعة السيرة ٠٠ بيد أن هذا النصب ، الذى بدا معتما اذ جاوزته شمس المغيب ، كان أبهى وأجمل من كل ما شاهدت من قبل ٠٠ ومع ذلك ، فلم تدر لم أثار فى نفسها نوعا من عدم الطمأنينة ، اذ أوحى اليها بمعنى أحست به وان لم تعرف كيف تعبر عنه بالكلمات ٠٠ معنى لم تدر أكان نذيرا بالفضيحة أو كان مفعما بالسخرية !٠٠ وكانوا يمرون لحظتئذ بحرش من نبات الغاب (البوص) ، تميل عيدانه على الدرب بشكل غريب وكأنها توشك أن تمنعها من المضى الى الامام ٠٠ وكانت أوراق الشجيرات ترتجف قليلا رغم أن الهواء كان راكدا فى ذلك الوقت ٠٠ مما أوحى اليها بأن شخصا ما قد اختبأ بين العيدان ليرقبها وهى تمر ٠٠!

وانتهوا الى أسفل التل ، فاختفت حقول الارز ، واندفع الحمالون يتقدمون بخطى واسعة والمحفة تتمايل على أكتافهم ٠٠ وكان التل مغطى ببقع خضراء شديدة التقارب ، ومرتفعة قليلا عن مستوى الارض ، فبدت كرمال الشاطىء حين ينحسر عنها ماء المد ٠٠ وأدركت ما وراء هذا أيضا من دلالة ، فقد مرت بأشباه له حين كانوا يقتربون من كل مدينة مأهولة أو يغادرونها ٠٠ كانت البقع الخضراء هى مقبرة المدينة. ٠ وأدركت اذ ذاك لم نبهها حاملو المحفة الى النصب المحدودب القائم على قمة التل ٠٠ كانوا قد بلغوا نهاية الرحلة ٠٠

ومروا تحت النصب ، فوقف الحمالون ريثما تبادلوا أماكنهـــم ليريحوا أكتافهم ٠٠ ومسح أحدهم العرق المتصبب من جبينه بخرقة قذرة ٠٠ وانحرف الدرب بهم ، فاذا ببيوت منخفضة على الجانبين ٠٠ وكان الليل يرخى سدوله، وفجأة ، اندفع الحمالون فى حديث منفعل ، وقفـــزوا قفزة هزتها ، ثم انحرفوا مقتربين من الجدار بقدر ما استطاعوا ٠٠ وان هى الا لحظة حتى أدركت ما أفزعهم ، فبينما وقفوا وهم يتكلمون ، مر أربعة من الفلاحين فى صمت وسرعة ، حاملين تابوتا جديدا لم يطل خشبه بأى لون ، ومن ثم تجلى بياضه خلال العتمة وهم يقتربون ٠٠ وأحست كيتى بقلبها يخفق فى ذعر مرتطما بجنبات صدرها ٠٠ ومر التابوت ، ولكن الحمالين ظلوا جامدين فى موقفهم ، وكأنما كانوا عاجزين عن أن يستمدوا القدرة على المضى ٠٠ حتى انبعث من الخلف نداء ، اندفعوا على اثره دون أن ينبسوا ببنت شفة !

وساروا بضع لحظات أخرى ، ثم عرجوا فجأة الى مدخل احدى الدور ، ثم أنزلوا المحفة الى الارض ٠٠ فقد وصل الموكب !

- ٣١ -

◆ **كانت** الدار « فيلا » من طابق واحد ٠٠ ودخلت كيتى غرفة الجلوس وجلست ، بينما أخذ الخدم يتوافدون واحدا بعد آخر يرزحون تحت أحمال المتاع ، ووقف وولتر فى الفناء يصدر تعليماته ، موجها الحمالين الى الاماكن التى يضعون فيها الاحمال ٠٠ وكانت كيتى متعبة جد التعب ، وأجفلت اذ سمعت صوتا لا عهد لها به يقول : « أتسمحين لى بالدخول ؟ »

وتضرج وجهها ثم شحب ٠٠ كانت مشعثة ، مغبرة ، فضايقها أن تقابل غريبا بهذه الهيئة ٠٠ وولج من الظلام رجل ٠٠ ولم يكن فى الغرفة سوى مصباح عليه غطاء يحتجز ضوءه ٠٠ وعلى نور هذا المصباح رأت الرجل يبسط لها يده قائلا : « اسمى وادينجتن ٠٠ اننى نائب مدير الجمرك »

ـ آه ٠٠ الجمارك ٠٠ لقد سمعت انك هنا

وعلى الضوء المكتوم لم تستبن سوى انه كان رجلا نحيلا ، ضئيل الجسم ـ لا يجاوزها طولا ـ ذا صلعة ووجه صغير ، حليق ٠٠ وأردف مستطردا :

ـ اننى أسكن عند نهاية سطح التل ، ولكنك لم تستطيعى أن تتبينى بيتى من الطريق الذى جئتم خلاله .. ولقد حدست أنكما ستكونان من التعب بحيث لا تستطيعان أن تحضرا لتناول العشاء معى ، ولذا أمرت بأن يحمل الطعام اليكما هنا ، ودعوت نفسى ..

ـ يسرنى أن أسمع هذا ..

ـ ستجدين أن لا بأس بالطهى .. وقد استبقيت لكما طاهى الدكتور واطسن ..

ـ هل واطسن هو الطبيب المبشر الذى كان هنا ؟

ـ أجل .. كان شخصا فى منتهى اللطف .. سأريك قبره غدا ان شئت..

فقالت كيتى مبتسمة : « ما أكرم تطوعك ! »

وأقبل وولتر فى تلك اللحظة ، وكان « وادينجتن » قد عرفه بنفسه قبل ان يفد ليقابل كيتى ٠٠ فبادره قائلا : « كنت انبىء زوجتك بأننى سأتناول طعام العشاء معكما ، فمنذ موت واطسن لم أجد من أبادله الحديث اللهم الا الراهبات ، وليس بوسعى قط أن ازكى طلاقتى فى الفرنسية ٠٠ فضلا عن ان الموضوعات التى يستطيع المرء أن يتحدث اليهن فيها محدودة ! »

فقال وولتر : « لقد سألت الخادم ان يحضر بعض الشراب »

واحضر الخادم « ويسكى » و « صودا » ، فلاحظت كيتى ان وادينجتن قد أترع كأسه .. وكانت طريقته فى الكلام وضحكته الطلقة ، قد أوحتا اليها حين قدم بأنه لم يكن فى تمام يقظة الوعى .. وقال وهو يرفع كأسه :

« لنشرب نخب الحظ ! » .. ثم التفت الى وولتر قائلا : « **ستجد عملك معدا موفورا ، فانهم يهوون فى أحضان الموت كالذباب،حتى لقد فقد المسجل وعيه لفرط ضغط العمل ، كما أن الكولونيل « يو » ـ قائد الجنود ـ يلقى أشد العناء فى كبح جماحهم عن أن يعيثوا نهبا وسلبا .. ولن نلبث أن نقتل فى مضاجعنا سراعا مالم تحدث معجزة .. لقد حاولت أن أحمل الراهبات على الرحيل ، ولكنهن ابين بالطبع .. كلهن يردن ان يكن شهيدات .. عليهن اللعنة !** »

كان يتكلم فى غير حذر ، وفى صوته نبرة يخالطها شىء من الضحك ، حتى انك لا تتمالك نفسك من الابتسام وانت تسمعه ..

فسأله وولتر : « ولم لم ترحل انت ! »

ـ لقـد فقدت نصف أعوانى ، والنصف الآخر متأهبون لأن يسقطوا ويموتوا فى أية لحظة .. ومن ثم فلا بد من أن يبقى شخص ما لأداء العمل

ـ وهل حقنت بالمصل الواقى ؟

ـ اجل ، حقننى واطسن . .ومع ذلك ، فقد حقن المسكين نفسه ، فلم يجده ذلك ..

وتحول الى كيتى ووجهه المضحك يتغضن ابتهاجا ، وقال : « أعتقد ان ليس ثمة كبير خطر اذا اتخذت الاحتياطات الكاملة .. احرصى على ان يغلى لبنك وماء شربك ، ولا تأكلى الفواكه الفجة ، ولا الخضر غير المطهوة .. هل احضرتما معكما اية اسطوانات موسيقية جديدة ؟ »

فقالت كيتى : « لا .. ما أظن ! »

ـ لشد ما يؤسفنى هذا .. كنت آمل ان تفعلا ، فاننى لم احظ باسطوانات جديدة منذ زمن بعيد ، وقد مللت القديمة التى عندى .

واقبل الخادم يستأذن فى اعداد الطعام ، فتساءل وادينجتن : « ما أظنكما تبغيان ان ترتديا ثياب العشاء الليلة ؟.. لقد مات خادمى الخاص فى الاسبوع الماضى ، وخلفه خادم أبله ، ومن ثم فأنا لم أعد أرتدى ثياب السهرة فى المساء .. »

وقالت كيتى : « سأذهب فأخلع قبعتى » .. وكانت حجرتها ملاصـــقة لتلك التى كانوا يجلسون فيها .. وكانت بسيطة الرياش ، ووجدت فيهـا وصيفة تجثو على الارض ، تفتح حقائبها وتخرج ما فيها ، على ضوء مصباح الى جوارها ..

- ٣٢ -

◆ **كانت** غرفة المائدة صغيرة ، تملأ الشطر الاكبر منها مائدة ضخمة ٠٠ وعلى الجدران ، كانت ثمة رسوم من التوراة محفورة ، وآيات مكتوبة بطلاء فسفورى يبديها مضيئة ٠٠

وقال وادينجتن : « ان رجال البعثات الدينية يملكون عادة موائد ضخمة ، اذ انهم يرزقون فى كل عام بطفل جديد ، كما يراعون اذ يشترون موائدهم ـ عند الزواج ـ ان يعدوا اماكن كافية للضيوف الأغراب »

وكان يتدلى من السقف مصباح كبير يضاء بالبترول ، استطاعت كيتى على ضوئه أن تزداد الماما بشخصية وادينجتن ٠٠ **كانت صلعته قد غررت بها وأوحت اليها انه فارق سنى الشباب ، ولكنها تبينت الآن انه كان لا يزال بينه وبين سن الاربعين شوط بعيد ٠٠ وكان وجهه صغيرا ، تعلوه جبهة بارزة ، مستديرة ،وقد بدا متوردا ، خاليا من التجعدات٠ وكان بشعا ، كوجه القرد ، ولكن قبحه لم يكن خلوا من السحر . كان وجها ترتاح العين الى مشاهدته ، وكانت قسماته ، وانفه وفمه ، لا تكاد تكبر عن قسمات الطفل ٠٠ كما كانت له عينان زرقاوان ضيقتان شديدتا التألق .. أما حاجباه فكانا خفيفين ، قصيرين ، اشقرى الشعر ٠٠ كان يبدو كصبى مضحك ٠٠ وكان لا ينفك يملأ كأسه بالشراب ، حتى بدا جليا ـ ولما ينته العشـــاء ـ انه بعيد عن الرشد والاتزان .. بيد أنه وان ثمل لم يتخل عن أدبه ، بل بدا مرحا ، كجدى سرق قربة النبيذ من راع نائم !**

وراح يتكلم عن هونج كونج ، حيث أوتى اصدقاء كثيرين أراد ان يعرف انباءهم ٠ وكان قد ذهب اليها منذ عام لمشاهدة السباق ، فتحدث عن الجياد واصحابها ، ثم تساءل فجأة : « بهذه المناسبة ٠٠ ماذا عن تاونسند ؟ هل سيصبح حاكما ؟ »

واحست كيتى بوجهها يتضرج ، ولكن زوجها لم ينظر اليها ٠٠ واجاب : « لن اعجب لذلك »

ـ انه من النوع الذى لا يكف عن السعى وراء المنصب ٠٠

فسأله وولتر : « هل تعرفه ؟ »

ـ أعرفه معرفة وثيقة ، فقد غادرنا الوطن معا ذات مرة

وسمعوا دقات الطبول تنبعث من الضفة الأخرى للنهر،وفرقعة الصواريخ النارية ٠٠ كانت المدينة ترقد فى فزع على غير مبعدة منهم ، وقد اندفع الموت فجأة ، وفى غير ما اشفاق ، يعيث فى شوارعها الملتوية ٠ ومع ذلك فقد شرع وادينجتن يتحدث عن لنـــدن ٠٠ كان يعرف كل ما يعرض فى ملاهيها فى

تلك اللحظة ، وقد راح يحدثهما عن المسرحيات التى رآها حين كان فى الوطن أثناء عطلته .. وكان يضحك اذ يذكر مزاح هذا الـــكوميدى الرخيص ، ويتنهد اذ يستعيد صورةجمال تلك النجمة منجوم احدىالصالات الموسيقية .. وطاب له ان يزهو بأن ابن عم له تزوج من احدى النجوم الشهيرات ، وانه تناول الغداء معها ، وأنها أهدته صورتها التى وعد أن يطلعهما عليها اذا ما ذهبا ليتناولا معه طعام العشاء فى دار الجمارك

وكان وولتر يرمق ضيفه بنظرة باردة ، ساخرة.. ولكنه لم يضن بالتبسط معه ، بل راح يبذل جهدا كى يبدى مايتطلبه الادب من اهتمام ببعض المسائل التى كانت كيتى تدرك تماما أنه لا يعرف عنها شيئا .. وكانت تتأرجح على شفتيه ابتسامة واهنة .. بيد ان كيتى كانت فياضة الأسى دون ان تدرى لذلك سببا ، فقد لاحوا ثلاثتهم فى هذا البيت الذى خلفه المبشر عند موته، والقائم على مشارف مدينة يحوم الموت فوقها .. لاحوا بمعزل عن العالم !.. ثلاثة أشخاص ، كل منهم غريب عنالآخر ، تكتنفه وحدة تفصله عن زميليه..

واذ انتهى العشاء ، نهضت قائلة : « هل تسمحان لى بأن اتمنى لكمـا ليلة طيبة ، وان آوى الى فراشى ؟ » .. فأجاب وادينجتن : « سأنصرف ، اذ اتوقع ان يكون الدكتور راغبا هو الآخر فى ان يأوى الى فراشه .. فلا بد لنا من ان نخرج للعمل مبكرين فى الغد »

وصافح كيتى .. وكان متزنا ، ثابتا فى وقفته ، ولكن عينيه كانتا اكثر بريقا من المعتاد .. ثم قال لوولتر : « سآتى لأصحبك كى تقابل المســجل والكولونيل « يو » ثم نذهب الى الدير .. ان عملك معد فى انتظارك »

- ٣٣ -

◆ **كانت** الليلة بالنسبة لكيتى مليئة بالاحلام الغريبة ، اذ خيل اليها انها محمولة فى محفتها ، واحست بالحركة المتأرجحة الناشئة عن اندفاع الحمالين بخطاهم الواسعة..ودخلت فى أحلامها مدن شاسعة،معتمة ، كانت الحشود تلتفت حولها فيها محملقة بعيون مليئة بالفضول .. وكانت الطرق ضيقة ، ملتوية ، والمتاجر مفتوحة بسلعها الغريبة .. وكانت حركة المرور تتوقف لتمر ، كما كان البائعون والمشترون يكفون عن البيع والشراء .. ثم انتهت الى النصب المحدودب ونقوشه الرائعة التىبدت وكأنما دبت فيها حياةبشعة، رهيبة..ولاحت أطرافه كأذرع اله هندوسى تتحرك فى الهواء ، حتى اذامرت تحته ، سمعت ضحكة ساخرة..**ولكن تشارلى تاونسند أقبل اذ ذاك فتناولها بين ذراعيه ، ورفعها عن مقعد المحفة ، وقال ان كل ما جرى كان محض خطأ ، وانه ما كان يقصد ان يعاملها بما تبدى لها ، لأنه يحبها ولا يقوى على الحياة**

بدونها ٠٠ وأحست بقبلاته على شفتيها ، فبكت فرحا ٠٠ وساءلته كيف قسا عليها الى هذا الحد ، ولكنها كانت رغم تساؤلها تعلم انها لم تعد حزينة لما جرى .. ثم انبعثت حولهما صيحة عالية ، خشنة ، فانفصلا ، ليمر بينهما حمالون صامتون ، يهرعون ، حاملين ٠٠ تابوتا !

واستيقظت من كابوسها مرتاعة ٠٠ !

كانت الدار تقع فى منتصف سفح تل منحدر .. ورأت خلال نافذتها النهر الضيق ينساب تحتها فى اتجاه مضاد لموقع المدينة ٠٠ وكان الفجر قد انبثق لتوه،وأخذ يتصاعد من النهر ضباب أبيض يكتنف السفن الصينيةالتى رست متلاصقة كحبات البازلاء فى عودها ٠٠ كانت ثمة مئات منها ، صامتة ، يحفها الغموض فى ذلك الضوء الرهيب الذى بدا وكأن الموت يشيع فيه ٠٠ كنت تحس كأن ملاحى تلك السفن واقعون تحت تأثير سحر سلبهم الحرارة، اذ لم يكن ما اقعدهم عن الحركة واسلمهم الى الصمت ، نوم ٠٠ وانما شىء آخر غريب ، رهيب !

وتهادى الصباح ، ومست الشمس غلالة الضباب ، فبدا ضوؤها كطيف جليد يكسو كوكبا ميتا ٠٠ ومع ان الضوء كان يسطع على النهر حتى لتستطيع ان تتبين الى حد ما هياكل السفن الموسقة ، وصواريها الجمة التى لاحت كغابة كثيفة ، الا ان ستارا من الضوء الوهاج قام بين النافذة والنهر ، لا يقوى البصر على اختراقه ٠٠ وفجأة ، مرق من هذه السحابة البيضاء برج عال ، كئيب ، جامد ٠٠ وكأنه لم يكن قد تكشف على ضوء الشمس ، وانما قام من اعماق الفضاء بلمسة ساحر ، ليشرف على حصن لاذ به جنس همجى قاس ، على الضفة الأخرى للنهر ٠٠ على ان الساحر الذى كان يبنى المنظر ، راح يعمل بسرعة ، فاذا فوق البرج جزء من سياج متعدد الألوان ٠٠ وان هى الا لحظة حتى تبدت للنظر مجموعة من الأسقف الخضراء والصفراء ، برزت من جوف الضباب وراحت تمتد وتتجلى بسرعة ، يمسها شعاع أصفر من الشمس هنا وهناك ٠٠ وكانت تظهر ضخمة ، لا تستطيع ان تستبين لها طرازا ، ولا تكاد تفطن الى نظام يجمعها ، ان كان ثمة نظام ٠٠ كانت غريبة ، متماسكة ٠٠ ولكنها كانت وافرة الى درجة لا يكاد يتصورها الخيال ٠٠

لا ، لم تكن هذه قلعة ، ولا معبدا ، وانما قصرا سحريا لامبراطور للآلهة ، لا يسمح لبشر أن ينفذ من بابه !.. وكان القصر واسعا ، رحيبا ، هائلا ، لا يشبه فى شىء انتاج يد البشر ٠٠ بل كان من نسج الاحلام !

وانهمرت الدموع تغمر وجه كيتى وهى تحدق فى ذلك المنظـــر ، وقد التصقت يداها متماسكتين على صدرها ، وفغرت فاها وهى لا تكاد تملك ان تتنفس ٠٠ قط لم تشعر بقلبها خفيفا الى هذه الدرجة ، وقد اطرح عنه كل ما كان يثقله ٠٠ وخيل اليها ان جسدها استحال الى غلاف كأصداف القواقع

استلقى عند قدميها ، بينما اصبحت هى مجرد روح ٠٠ هنا كان الجمال ، فأقبلت عليه نهمة متعطشة ٠٠

- ٣٤ -

◆ **وصار** وولتر يغادر الدار فى الصباح الباكر ، فلا يعود الا فى موعد الغداء ليقضى نصف ساعة فقط ، ثم يخرج ثانية حتى موعد العشاء ٠٠ فألفت كيتى نفسها وحيدة معظم الوقت ، وقد ظلت فى البداية بضعة أيام لا تغادر الدار ٠٠ كان الجو قائظا ، وكانت تقضى أكثر وقتها مستلقية فى مقعد طويل الى جوار النافذة المفتوحة ، تحاول ان تنشغل بالقراءة ٠٠ وقد جرد الضوء القوى فى الظهيرة،ذلك القصر السحرى من الغموض الذى كان يكتنفه ، فلم يعد يتبدى لعينيها اكثر من معبد عند سور المدينة ، مغبر ، قديم ٠٠ بيد انه لم يلح لها قط مبنى عاديا ، مذ لاح لها مرة فى ذلك المنظر الخيالى الحالم ٠٠ وكثيرا ما كانت تجد نفسها ـ عند الفجر أو الغسق ، أو فى المساء ـ قادرة على ان تستعيد بعض ذاك الجمال الذى تكشف لها اول مرة ٠٠ والواقع ان ما لاح لها كالبرج لم يكن سوى سور المدينة ، السميك الاسمر ، الذى كانت عيناها تستقران عليه باستمرار ، والذى كانت المدينة تستلقى خلفه مهيضة فى قبضة رهيبة ٠٠ قبضة الوباء الفاتك !

وكانت كيتى تعرف ، فى ابهام ، ان ثمة امورا مخيفة تحدث وراء ذلـك السور المترامى ٠٠ ولم تكن المعلومات تتناهى اليها من وولتر ، الذى كان كلما سألته ـ اذ قلما كان يتكلم ما لم تسأله ! ـ يجيب فى استخفاف وفكاهة يبعثان فى مظهرها قشعريرة ٠٠ وانما كانت تستمد معلوماتها من وادينجتن والوصيفة ٠٠ ومنهما **علمت ان الناس يموتون بمعدل مائة نفس كل يوم !٠٠ وقلما كان يقدر لأى فرد ممن كان الوباء ينقض عليهم ان يشفى ٠٠ حتى لقد اخرج القوم أوثانهم من المعابد المهجورة واقاموها فى الطرقات ، وراحـوا يقدمون اليها القرابين ويبذلون لها التضحيات ، ولكنها مع ذلك لم توقف الكوليرا الجامحة ! ٠٠ كان الناس يموتون بسرعة يكاد يتعذر معها دفنهـم٠٠ وكانت اسرات بأكملها تكتسح فى بعض المنازل فلا يبقى من يشيع جنازاتها ٠٠ وكان قائد الجنود رجلا قوى الشكيمة ، بحيث اذا كانت المدينة لم تتعرض للفوضى والجريمة ، فانما كان ذلك بفضل ادارته ، اذ فرض على جنوده دفن من لم يكن يوجد من يدفنهم ، ورمى برصاص مسدسه ضابطا أبدى تذمرا وهو يدخل بيتا موبوءا ٠٠ !**

وكان الذعر يتملك كيتى فى بعض الاوقات حتى لقد كان قلبها يغوص فى اعماقها ، وكل جارحة من جوارحها ترتجف ٠٠ كان من السهل ان يقال ان

الخطر يتضاءل اذا التزمت احتياطات وقائية معقولة ، ولكن الخوف هو الذى كان ينشب فيها مخالبه..وكم من خطط رعناء جالت بخاطرها للفرار ! كانت تصبو الى ان تغادر المنطقة ، تغادرها وحسب ، الى غير ما وجهة معينة .. كانت على استعداد لأن ترحل كما هى ، وان تمضى وحيدة ، دون ما شىء سوى الثياب التى كانت على جسدها ، ساعية الى مكان امين .. بل فكرت فى ان تناشد وادينجتن الرحمة ، وان تفضى اليه بكل شىء ، وتتوسل اليه ان يساعدها على العودة الى هونج كونج .. ولو انها جثت امام زوجها وصارحته بأنها كانت جزعة ، فلا بد انها كانت تجد لديه من الشعور الانسانى ما يثير اشفاقه عليها ، رغم انه اصبح يكرهها ..

بيد أن هذا كله كان مجرد هذيان ، اذ .. الى أين تذهب اذا قدر لها الرحيل ؟ .. انها لا تستطيع ان تلجأ الى امها ، فان امها لن تلبث ان تظهر لها انها قد وطنت نفسها على اعتبار انها تخلصت منها ما دامت قد زوجتها .. ثم انها ، فوق ذلك ، لم تكن راغبة فى الذهاب الى امها .. **وانما كانت تتوق الى الذهاب الى تشارلى ! .. لكنه هو لم يكن راغبا فيها . كانت تعرف ما سوف يقول لو انها ظهرت امامه فجأة .. وكانت تتمثل الضجر القمين بأن يكسو وجهه لحظتئذ ، والقسوة الجاحدة التى سوف تلوح وراء عينيه الفاتنتين .. سيكون من العسير عليه أن يعثر على كلمات رقيقة الوقع .. وكانت وهى تتخيل ذلك ،تضم راحتيها فى غل متقد ، وتشعر بأنها ما كانت لتضن بشىء فى سبيل أن تذله كما أذلها ! .. وأحيانا كان الحقد يتملكها الى درجة تجعلها تتمنى لو أنها حملت وولتر على أن يطلقها ، راضية بما يحيق بها من خراب فى سبيل أن تراه هو الآخر مهدما من جراء الفضيحة .. فقد كانت بعض اقواله لها تتضرج خجلا وخزيا كلما تذكرتها !**

- ٣٥ -

◆ **وفى** أول مرة خلت فيها الى وادينجتن ، تعمدت ان تتطرق بالحديث الى ذكر تشارلى ، اذ كان الاول قد تحدث عنه فى ليلة وصولهما .. لكنها حرصت على أن تظهر أنه لم يكن أكثر من واحد من معارف زوجها .. فقال وادينجتن : « ما اكترثت قط له ، فقد شعرت دائما أنه ثقيل الظل ! »

فقالت كيتى فى ألطف لهجة استطاعت اصطناعها : « لا بد انك صعب الارضاء .. فانى أخاله اكثر الرجال فى هونج كونج شهرة وقربى لدى الناس »

– أعرف ، فهذه حرفته .. لقد ابتدع فنا لاكتساب الشهرة والتقرب من الناس ، اذ وهب القدرة على ان يجعل كل من يلتقى به يحس بأنه الشخص الوحيد فى الدنيا الذى يبغى لقياه ! .. انه دائما على استعداد لأن يؤدى اية

خدمة لا تجشمه عناء .. وحتى اذا لم يفعل ما تبغين ، فانه يجعلك تشعرين بأن عجزه انما يرجع الى أن ما تبغين فوق طاقة البشر !

ـ هذه ميزة رائعة بلا شك ..

ـ انهاميزة الجاذبية ولا شيء سواها .. بيد انها لا تلبث فى النهـاية ان تبعث الضجر ، على ما اعتقد . **ولعل من بواعث الراحة ان يعامل المـرء رجلا لم يؤت القدرة على بث الانشراح فى النفس، ولكنه أوتى مزيدا من الاخلاص .. لقد عرفت تشارلى تاونسند سنين طويلة ، وقد فاجـأته مرة أو اثنتين والقناع منحسر عن وجهه .. اننى ـ كما تعلمين ـ لم اكن يوما ذا شأن .. مجرد موظف صغير فى الجمارك ـ ولكننى اعلم انه لا يحفل فى قرارة قلبه بانسان فى الدنيا .. عدا نفسه !**

وكانت كيتى مضطجعة فى مقعدها ترمقه بعينين باسمتين ، وهى تدير خاتم الزواج حول اصبعها .. بينما استطرد الرجل قائلا : « انه ولا شك سيمضى قدما ، فهو يعرف جميع السبل للرقى فى الحكومة .. وانى لعلى يقين من أننى سأخاطبه يوما ـ قبل موتى ـ بياصاحب السعادة ، واضطر للوقوف اذا ما دخل الغرفة التى اكون فيها ! »

معظم الناس يظنونه اهلا للرقى .. فمن المعروف عنه عامة انه على قدر كبير من الكفاءة !

ـ الكفاءة !؟ .. اى هراء هذا ! .. انه شديد الغباء .. انه يوحى اليك بأنه يؤدى عمله بمهارة وذكاء ، ولكن الامر ليس كذلك .. كل ما هنالك أنه نشيط دؤوب على العمل ، كأى كاتب من أب أوربى وأم أسيوية ..

ـ وكيف اكتسب الشهرة بأنه نابه ؟

ـ فى الدنيا كثير من البلهاء ، واذا تخلى شخص عالى المركز عن الرسميات، وربت على ظهور الناس فى تلطف ، وقال لهم انه على استعداد لأن يفعل كل ما يمكن فعله من أجلهم ، فانهم ولا شك ينساقون الى اعتباره نابها..ثم.. هناك زوجته .. لقد اوتيت عقلا سليما ناضجا ، وان نصيحتها لجديرة بأن تتبع على الدوام .. وطالما اتيح لتشارلى تاونسند ان يستند اليها ، فهو دائما بمأمن من ان يرتكب اية حماقة ، وهذا اول الامور الضرورية للانسان كى يرقى المناصب الحكومية .. فأولو الشأن فى الحكومة لا يريدون الاذكياء ، لان الأذكياء يكونون أصحاب آراء ، والآراء تخلق المتـاعب .. انما يريدون رجالا على قدر من السحـر وحسن التصرف ، ويمكن الاطمئنان الى أنهم لا يخطئون أبدا .. أجل .. لسوف يرقى تشارلى تاونسند حتى يبلغ القمة بالتأكيد ..

ـ انى لأعجب .... لم تكرهه ؟

ـ لست اكرهه ..

فابتسمت قائلة : « ولكنك تحب زوجته أكثر مما تحبه ؟ »

ـ اننى رجل صغير الشأن ، عتيق العقلية ، احب المرأة الطيبة النشأة ..

ـ لكم اتمنى لو انها كانت انيقة الملبس بقدر ما هى طيبة النشأة !

ـ أو ليست انيقة ؟ .. لم ألاحظ هذا ابدا ..

فقالت كيتى وهى ترقبه خلال اهدابها المسبلة : « لطالما سمعت انها وزوجها كلاهما مشغوف بصاحبه ، وفى له ! »

ـ انه مشغوف بها .. وانى لأعترف له بذلك ، وأعتقد ان وفاءه هذا اطيب ما اوتى من خلال ..

ـ يا له من اطراء فاتر !

ـ ان له مغامرات بسيطة ، ولكنها ليست بالجدية ، اذ انه أمكر من ان يتركها تمتد الى الدرجة التى تسبب له أية مضايقة .. ثم انه ليس بالرجل العاطفى ، وانما هو مغرور بالباطل .. مغرم بأن يكون موضع اعجاب .. انه بدين ، وقد بلغ الاربعين .. وانه ليعنى بنفسه كثيرا ، ولكنه كان جم الوسامة حين وفد على المستعمرة للمرة الاولى .. وكثيرا ما سمعت زوجته تمازحه حول غزواته الغرامية !

ـ أو لا تهتم جديا بغرامياته ؟

ـ آه .. لا ، فانها تعرف انها لا تتجاوز الحدود .. بل انها تقول انها تود لو تستطيع ان تكون صديقة للمتهورات المسكينات اللاتى يغترون بتشارلى .. ولكنهن دائما من الغاويات الرخيصات ، الامر الذى لا يستثير زهوها كما تقول !

- ٣٦ -

◆ **أخذت** كيتى ـ بمجرد ان انصرف « وادينجتن » ـ تستعيد فى ذهنها ما قاله دون قصد .. ولم يكن بالقول الذى يلذ الاستماع اليه ، حتى لقد اضطرت الى ان تبذل بعض الجهد كى لا تكشف وقعه على نفسها .. وكان من المرير ان تتبين ان كل ما قال كان صدقا ! لقد ادركت ان تشارلى ابله ، مغرور يتعطش الى الملق والرياء .. وذكرت الزهو الذى كان يروى به بعض الاقاصيص ليبرهن على براعته .. كان يفخر بمكر رخيص .. وما كان ارخصها هى الاخرى حين وهبت قلبها فى عاطفة مشبوبة لرجل كهذا ، لمجرد أنه أوتى عينين جميلتين وقواما رشيقا !

وودت لو تزدريه ، لأنها كانت تدرك ان الاقتصار على كراهيته يقربها من حبه ! .. وكان خليقا بالطريقة التى عاملها بها ان تفتح عينيها .. ثم ان وولتر كان يستصغر دائما من شأنه ، فليتها استطاعت ان تطرده نهائيا من

ذهنها ! ٠٠ ترى هل كانت زوجته تمازحه بصدد هيامها الجلى به ؟ ٠٠ لقد كانت دوروثى تود لو اتخذتها صديقة لها ، لولا انها اعتبرتها دون مستواها ! ٠٠ وابتسمت كيتى قليلا وهى تفكر فيما كان يتولى امها من غضب لكرامتها لو انها عرفت نظرة البعض الى ابنتها !

بيد أنها حلمت بتشارلى فى تلك الليلة مرة أخرى .. أحست بذراعيه تضمانها اليه بقوة ، وبحرارة الوجد فى قبلاته تلهب شفتيها ٠٠ ماذا يهمها ان كان بدينا ، وان كان فى الاربعين من عمره ؟ ٠٠ وضحكت فى حنان ناعم ، لأنه كان يفرط فى الاهتمام بذلك ٠٠ بل لقد كان غروره الصبيانى من أقوى دوافع حبها ٠٠ وانها لتأنس من نفسها القدرة على ان تشفق عليه اذا اصابه ضر ، وتسرى عنه اذا ابتأس ٠٠

وحين افاقت من حلمها كانت الدموع تنهمر من عينيها ٠٠ ولم تدر ما الذى جعلها تشعر بأن البكاء فى المنام نذير سوء !

- ٣٧ -

◆ **وأصبحت** ترى وادينجتن كل يوم ، اذ كان يصعد التـــل الى دار « فين » بعد ان يفرغ من عمله ٠٠ ومن ثم لم ينقض اسبوع حتى انتهيا الى ألفة ما كانا ليصلا اليها فى عام تحت ظروف أخرى ٠٠ وذات يوم قالت له كيتى انها لا تدرى ماذا كانت تفعل بدونه .. فأجاب ضاحكا : «انك واياى ، كما ترين ، الشخصان الوحيدان هنا اللذان يسيران فى هدوء واطمئنان على ارض صلدة .. فان الراهبات يسرن فى السماء..أما زوجك فيسير فى الظلام ! »

ومع انها ارسلت ضحكة استخفاف ، الا انها عجبت فى نفسها مما كان يعنى ٠٠ واحست بعينيه المرحتين الزرقاوين الضيقتين تتفرسان فى وجهها فى اهتمام مستحب ، ولكنه ينطوى على ادراك وبينة .. وكانت قد اكتشفت انه ذو ذكاء ماكر ، وداخلها شعور بأن العلاقات التى كانت تربطهـــا بوولتر كانت تثير فضوله الساخر ٠٠ ووجدت متعة فى ان تحيره ، فقد مالت اليه ، وادركت انه كان يضمر لها شعورا كريما ٠٠ فمع انه لم يكن متقد الذكاء ولا لامع البديهة ، الا انه اوتى طريقة جافة ، جارحة ، فى عرض الامور التى تبعث على التسلية ٠٠ وكان وجهه الصبيانى المضحك ، تحت تلك الصلعة ، يتغضن اذا ضحك ، ويجعل لملاحظاته فى بعض الاحيان وقعا بالغ المجون..اذ كان قد عاش سنين كثيرة فى البقاع المتطرفة ، حيث لايجد فى الغالب انسانا من بنى جلدته يتحدث اليه ، ومن ثم اتخذت شخصيته اتجاها متحررا شاذا ، فكان كثير النزوات والاطوار .. وكانت صراحته منعشة ، اذ كان يبدو كما لو كان ينظر الى الحياة بروح مازحة ، وكانت فكاهاته عن حكومة الاســـتعمار فى

هونج كونج لاذعة .. ولكنه كان يضحك كذلك من الموظفين الصينيين فى « مى ـ تان ـ فو » ، ومن الكوليرا التى كانت تفتك بالمدينة .. وما كان ليقوى على ان يروى مأساة او بطولة دون ان يطعمها بشىء من الفكاهة .. وكان يعى كثيرا من الاقاصيص عن مغامراته فى الصين خلال عشرين عاما ، توحى اليك بأن الدنيا ليست سوى مكان هائل ، حافل بالالوان المتباينة ، يدعو الى الضحك والسخرية ..

ومع أنه كان ينكر أنه واسع المعرفة بالصين ، ويقسم بأن المتبحرين فى اللغة الصينية ليسوا سوى مجانين ، الا انه كان يتكلم تلك اللغة بطلاقة .. وكان قليل القراءة ، حصل ما لديه من معرفة عن طريق تبادل الاحاديث.. بيد أنه كثيرا ما كان يروى لكيتى حكايات من الروايات الصينية والتاريخ الصينى .. ومع أنه كان يرويها فى تلك اللهجة المازحة الخفيفة التى فطر عليها ، الا انه كان يبدى تحمسا وعطفا ، حتى لقد بدا لها انه ربما اعتنق فكرة الصينيين عن ان الاوربيين همج يمارسون حياة باطلة ، طائشة .. ووجدت كيتى فى ذلك موردا يغذى تفكيرها ، فما سمعت قط من قبل عن اللغة الصينية سوى انها لغة متداعية ، قذرة ، غير جديرة بأن تمارس .. أما بعد أن سمعت أحاديث وادينجتن فقد خيل اليها أن ثمة ستارا كان مضروبا على بصرها ، وأن طرفا من هذا الستار قد انجاب للحظة خاطفة ، فلمحت خلفه عالما غنيا بالالوان والمعانى التى لم تحلم بها ..

وهكذا كان يجلس يتكلم ، ويضحك ، ويشرب .. وقالت له كيتى مرة فى جرأة : « الا ترى انك تفرط فى الشراب ؟ .. فأجاب : « ان الشراب متعتى الكبرى فى الحياة ، فضلا عن انه يبعد عنى الكوليرا »

وكان يصل الى درجة السكر عادة حين ينصرف من لدنها، ولكنه كان يتحمل الشراب فى رزانة .. كان يستخفه ولكنه لا يجعله ممجوجا

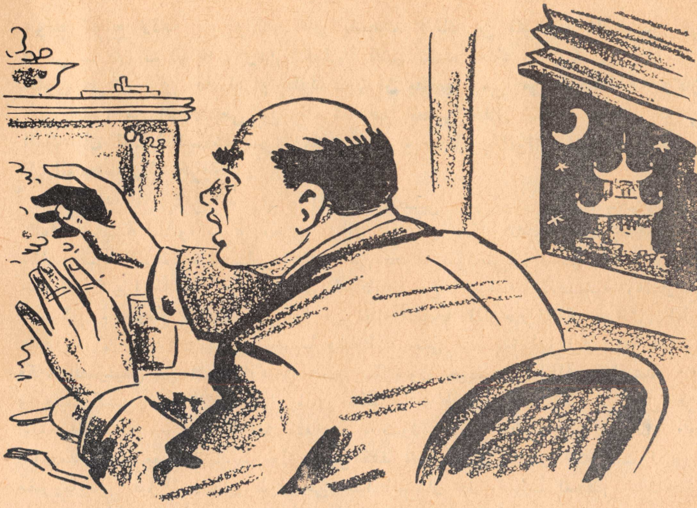
وسأله وولتر ذات مساء ـ وقد عاد مبكرا عن موعده المعتاد ـ أن يبقى لتناول العشاء معهما ، ووقع اذ ذاك حادث غريب ، فبعد أن تناولوا الحساء، والسمك ، والدجاج ، قدم الخادم الى كيتى سلاطة من الخضر الطازجة ، فصاح وادينجتن اذ رآها تأخذ منها نصيبا :

ـ يا الله ! .. هل تعتزمين أن تأكلى هذا ؟

ـ اجل ، اننا نتناولها كل ليلة ..

وقال وولتر : « ان زوجتى تحبها »

وقدم الطبق الى وادينجتن ، ولكنه هز رأسه قائلا : « أشكركما جزيل الشكر .. ولكنني لا أفكر في الانتحار بعد »



وابتسم وولتر فى اكتئاب وتناول قسطا من الخضر ‥ ولم يقل وادينجتن شيئا بعد ذلك ، بل اخلد الى وجوم غريب ، وسرعان ما غادرهما بعد انتهاء العشاء ‥

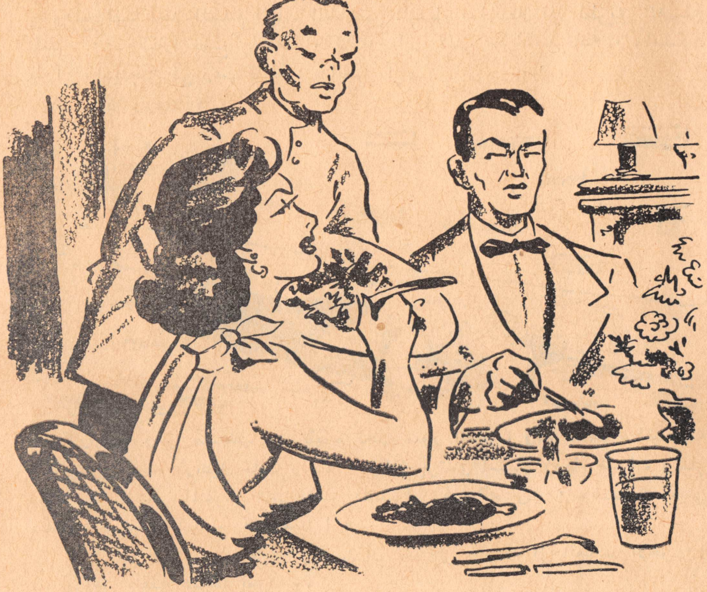
وكانا قد اعتادا بالفعل أن يأكلا السلاطة كل مساء ، اذ حدث بعد وصولهما بيومين ان قدمها الطاهى ، بما عرف عن الصينيين من قلة اكتراث ، فتناولت كيتى بعضا منها دون تفكير ، واذا وولتر يميل نحوها بسرعة قائلا : « ما ينبغى ان تأكلي هذه ‥ ان الخادم مأفون اذ قدمها ! »

فسألته وهى تحدق فى وجهه : « ولم لا ؟ »

– انها دائما محفوفة بالخطر ‥ انه جنون فى الظروف الحاضرة ‥ ستقتلين نفسك !

قالت : « ظننت هذه بغيتك ! »

وراحت تأكل فى هدوء ، وقد تملكتها روح مغامرة لم تدر مأتاها ، وجعلت ترمق وولتر بنظرة ساخرة ‥ فخيل اليها انه ازداد شحوبا الى حد ما ‥ ولكنه تناول نصيبا من السلاطة حين قدمت اليه ! واذ ألفى الطاهى أنهما لا يرفضانها ، اخذ يعد لهما قدرا منها فى كل يوم ، فكانا – فى كل يوم ايضا



ـ يتناولانها مرحبين بالموت ! .. وكان لركوب هذا الخطر روعة خاصة . كانت كيتي في ذعرها من الوباء تقدم على هذا الخطر وهى تشعر بأنها لا تثأر لنفسها من وولتر بطريقة خبيثة فحسب ، وانما تسخر ايضا من مخاوفها القاتلة ..

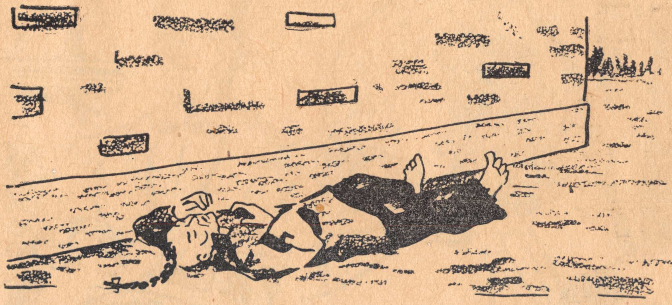
ـ ٣٨ ـ

◆ وفى اليوم التالى لتلك الليلة ، اقبل وادينجتن على الدار فى الأصيل .. وبعد أن جلس قليلا سأل كيتى عما اذا كان يروق لها أن تخرج معه فى نزهة ، ولم تكن قد غادرت المبنى منذ وصولهما ، فسرها ان تلبى دعوته .. واذ ذاك قال : « اخشى ان لا تجدى هنا مواطن كثيرة للنزهة ، ولكنا سنسير الى قمة التل .. »

ـ آه ، حيث يقوم النصب المحدودب .. لقد رأيته من الشرفة ..

وفتح لهما أحد الخدم الباب الخارجى الثقيل ، فانتقلا الى الطريق الضيقة المغبرة ·· وسارا بضع ياردات ، ثم أرسلت كيتى صرخة مرتاعة ، وأمسكت بذراع وادينجتن فى رعب قائلة : « أنظر ! »

ـ ماذا روعك ؟



كان ثمة رجل مستلقيا على ظهره تحت سور الدار ، وقد بسط ساقيه منفرجتين ، ومد ذراعيه خلف رأسه · وكان يرتدى أسمالا زرقاء قذرة ، وتعلو رأسه ثلة الشعر المنفوش التى تميز المتسولين فى الصين ·· وقالت كيتى لاهثة : « يبدو كما لو كان ميتا ! »

ـ بل هو ميت ·· هيا ·· يحسن أن تشيحى بوجهك الى الجانب الآخر ·· سآمر بنقله عندما نعود ··

ولكن كيتى راحت ترتجف فى عنف شل حراكها ·· وقالت : « لم أر شخصا ميتا من قبل »

ـ يحسن أن تسرعى فتألفى هذا المنظر اذن ·· فلسوف ترينه كثيرا قبل أن تبارحى هذا المكان البهيج !

وأمسك بيدها فتأبطها ·· وسارا برهة صامتين ، ثم تساءلت أخيرا : « هل مات بالكوليرا ؟ »

ـ أظن ذلك ··

وصعدا التل حتى بلغا النصب ، فاذا به غنى بالنقوش ·· وكان بمنظره الخيالى ، الساخر ، يقوم كدليل يميز الريف يحيط به··وجلسا عند قاعدته مواجهين السهل الفسيح ·· كان التل يزخر باللمم الخضراء الصغيرة المرتفعة عن سطح الارض ·· انها قبور الموتى ، لم تنتشر فى صفوف منتظمة ، بل تناثرت فى فوضى تشعرك بأنها تتدافع بالمناكب تحت سطح الارض !·· وكانت

الطريق الخلوية تتسلل ملتوية خلال حقول الارز الخضراء ٠٠ وكان ثمة صبى يجلس على عنق جاموسة يقودها الى داره فى بطء ، وثلاثة من الفلاحين تحت قبعات واسعة الحواف من الخوص ، يسيرون فى تثاقل يرزحون تحت أحمال ثقيلة ٠٠ وكان من البديع - بعد قيظ النهار - أن يحظى المرء بنسمات المساء الواهنة فى تلك البقعة ٠٠ ومنظر الريف الشاسع المترامى يبعث فى القلب المعذب شعورا بالاسى المريح٠٠ ولكن كيتى لم تستطع أن تقصى عن ذهنها صورة المتسول الميت ، فتساءلت فجأة : « كيف تستطيع أن تتكلم وتضحك وتجرع الويسكى والناس يموتون حولك فى كل مكان ؟ »

ولم يجب وادينجتن ، بل التفت وحدق فيها ثم وضع يده على ذراعها وقال فى لهجة جادة : «انك تعرفين أن هذا ليس بالمكان الملائم لامرأة ٠٠ لم لا ترحلين ؟ »

فرمقته بنظرة من بين الاهداب المسدلة على ركنى عينيها ، ولاح على شفتيها طيف ابتسامة وهى تقول : « حرى بى أن أعتقد فى مثل هذه الظروف أن المكان اللائق بالزوجة هو أن تكون الى جوار زوجها ٠٠ »

- لقد بهت حين أبرقوا لى بأنك قادمة مع ((فين)) ، ولكنى ما لبثت أن خطر ببالى انك ربما كنت ممرضة ، تجيئين لتمارسى مهنتك فى هذه الظروف ٠٠ ولقد توقعت أن تكونى من أولئك النساء ذوات الوجوه العابسة اللاتى يرهقن المرء اذا كان مريضا فى المستشفى حتى يجعلنه يزهد فى الحياة ٠٠ لذلك كان ذهولى بالغا حين وفدت على الدار ورأيتك جالسة تستريحين فى قاعة الجلوس ٠٠ فقد بدوت بالغة الضعف ، والشحوب ، والتعب ٠٠

- ما أظنك كنت تتوقع ان ترانى فى ابهى منظر بعد ان قضيت تسعة ايام فى الطريق !

- ولكنك تلوحين الآن ايضا ضعيفة ، وشاحبة ، ومتعبة ، و - لو سمحت لى بأن اقولها صريحة - شقية الى درجة اليأس !

ولم تتمالك كيتى ان تضرجت ، ولكنها استطاعت ان تصطنع ضحكة بادية المرح وقالت : « يؤسفنى انك لم تعجب بمحياى ٠٠ ان السبب الوحيد لما يبدو على من شقاء هو اننى ادركت مذ كنت فى الثانية عشرة من عمرى ان انفى كان اطول مما ينبغى قليلا ٠٠ وان التظاهر بحزن خفى هو أفعل المظاهر فى النفوس ٠٠ ولن تتصور عدد الشبان اللطفاءالذين حاولوا ان يواسونى ! »

وظلت عينا وادينجتن الزرقاوان المتألقتان لا تتحولان عنها ، فأدركت انه لم يصدق كلمة مما قالت - وما كانت لتأبه لذلك طالما كان يتظاهر بأنه يصدقها - وقال أخيرا : « **لقد عرفت ان عهدك بالزواج ليس بالطويل ، فاستنتجت انك وزوجك كنتما مدلهين فى الهوى الى درجةالجنون ٠٠ ولم أكد أصدق انه**

هو الذى ارادك على المجىء،بل انك ربما رفضت رفضا باتا انتتخلفىعنه ! »

فقالت فى ارتياح : « هذا ايضاح معقول للغاية »

– أجل ٠٠ ولكنه ليس التعليل الصحيح !

وتطلعت ترتقب ان يمضى ، وهى موجسة مما يوشك ان يقول ، اذ كانت على يقين من فراسته ، وكانت تدرك انه لا يحجم قط عن أن يكشف عما يكون فى ذهنه ! ٠٠ ولكنها لم تقو على ان تقاوم الرغبة الى الانصات اليه وهو يتكلم عنها ٠٠ واستطرد يقول :

– لا أظن لحظة واحدة انك تحبين زوجك ٠٠ كما لا أظنك تكرهينه ٠٠ وما كان ليدهشنى ان تكرهيه ٠٠ ولكنى واثق تمام الثقة من انك تخافينه !

وأشاحت بوجهها لحظة ، فما ودت ان تدع وادينجتن يلمح ان شيئا مما قال قد اثر فى نفسها ٠٠ وقالت فى سخرية لاذعة :

– بنفسى هاجس بأنك لا تميل لزوجى كثيرا !

– اننى احترمه ، فانه اوتى عقلا وخلقا ، واؤكد لك انهما عنصران ليس **من المألوف اجتماعهما ٠٠ وما احسبك تحدسين مايفعل هنا ، لاننى لاأظنه** كثير الحديث عن نفسه ٠٠ واذا كان فى وسع رجل ان يوقف بمفرده هذا **الوباء الرهيب ، فزوجك هذا الرجل ٠٠ انه يعالج المرضى ، ويطهر المدينة ، ويسعى لتوفير مياه الشرب النقية٠٠ وهو لا يعبأ بأينما ذهب ، ولا بأى شىء** يفعل ٠٠ انه يعرض حياته للخطر عشرين مرة فى اليوم الواحد ، وقد أفلح فى **أن يضع الكولونيل « يو » فى جيبه ، وحمله على أن يضع جنوده رهن** اشارته ٠٠ بل انه بث فى المسجل شيئا من الحماس ، فاذا بالرجل المسن يحاول جاهدا ان يؤدى بعض النفع ٠٠ ثم ان الراهبات اصبحن يقسمن فى الدير به ، ويرين فيه بطلا ٠٠

– او لاتراه انت كذلك ؟

– انها على كل حال ليست مهمته ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ انه بكتريولوجى ٠٠ ولم يكلفه احد بالحضور ٠٠ وهو لا يوحى لى بأنه قد تأثر لكل هؤلاء الصينيين الذين يموتون ٠٠ لقد كان « واطسن » يختلف عنه ٠٠ كان يحب **الجنس البشرى بلا تمييز ، ومعانه كان مبشرا ، الا انه لميكن يأبه لما اذا** كان المرضى مسيحيين او بوذيين او من اتباع كونفوشيوس ٠٠ كانوا جميعا **لديه كائنات بشرية ٠٠ أما زوجك ، فلميوجد هنا لانهيهتم فىشىء لوفاة مائة** الف صينى بالكوليرا ، لا ولم يأت هنا شغفا بالعلم ٠٠ فلم جاء اذن ؟

– يحسن بك ان تسأله !

– انما يروق لى ان انظر اليكما معا ٠٠ اننى لأسائل نفسى احيانا عن تصرفاتك اذا ما انفردت بنفسك ٠٠ انكما فى وجودى تعمدان الى التمثيل ٠٠ كلاكما ٠٠ ولعمر الحق ، ما أسواه منتمثيل !٠٠ ان احدكما لا يستحق

ثلاثين شلنا فى الاسبوع ، من احدى الفرق المتجولة ، اذا كان هـذا أقصى جهدكما !

قالت كيتى مبتسما ، وهى تتصنع استخفافا كانت تدرك انه لا يخدع به : « لست ادرى ماذا تعنى ؟ »

ـ انك امرأة باهرة الجمال ، ومن العجيب ان لا يتطلع زوجك اليك ٠٠ بل انه اذا خاطبك بدا كأن الصوت المنبعث صوت شخص آخر سواه !

فتساءلت كيتى بصوت منخفض ، أجش ، وقد ألقت عنها فجأة تظاهرها بالاستخفاف : « أو تظنه لا يحبنى ؟ »

ـ لا اعلم ٠٠ لا ادرى ما اذا كنت تثيرين فى نفسه تقززا يجعله يقشعر اذا ما اقترب منك ، او انه يكتوى بوجد لا يسمح لنفسه ، لسبب ما ، بأن يبديه ٠٠ ولقد ساءلت نفسى فيما اذا كنتما قد جئتما لتنتحرا هنا !

وتمثلت كيتى النظرة الجزعة ، ثم النظرة الثاقبة ، اللتين صـدرتا عن وادينجتن عندما وقع حادث السلاطة ! ٠٠ فنهضت وهى تقول فى لباقة : « أظنك تغالى فى اضفاء الاهمية على بضعة عروق من الخس ٠٠ هل حان لنا ان نعود للدار ؟ ٠٠ اننى متأكدة من انك بحاجـة الى كـأس من الويسكى والصودا »

ـ انك لست بطلة على كل حال ٠٠ وانما انت تعانين رعبا مميتا ٠٠ أواثقة انت من انك لا تبغين الرحيل ؟

ـ وما شأنك بهذا ؟

ـ لسوف اساعدك ٠٠

ـ أو تراك تأثرت بطابع الأسى الدفين الذى يبدو على أساريرى ؟ ٠٠ تأمل جانب وجهى وحدثنى : ألا ترى انفى اطول مما ينبغى ؟

فحملق فيها مفكرا ، وقد أومضت فى عينيه البراقتين تلك النظرة الماكرة ، الساخرة ـ وان خالطها ظل من الاشفاق الشخصى ، بدا كظل شجرة قامت على حافة نهر ، وانعكست صورتها على صفحة الماء ـ وتدافعت الدموع الى عينى كيتى ، فسألها : « او يجب ان تمكثى ؟ »

ـ نعم ٠٠

ومرا تحت النصب العديد الالوان ، ثم راحا يهبطـان التل ، حتى اذا اقتربا من الدار ، ابصرا بجثة المتسول الميت ، فأمسك بذراعها ، بيد انها تملصت ، ووقفت جامدة ، ثم هتفت : « انه رعيب ٠٠ اليس كذلك ؟ »

ـ ما هو ؟ ٠٠ الموت ؟

ـ نعم ٠٠ انه يجعل كل شىء آخر يبدو الى جواره فى منتهى التفاهة ٠٠ ان الميت لا يبدو انسانا فى شىء ، حتى ليعز عليك اذا نظرت اليه ان تقنع نفسك

بأنه كان على قيد الحياة يوما ما ٠٠ من العسير ان تفكر فى انه منذ سنوات ليست ببالغة البعد كان غلاما صغيرا يهبط التـــل جاريا ، ويتلهى بتطيير طائرة ورقية !

ولم تقو على أن تغالب غصة باكية هزت كيانها ٠٠

- ٣٩ -

◆ **بعد** بضعة ايام ، جلس وادينجتن يحدث كيتى عن الدير ، وقد امسك فى يده بكوب طويلة مترعة بالويسكى ٠٠ قال : « ان الراهبة الرئيســة - الأم - امرأة رائعة ، وتقول لى الراهبات الأخوات انها تنتمى الى اسرة من ارقى اسرات فرنسا ، ولكنهن يأبين ان يرشدننى اليها ، اذ ان الأم الرئيسة لا ترغب - كما يقلن - فى ان يخوض احد فى الحديث عنها ٠٠ »

فتساءلت كيتى مبتسمة : « ولم لا تسألها ، ان كان الامر يهمك ؟ »

- لو كنت تعرفينها لأدركت ان من المستحيل ان توجهى اليها سؤالا بعيدا عن الفطنة ٠٠

- لا بد انها رائعة حقا ، ما دامت تستطيع ان تبعث فى نفسك مثل هذه الهيبة ٠٠

- اننى احمل اليك رسالة منها ، فقد سألتنى ان اقول لك ان من دواعى السرور العظيم لها ان تريك الدير ان شئت ، ما لم تكونى غير راغبة فى ان تخاطرى بالذهاب الى مركز بؤرة الوباء ٠٠

- هذا كرم عظيم منها ٠٠ ما خطر لى انها قد فطنت الى وجودى ٠٠

- لقد حدثتها عنك ، اذ اننى اذهب الى هناك - فى الوقت الحاضر - مرتين أو ثلاثا فى الاسبوع ، لأرى ما اذا كنت استطيع ان أسدى اية خدمة ٠٠ كما اننى اعتقد ان زوجك حدثهن عنك ، وينبغى ان تعدى نفسك لان تتبينى انهن يشعرن نحوك باعجاب لا حد له ٠٠

- أأنت كاثوليكى ؟

وأومضت عيناه الماكرتان ، وأشرق وجهه الصغير العجيب بالضحك ، فسألته كيتى : « فيم ابتسامك لى ؟ »

- هل يخرج من (الجليل) شىء صالح ؟ ٠٠ لا ، لست كاثوليكيا ، وانما اصف نفسى بأننى عضو فى الكنيسة الانجليزية ، وهذه فيما ارى صيغة مهذبة **للقول بأننى لا أومن كثيرا بأى شىء ! ٠٠ لقد احضرت الام الرئيسة ، حين** وفدت الى هنا منذ عشر سنوات ، سبع راهبات ، ماتت منهن اربع ! - وهكذا **ترين ان « مى - تان - فو » ليست بالمقام المأمون ، حتى فى خير الاوقات -** وهن يعشن فى قلب المدينة ، فى أفقر احيائها ٠٠ ويعملن بجد مضن ، ولم يفزن يوما بعطلة للراحة !

ـ اذن فليس هناك الآن سوى ثلاث راهبات والأم الرئيسة ؟

ـ آه ، كلا .. فقد حلت محل الاخريات غيرهن .. هناك الآن ست .. وعندما ماتت احداهن بالكوليرا فى بداية الوباء ، اقبلت اثنتان غيرها من « كانتون » ..

فارتعدت كيتى قليلا .. وسألها : « هل مسك برد ؟ »

ـ لا ... انما اقشعر بدنى رهبة ، أو كما يقولون احسست بشىء يدب فوق قبرى ! »

ـ ان هؤلاء الراهبات حين يبرحن فرنسا ، يفارقنها الى الابد ، فهن لسن مثل طائفة المبشرين البروتستانت الذين يحصلون على عطلة مدتها عام بين حين وآخر .. وانى لأعتقد دائما ان هذا اصعب ما فى حياتهن من فروض ، اذ اننا معشر الانجليز لانشعر برابطة قوية تشدنا الى ارض الوطن ، وانما نستوطن أى مكان فى الدنيا نحل به .. اما الفرنسيون ، فأعتقد انهم نزاعون الى الارتباط بوطنهم برباط يكاد يكون ماديا محسوسا ، فهم لا يشعرون بسكينة وراحة وهم فى خارجه..ومن ثم يلوح لى ان من افعل الامور فى النفس ان تقدم هاته النسوة على مثل تلك التضحية .. وان كنت اظن انها كانت تبدو لى طبيعية لو كنت كاثوليكيا ..

وتأملته كيتى فى هدوء ، وهى لا تكاد تدرى ما كان يحفز هذا الرجل الضئيل الجسم على الكلام .. وساءلت نفسها : أتراه ممثلا يصطنع مظهره ؟ .. على انه كان قد جرع كمية كبيرة من الويسكى ، فلعله لم يكن متمالكا وعيه !؟

.. وكأنما قرأ هو ما يجول بخاطرها ، فقال بابتسامته المازحة : « تعالى الى الدير لترى كل شىء بنفسك ، فليس فى ذلك من الخطر ما يعادل ما تتعرضين له اذ تأكلين ثمرة من الطماطم ! »

ـ لست ارى ما يدعونى الى الخوف ، اذا كنت انت غير خائف ..

ـ اعتقد ان الزيارة ستلذ لك .. فالدير اشبه ما يكون بقطعة من فرنسا

ـ ٤٠ ـ

وعبرا النهر فى زورق صغير .. وكانت ثمة محفة ذات مقعد فى انتظارهما عند البقعة التى هبطا فيها ، فاستقلتها كيتى ، وحملت فيها الى التل حتى بوابة الماء ، وهى بوابة كان الحمالون الصينيون يجتازونها وهم ينقلون الماء من النهر ، فكانوا يهرعون فى رواح ومجىء ، وقد تدلى من عصا على منكبى كل منهم دلوان ضخمان ، وهم فى اسراعهم ينثرون الماء على الدرب،

حتى بدا مبتلا وكأنما هطل عليه مطر غزير .. وكان حاملو محفة كيتى يرسلون صرخات قصيرة حادة ، ينبهونهم بها كى يفسحوا الطريق ..

وقال وادينجتن وهو يرافق كيتى سائرا على قدميه : « ان حركة الاعمال متوقفة الآن طبعا .. أما فى الظروف العادية ، فان عليك أن تكافحى لتشقى طريقك بين الحمالين المثقلين بالاحمال ، وهم يروحون الى المرساة ويغدون منها .. »

وكانت الطريق ضيقة ، متعرجة ، فتعذر على كيتى ان تعرف الاتجاه الذى كانت تمضى فيه ، سيما وقد كانت اكثر الحوانيت مغلقة .. وكانت قد ألفت خلال رحلتها ما يشيع فى الطرق الصينية من اهمال ، بيد ان هذه الطريق فاقت فى القذارة كل ما رأت من قبل ، اذ تراكمت فيها مخلفات اسابيع من الفضلات والنفايات ، وتصاعدت منها رائحة كريهة قوية اضطرت معها الى ان تنشر منديلها على وجهها .. وكان يضايقها اثناء المرور فى شوارع المدن الصينية عامة ان ترى الجموع تحملق فيها ، ولكنها لاحظت فى هذه المرة انها لم تتلق اكثر من نظرات عابرة غير حافلة .. فقد كان المارة المتناثرون ، دون ما تجمع كعادتهم ، منصرفين الى شئونهم ، وقد بدا عليهم الخوف والقلق .. وكانوا يسمعون بين آن وآخر - اثناء مضيهم - دقات الطبـول ، وصراخ ادوات مجهولة تنطلق معولة منتحبة .. معلنة ان ثمة من يرقد ميتا خلف تلك الابواب المغلقة !

وقال وادينجتن اخيرا : « ها قد وصلنا .. »

وانزلت المحفة عند باب صغير يعلوه صليب ، ويتوسط سياجا ابيض .. فهبطت كيتى .. ودق وادينجتن الجرس قائلا : « لا تطمعى نفسك فى انك سترين شيئا رائعا هنا ، فهم كما ترين فى فقر مدقع .. »

وفتحت الباب فتاة صينية ، ما لبثت ان قادتهما - بعد ان تبادلت مع وادينجتن كلمة او اثنتين - الى حجرة صغيرة على احد جانبى الردهة ، اشتملت على منضدة مغطاة بمشمع نقش بمربعات ، بينما أقيمت بمحـاذاة الجدران مقاعد خشنة .. وفى أحد طرفى الحجرة قام تمثال من الجبس للسيدة العذراء .. وان هى الا لحظة حتى اقبلت راهبة ، قصيرة ، ممتلئة الجسم ، ذات وجه أنيس ، وخدين متوردين ، وعينين مرحتين .. خاطبها وادينجتن باسم « الاخت سان جوزيف » ، وهو يقدم اليها كيتى ..

وتساءلت بالفرنسية فى اشراق : « أهذه زوجة الطبيب ؟ » .. ثم اضافت ان الام الرئيسة ستحضر سريعا ..

ولم يك فى وسع الأخت سان جوزيف ان تتكلم الانجليـزية ، كما ان فرنسية كيتي كانت قد صدئت ، ولكن وادينجتن وصل بينهما في فيض من

التعليقات اللبقة ، الطلقة ، التى لم يعن فيها بالدقة ٠٠ واثارت ضحكات الراهبة ، التى انطلقت فى ابتهاج وغير تكلف ، دهشة كيتى ، فقد كانت تعتقد ان اهل الدين غالبا عابسون ، ومن ثم لمس قلبها المرح الصبيانى الذى بدا على الراهبة ٠٠

- ٤١ -

◆ **وفتح** الباب بطريقة خيل معها لكيتى انها غير عادية ، وكأنما تأرجح الباب على مفصلاته ٠٠ وولجت الأم الرئيسة الحجرة الصغيرة ، فوقفت برهة لدى المدخل تحوم على شفتيها ابتسامة وقورة وهى ترقب الأخت الضاحكة ، ووجه وادينجتن المضحك ، الشبيه بوجه مهـرج ٠٠ ثم تقدمت ، وبسطت راحتها لكيتى ٠٠

وقالت فى لغة انجليزية مشوبة بلكنة ـ وان كانت سليمة النطق ـ وهى تتحرك فى شبه انحناءة طفيفة : « مسز فين ؟ ٠٠ انه لسرور عظيم ان أتعرف على زوجة طبيبنا الطيب الشجاع ٠٠ »

وأحست كيتى بعينى الرئيسة تشملانها بنظرة طويلة ، دهشة ، تنم عن اعجاب ٠٠ وكانت نظرة صريحة ، ولكن فى غير خروج عن اللياقة ، توحى اليك بانك امام امرأة مهمتها ان تكون فكرة عن الآخرين ، وليست بك حاجة الى ان تراوغها ٠٠ وفى حفاوة وجلال اشارت الى زائريها كى يجلسا ، وجلست بدورها ٠٠ ووقفت الاخت سان جوزيف الى الخلف قليلا من الرئيسة وهى لا تزال تبتسم ، وان لاذت بالصمت ٠٠ بينما قالت الأم الرئيسة :

ـ اننى اعرف انكم معشر الانجليز تحبون الشاى ، ولذا طلبت اعداده ٠٠ ولكننى ارجو المعذرة اذا كان سيقدم على الطريقة الصينية ٠٠ وانى لأعرف ان مستر وادينجتن يؤثر الويسكى ، لكننى اخشى ان لا استطيع تقديم هذا الشراب اليه ٠٠

وابتسمت وقد شابت عينيها الجادتين لمحة من مكر ، فهتف وادينجتن · « اواه ٠٠ رفقا يا أماه ٠٠ انك تتحدثين كما لو كنت سكيرا مدمنا ! »

ـ أتمنى أن تستطيع القـول يوما بأنك لا تتعاطى خمرا يا مستـر وادينجتن ٠٠

ـ أستطيع دائما ان اقول اننى لا اشرب قط الا فى حدود الاعتدال ٠٠

فضحكت الأم الرئيسة وترجمت الى الفرنسية للأخت سان جوزيف رده اللبق ، فتطلعت هذه اليه بعينين مشفقتين ، مليئتين بالود ، وقالت : « يجب أن نؤثر مستر وادينجتن ببعض التسامح ، لأنه خف الى نجدتنا مرتين أو ثلاثا ، حين كان مالنا ينضب ولا ندرى كيف ندبر القوت لأيتامنا .. ! »

واقبلت الفتاة الصينية التى كانت قد فتحت الباب للزائرين ، حاملة صفحة عليها اقداح صينية وابريق للشاى ، وطبق صغير به بعض الفطائر الفرنسية المعروفة باسم « مادلين » .. وقالت الأم الرئيسة : « يجب ان تأكلا من المادلين لأن الأخت سان جوزيف صنعتها لكما بيديها هذا الصباح »

وتجاذبوا أطراف الحديث فى أمور عادية ، فسألت الرئيسة كيتى عن المدة التى قضتها فى الصين ، وعما اذا كانت الرحلة من هونج كونج قد اتعبتها كثيرا .. وهل زارت فرنسا .. وهل لم تجد الجو فى هونج كونج مرهقا بعض الشىء ؟ .. كان حديثا تافها ، ولكنه ودى ، ذو طابع خاص من خلق الظروف .. وكان المكان هادئا جدا - حتى ليعز عليك ان تصدق انك فى وسط مدينة مأهولة - والسلام والسكينة سائدين .. ومع ذلك ، فقد كان الوباء يعيث معربدا فى كل ما يحوط تلك البقعة ، ولم يكن يسيطر على القوم الذين استبد بهم الذعر والاضطراب ، سوى شكيمة رجل عسكرى كان فى حد ذاته شبيها برجال العصابات .. وكانت المصحة التى فى الدير زاخرة بالجنود المرضى والمحتضرين ، كما ان ربع الايتام الذين كانوا فى رعاية الراهبات توفوا !

وأحست كيتى بهيبة لم تدر مأتاها ، وهى تتأمل السيدة الوقور التى كانت توجه اليها تلك الاسئلة الودية .. كانت مسربلة بالبياض الذى لم تشبه شائبة من اى لون اللهم الا ذلك القلب القانى الذى كان يتألق على صدرها .. وكانت فى أوسط العمر - ربما فى الأربعين او الخمسين - وان كان من المتعذر تحديد سنها بالضبط ، اذ لم تكن تتخلل وجهها الناعم الشاحب سوى تغضنات قليلة .. على انك تجد نفسك مسوقا الى الشعور بأنها قد خلفت مرحلة الشباب بزمن ، بحكم الوقار والرصانة البادیين عليها ، فضلا عن ضمور يديها الجميلتين القويتين ..

وكان وجهها طويلا ، وفمها واسعا ، به اسنان ضخمة غير متناسقة .. أما أنفها فكان رقيقا ينم عن حساسية ، وان لم يكن صغير الحجم.. بيد أن الشىء الذى كان يطبع وجهها بذلك الطابع الرصين المهيب ، كان يتمثل فى عينيها ، والحاجبين الرفيعين اللذين كانا يعلوانهما.. كانت العينان واسعتين جدا ، فاحمتى السواد ، ومع أنهما لم تكونا صارمتين ، الا أن هدوءهما الثابت كان يكسبهما قوة قاهرة متسلطة ..

وكان اول ما يتملكك اذ تنظر الى الأم الرئيسة ، انها ولا بد كانت جميلة فى صباها، ولكنك سرعان ما تتبين ان جمالها انما كان مستمدا من شخصيتها واخلاقها ، ومن ثم فانه كان ينمو على مر السنين ! .. وكان صوتها عميقا، خافتا ، متزنا .. وسواء أكانت تتكلم بالفرنسية أو بالانجليزية ، فانها كانت تتحدث فى تؤدة .. على ان اكثر ما كان يأخذك منها ، روح مسيطرة ،

تلطف من تسلطها تقوى عارمة .. فأنت تحس أنها فطرت على أن تكون امرأة، وعلى ان تطاع ، ولكنها كانت تتقبل الطاعة فى تواضع .. كذلك كنت لا تتمالك ان تتبين انها كانت عميقة الشعور بسلطان الكنيسة التى كانت تحتضنها .. ولكن شعورا خالج كيتى مع ذلك بأنها رغم سلطانها الجليل كانت تحس نحو الضعف البشرى بتسامح انسانى ، فكان من المستحيل ان ترى ابتسامتها الوقور وهى تنصت الى ثرثرة وادينجتن الجريئة ، الفارغة ، دون ان تحس ان لديها ادراكا حيا للفكاهة ..

غير ان ثمة خلة اخرى كانت لها ، وأحست بها كيتى فى ابهام دون ان تدرى كيف تسميها.. خلة كأنما أقامت حجابا بينهما ، بالرغم مما أغدقت الأم الرئيسة على زائرتها من حفاوة ولطف رقيقين جعلاها تحس بالخجل ، وكأنها تلميذة صغيرة أمامها !

- ٤٢ -

◆ **قالت** الأخت سان جوزيف بالفرنسية : « ان السيد لا يأكل شيئا »

فردت الأم الرئيسة : « ان ذوق السيد قد أفسده طهى ابنة (مانشو) »

ففارقت الابتسامة وجه الأخت سان جوزيف ، واصطنعت مظهر الاشفاق .. بينما تناول وادينجتن ، وفى عينيه نظرة ماكرة ، كعكة أخرى - وكيتى لا تفقه شيئا مما يجرى - ثم قال : « لسوف افسد العشاء الفاخر الذى يرتقبنى ، لأثبت لك مدى تجنيك على يا اماه ! »

فتحولت الأم الرئيسة الى كيتى وقالت وعلى اساريرها ابتسامة اعتذار : « سيسرنى أن أرى « مسز فين » الدير ان شاءت .. وكم يؤسفنى أن تريه فى الوقت الحاضر وقد شاعت فيه الفوضى .. فان لدينا عملا كثيرا ، وليست لدينا الكفاية من الأخوات الراهبات .. وقد أصر الكولونيل «يو» على ان نضع مصحتنا تحت امرة الجنود المرضى ، فاضطررنا الى ان نحول المطعم الى عنبر لأيتامنا »

ووقفت لدى الباب مفسحة لكيتى كى تمر ، ثم سارتا تتبعهما الأخت سان جوزيف ووادينجتن ، يجوسون خلال الردهات البيضاء الرطبة الهواء .. وولجوا اول ما ولجوا قاعة كبيرة عارية من الرياش ، جلس فيها عدد من الفتيات الصينيات منهمكات فى التطريز .. ووقفن اذ دخل الزائرون ، فعرضت الأم الرئيسة بعض عملهن على كيتى ، وهى تقول : « اننا نواصل تدريبهن رغم الوباء ، لأن ذلك يشغل بالهن عن الخطر »

وانتقلوا الى غرفة ثانية انصرفت فيها فتيات أصغر سنا من السابقات ،

الى اعمال الحياكة البسيطة ‥ ثم الى غرفة ثالثة لم يكن فيها سوى اطفـال صغار ، تحت رعاية صينية ممن اعتنقن المسيحية ، اطفال فى الثانية أو الثالثة من عمرهم ، بعيونهم الصينية السوداء ، وشعرهم الفاحم ‥ وكانوا يلعبون فى ضجيج ، فلما دخلت الأم الرئيسة تجمعوا حولها ، وامسكوا بيديهـا وراحوا يتوارون فى ثنايا ذيل ثوبها الفضفاض ‥ واشرقت على الوجه الوقور ابتسامة فاتنة ، وراحت تداعبهم وتنطق بكلمات فيها لثغة ، استطاعت كيتى — رغم جهلها باللغة الصينية — ان تدرك انها كلمات تدليل ‥

وارتجفت گيتى قليلا ، اذ بدا لها الاطفال — فى زيهم الخاص ، وبشرتهم الصفراء ، وانوفهم المفرطحة — أبعد ما يكونون عن الآدميين ‥ كان مظهرهم يبعث على النفور والتقزز ‥ ومع ذلك فقد وقفت الأم الرئيسة بينهم وكأنها البر والخير متجسدان ، وعندما همت بمغادرة الغرفة ، أبوا أن يتركوها ،



وتعلقوا بها .. فاضطرت ، وهى تبتسم ، الى استعمال القوة المترفقة لتخلص نفسها منهم .. لكنهم بدوا مطمئنين ، فما كانوا ليجدون فى هذه السيدة العظيمة ما يجعلهم يرهبونها ، فى أى الاحوال ..

وقالت وهم يسيرون فى ردهة اخرى ، تخاطب ضيفتها : « تعرفين بالطبع انهم ايتام اسما .. اى ان آباءهم لم يموتوا ، وانما ارادوا التخلص منهم .. ونحن ندفع بعض المال لقاء كل طفل يجلب الينا ، والا لما تجشم الآباء عناء احضارهم ، ولقضوا عليهم ! » .. ثم التفتت الى الاخت الراهبة تسألها : « هل حضر أحد منهم اليوم ؟ »

ـ اربعة ..

ـ انهم الآن ـ والكوليرا تفتك بهم ـ اكثـــر لهفة للتخلص من عبء البنات ، اذ يرون فيهن مخلوقات لا نفع لها ..

وشاهدت كيتى غرف النوم ، ثم مر الجمع بباب كتب عليه بالطلاء «قاعة المرضى » .. وسمعت كيتى انات وصرخات عالية واصوات متـألمة كأنها لم تكن تصدر عن آدميين .. فقالت الأم الرئيسة فى ابتسامتها الهادئة : « لن اريك قاعة المرضى ، فهى ليست بالمنظر الذى يرجو أى امرىء ان يراه » .. ثم عقبت وكأنما خطرت ببالها فكرة : « ترى هل الدكتور فين هنا ؟ »

ونظرت فى استفهام الى الاخت ، فاذا بهذه تفتح الباب وتتسلل خلاله ، بابتسامتها المرحة .. وانكمشت كيتى مجفلة اذ سمح الباب المفتـــوح بأن تسمع الضجة التى كانت تنبعث فى الغرفة بوضوح ادعى للرهبة والجزع .. وعادت الاخت سان جوزيف تقول : « لا .. كان هنا ، ولن يعود الا فى اواخر النهار .. »

ـ وما حال (رقم ٦) ؟

ـ يا للغلام المسكين ! .. لقد مات !

فرسمت الأم الرئيسة علامة الصليب على صدرها ، وتحركت شفتاها فى صلاة قصيرة صامتة ..

ومروا بساحة ، فوقع بصر كيتى على شبحين طويلين استلقيا على الارض جنبا الى جنب ، وقد غطيا بقطعة من قماش قطنى ازرق .. فالتفتت الرئيسة الى وادينجتن قائلة : « لدينا نقص فى الاسرة ، مما يضطرنا الى ان نضع كل مريضين فى سرير ، والى ان نبادر باخراج من يموت فورا لنفســح مكانا لسواه » .. ثم التفتت الى كيتى مبتسمة وقالت : « والآن ، سنريك كنيستنا .. فنحن نفخر بها .. ولقد أرسل الينا أحد أصدقائنا منذ فترة غير بعيدة تمثالا للسيدة العذراء بالحجم الطبيعى ، كى نضعه فيها .. »

- ٤٣ -

◆ لم تكن الكنيسة اكثر من غرفة طويلة ، منخفضة السقف ، ذات جدران بيضاء الطلاء ، وضع فيها صف من المقاعد الخشبية ٠٠ وكان المنبر يقوم فى آخرها ، وعليه التمثال ، الذى صنع من جبس باريس وطلى بألوان زاهية شديدة اللمعة ٠٠ وكان جديدا ، بادى البهرجة ، وخلفه علقت صورة بالألوان الزيتية تمثل صلب المسيح ، بدت فيها أمه مريم العذراء ومريم المجدلية متهالكتين عند قاعدة الصليب فى حزن ضاف ٠٠ وكان الرسم رديئا والالوان كالحة،لونتها يد لا تفقه شيئا فى فن التلوين٠٠وعلى جدران الغرفة، رسمت مراحل صلب المسيح بنفس اليد الجاهلة بالفن ٠٠ وبالاختصار كان المعبد بشعا ، قبيح المظهر ٠٠

وركعت الراهبتان اذ دخلتا ، وتمتمتا بصلاة ، ثم نهضتا فشرعت الأم الرئيسة تتحدث الى كيتى من جديد : « كل شىء قابل للكسر لا بد من ان يتهشم فى طريقه الى هنا ، ولكن التمثال الذىاهداه الينا احد البارين بنا وصل من باريس دون أن يصاب بأتفه صدع ٠٠ ليس من شك فى أنها معجزة ! »

واومضت عينا وادينجتن الخبيثتان ، ولكنه امسك لسانه ٠٠ بينما استطردت الأم الرئيسة وهى ترسم علامة الصليب على صدرها : « ان اللوحة التى على المذبح ، ومراحل الصليب ، من رسم احدى راهباتنا ٠٠ الأخت سانت انسيلم٠٠كانت فنانة حقا ٠٠ ولكنها ــ لسوء الحظ ــ راحت ضحية الوباء ٠٠ ألا ترينها رسوما جميلة حقا ؟ »

وأقرت كيتى بذلك متلعثمة ٠٠ وكانت على المذبح حزم من الزهور الورقية ، وكانت الشموع جميلة الزخرف ٠٠ واستطردت الأم الرئيسة : « اننا نحظى بشرف الاحتفاظ هنا بالسر المقدس ٠٠ »

فهتفت كيتى وقد عز عليها الفهم : « نعم ؟ »

ــ كان ذلك مبعث عزاء كبير لنا فى هذه الاوقات العصيبة

وغادروا المعبد عائدين ادراجهم الى قاعة الاستقبال التى كانوا فيها اولا ٠٠ وقالت الأم الرئيسة : « أتحبين ان ترى قبل انصرافك الاطفال الذين وفدوا هذا الصباح ؟ »

فأجابت كيتى : « نعم ، أرحب بذلك ٠٠ »

فقادتهم الأم الرئيسة الى حجرة صغيرة جدا فى الطرف الآخر من الردهة ٠٠ وعلى احدى المناضد ، كانت ثمة « حزمة » تتلوى تحت غطاء من قماش ، رفعته الأخت فكشفت عن أربعة اطفال ضئيلين ، عراة ٠٠ وكان لونهم شديد

الاحمرار ، وقد راحوا يحركون اذرعهم وسيقانهم حركات قلقة ، لطيفة ، وقد انبسطت وجوههم الصينية الغريبة المنظر فى ابتسامات بريئة .. كانوا لا يكادون يبدون آدميين ، وانما هم حيوانات عجيبة من أصول مجهولة ! .. ومع ذلك فقد كان لمنظرهم اثر يحرك أوتار القلوب .. وتأملتهم الأم الرئيسة فى ابتسامة مبتهجة ، وقالت : « يبدون فى صحة طيبة .. انهم يجيئون احيانا وهم على شفا الموت .. ونحن نعمدهم بمجرد وصولهم طبعا .. »

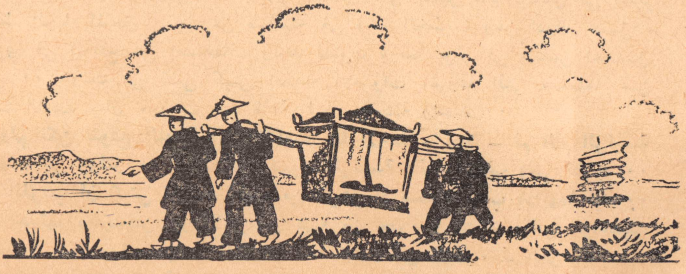
وقالت الاخت سان جوزيف : « سيسر بهم زوج السيدة .. ليخيل الى انه لا يضن بالساعات فى مداعبة الاطفال .. ويكفيهم – حين يبكون – ان يحملهم ويريحهم على ذراعيه ، كى ينطلقوا يضحكون فى طرب ! »

ثم وجدت كيتى ووادينجتن نفسيهما لدى الباب .. وشكرت كيتى الأم الرئيسة – فى احترام – على ما تجشمت من عناء ، فانحنت الراهبة فى اجلال بدا جليا أنه كان ينطوى على كبرياء وبشاشة ، وقالت :

– لقد كان ذلك مصدر سرور عظيم لى ، فانت لا تدركين ما يبديه زوجك من كرم وعون لنا .. انه هبة من السماء .. وكم انا مبتهجة لمجيئك معه ، اذ لا بد ان وجودك بما لديك من حب ، وما لك من .. من وجه جميـل ، مبعث راحة عظيمة له اذا ما عاد الى البيت .. يجب ان تعنى به ، ولا تدعيه يجهدنفسه فى العمل كثيرا .. ينبغى ان ترعيه من اجلنا جميعا ..

وتضرج وجه كيتى ، ولم تدر ما ينبغى ان تقـول .. وبسطت لها الأم الرئيسة يدها ، فأحست كيتى بينما كانت تمسك بها ، بتينك العينـين الهادئتين ، المتأملتين ، تستقران عليها بنظرات كأنما كانت تباعد ما بينهما ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت تنم عن فهم عميق ..

واغلقت الأخت سان جوزيف الباب خلفهما ، فصعدت كيتى الى محفتها ، وعادا خلال الطرقات الضيقة ، الملتوية .. وابدى وادينجتن ملاحظة عابرة ،



فلم تجبه كيتى ٠٠ والتفت اليها ، فاذا السجف مسدلة بحيث لم يستطع ان براها ، ومن ثم سار صامتا ٠٠ حتى اذا بلغا النهر ، هبطت من المحفة ، ولدهشته رأى عينيها تفيضان بالدمع ٠٠ فسألها وقد تقلص وجهه فى استياء : « ماذا جرى ؟ »

فقالت وهى تحاول ان تبتسم : « لاشىء ٠٠ مجرد بلاهة ! »

- ٤٤ -

◆ **واذ** خلت كيتى الى نفسها مرة أخرى ، فى قاعة الجلوس المتواضعة بدار المبشر المتوفى ، استلقت على المقعد الطويل المواجه للنافذة ، وارسلت نظراتها الشاردة الى المعبد القائم على الضفة الاخرى للنهر ، وقد عاد مع مهبط المساء يبدو جميلا ، سابحا فى الهواء ٠٠ وشرعت تحاول ان تنسق المشاعر التى كانت تختلج فى فؤادها ٠٠ انها ما كانت لتعتقد قط أن زيارتها هذه للدير تؤثر فى نفسها الى هذا الحد ، فقد ذهبت بدافع من الفضول ، اذ لم يكن لديها ما تشغل به ، وكانت قد قضت اياما كثيرة تتأمل المدينة القابعة فى احضان سورها عبر النهر ، فودت لو تلقى نظرة على شوارعها المحفوفة بالغموض ٠٠

ولكنها لم تكد تلج الدير ، حتى خالت انها انتقلت الى عالم آخر لا موقع له فى مكان أو زمان ٠٠ ولاحت لها تلك الغرف العارية ، والردهات البيضاء ، وكأنها - فى بساطتها ووجومها - تحوى روح شىء عتيق ، خرافى ٠٠ وكان المعبد - بقبح منظره وجهامته وبشاعة ألوانه - يثير الشجون ٠٠ كان يمتاز بشىء يعز وجوده فى فخامة الكاتدرائيات الكبيرة وزجاجها الملون وصورها ٠٠ كان متواضعا أضفى عليه الايمان الذى زانه ، والشغف الذى رعاه ، جمالا روحيا رقيقا ٠٠ وكان النظام الذى يسير عليه العمل فى الدير وسط الوباء الماحق ، ينم عن طمأنينة فى وجه الخطر ، وعن ادراك عملى ، ينطوى فى الواقع على استخفاف وتحد للموت ، مما يؤثر فى النفس اعمق الاثر ٠٠ ورنت فى اذنى كيتى اصداء الاصوات المروعة التى سمعتها حين فتحت الاخت سان جوزيف باب قاعة المرضى للحظة واحدة ٠٠

ولم تكن تتوقع اللهجة التى تكلمت بها الأخت - اولا - ثم الأم الرئيسة نفسها ، عن وولتر ٠٠ كانت نبرة صوت الرئيسة بالغة اللطف وهى تطريه ٠٠ ومن الغريب أن كيتى احست بشىء من الزهو اذ سمعت طيب آرائهما فيه ٠٠ ولقد حدثها وادينجتن هو الآخر عن شىء من جهود وولتر ، ولكن الراهبتين لم تطريا جهوده فحسب - كما ان هذا اللون من الاطراء لم يكن جديدا ، فقد علمت فى هونج كونج انه معتبر من المهرة الاكفاء - وانما تكلمت

الراهبتان ايضا عن حجى تفكيره ، وعن حنانه ٠٠والواقع انه كان قادرا على أن يبدى الكثير من الحنان ٠٠ وكان يبدو فى خير أحواله اذا ما كنت مريضا ؛ فاذا هو بالغ الذكاء ، تبعث لمسته الطمأنينة ، والتسرية ، والمسرة فى النفس ٠٠ كان يبدو قادرا ـ بسحر غريب ـ على ان يجعل مجرد وجوده مسريا عن آلامك ٠٠

وكانت كيتى تدرك انها لن يقدر لها قط أن ترى ثانية نظرة العطف التى كانت تنبعث من عينيه ، والتى ألفتها زمنا ما حتى غدت لا ترى فيها الا ما يضجرها ٠٠ وقد أدركت الآن مدى ما اوتى زوجها من قدرة على ان يحب ، وقد بات يسكب هذه القدرة فى سخاء عجيب على اولئك المرضى التعساء الذين لم يكن لهم من يرعاهم سواه ! ٠٠ ولم تحس كيتى بغيرة ، وانما داخلها شعور بالفراغ ، كما لو كانت قد حرمت فجأة من سند ألفت ان تركن اليه ، فاذا بها تترنح فى هذا الاتجاه وذاك وكأنها ترزح تحت عبء ثقيل !

ولم تعد تشعر الا بالازدراء لنفسها لانها كانت تكن يوما ازدراء لوولتر ! ٠٠ لا بد انه عرف انها كانت تستصغره ، وتقبل تقديرها فى مرارة ٠٠ كانت حمقاء ، وكان يعرف ذلك ، ولكنه لم يكترث له لانه كان يحبها ٠٠ واحست بأنها لم تكن تكرهه او تنفر منه ٠٠ انما كان شعورها نحوه مزيجا من الخوف والحيرة ! ٠٠ لم يكن فى وسعها الا ان تقر بأنه كان ذا صفات رائعة ، بل لقد كانت تخال أحيانا ان فيه عظمة غريبة ، غير جذابة ٠٠ **فكان من الغريب ـ ازاء هذا كله ـ ان لا تحبه ، وان تحب رجلا آخر اصبحت تفاهته وخسته واضحتين لها ٠٠ فانها بعد التفكير المتواصل خلال الايام الطويلة ، استطاعت ان تحدد بالدقة قيمة تشارلى تاونسند فى نظرها : كان تافها رخيصا ، وكانت خصاله من الدرجة الثانية ٠٠ وتمنت لو استطاعت أن تنتزع من قلبها الحب الذى كان لا يزال متغلغلا فيه نحوه ٠٠ وان لا تفكر فيه !**

كذلك كان وادينجتن يرفع من قدر وولتر فى تفكيره ٠٠ هى وحدها التى كانت عمياء عن جدارته ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ لأنه احبها دون ان تحبه ٠٠ ترى اى شىء فى القلب الانسانى يجعلك تزدرى انسانا لأنه أحبك ؟ ٠٠ ولكن وادينجتن اعترف بأنه لا يميل الى وولتر ٠٠ وهكذا كان الرجال ٠٠ بينما كان من السهل ان ترى ان الراهبتين كانتا تكنان له شعورا اقرب ما يكون الى الحب ٠٠ وكذلك كان هو حفيا بالنساء ٠ كنت تشعر على الرغم من خجله أن نفسه تنطوى على لطف بالغ سخى !

- ٤٥ -

◆ **وكان** للراهبتين ـ فوق كل شىء ـ اثر عميق فى نفس كيتى ٠٠ كانت الأخت سان جوزيف ، بوجهها المرح ، ووجنتيها المتوردتين كالتفاح ،

واحدة من الثلة الصغيرة التى جاءت الى الصين مع الأم الرئيسة منذ عشر سنوات ، فرأت زميلاتها يمتن واحدة اثر الأخرى بالوباء ، والحرمان ، والحنين الى الوطن ٠٠ ومع ذلك فقد بقيت مبتهجة ، سعيدة ٠٠ فما هذا الذى كان يبث فيها تلك الروح الساذجة الطروب ؟

والأم الرئيسة ، ما اروع هيبتها ! ٠٠ وأحست كيتى بنفسها تقف - فى الخيال - أمامها ، فأحست من جديد بضآلة واستحياء ٠٠ كانت رغم بساطتها ونقائها ذات كبرياء فطرية توحى بالمهابة والوقار ، فلا تستطيع ان تتصور ان فى وسع اى امرىء ان يعاملها بغير احترام ٠٠ ولقد أظهرت الأخت سان جوزيف ، بطريقتها فى الوقوف امامها ، وبكل اشارة بسيطة ، وبلهجتها فى الاجابة ، مدى اذعانها وطاعتها لها ٠٠ كما أظهر وادينجتن بلهجته انه - على سلاطته واستهتاره - لم يكن فى كامل حريته امامها ٠٠ وخيل لكيتى انه لم تكن ثمة ضرورة لانبائها بأن الام الرئيسة تنتمى الى احدى الاسرات العظيمة فى فرنسا ، فقد كان فى هيئتها ما يوحى بعراقة أصلها ، وكان لها نفوذ الشخص الذى لم يعرف قط ان ثمة احتمالا فى ان لا يطاع ٠٠ كان لها جلال سيدة عظيمة ، وتواضع قديسة ٠٠ وكان فى وجهها القوى المعالم ، المليح القسمات ، الذى ترك عليه الزمن آثاره ، عبوس لا يخلو من حمية العاطفة ٠٠ ومع ذلك فقد كان لها من الدعة واللطف ما جعل اولئك الاطفال الصغار يتعلقون بها فى غير خوف ، مطمئنين الى عواطفها العميقة ٠٠ ولقد أشرقت على وجهها حين نظرت الى الاطفال الاربعة الحديثى المولد ، ابتسامة عذبة عميقة ، كأنها شعاع الشمس يشرق على مرج برى فى معزل عن العالم ٠٠ ولقد ترك ما قالته الأخت سان جوزيف عفوا عن وولتر ، اثرا غريبا فى نفس كيتى ٠٠ كانت تدرك انه يتوق فى رغبة مستيئسة الى ان يكون له طفل ، ولكنها لم تظن قط - لصمته ووجومه - ان فى وسعه ان يبدى لطفل رقة ، ومداعبة ، وحنانا ، دون ان يعانى فى سبيل ذلك مشقة وحيرة ٠٠ فان معظم الرجال يعانون حرجا وحيرة ازاء الاطفال ٠٠ ومن ثم كان مسلكه وتلطفه مع ايتام الدير مفاجأة تامة لها !

والى جانب كل هذه الانفعالات العاطفية التى خرجت بها من الزيارة ، كان ثمة ظل يبدو لها فى دأب ووضوح - كخط قاتم يحدد أطراف سحابة فضية - فيمضها ويحيرها ٠٠ **فلقد أحست فى المرح المحتشم الذى أبدته الأخت سان جوزيف ، ثم فى الحفاوة الجميلة التى ابدتها الأم الرئيسة ، ترفعا ضايقها ٠٠ لقد أظهرتا لها الود ، بل والحفاوة ٠٠ ولكنهما فى الوقت ذاته كانتا تمسكان عنها شيئا لم تدر كنهه ، مما جعلها تحس بأنها لم تكن بالنسبة لهما اكثر من**

غريبة عابرة.. كان ثمة حاجز بينها وبينهما .. كانتا تتكلمان لغة تخالف لغتها . لا لغة اللسان فحسب ، بل ولغة القلب .. وعند ما اغلق البـاب خلفها ، خيل اليها انهما قد طرحتاها عن ذهنيهما نهائيا ، وعادتا دون ما ارجاء الى العمل الذى أهملتاه حينا ، وكأنما لم يكن لهـا فى نفسيهما أى وجود ! .. وأحست كأنها اقصيت لا عن الدير الصغير الفقير وحده ، بل عن بستان من نوع غامض .. بستان للأرواح ، كانت تهفو اليه بجماع نفسها .. فشعرت فجأة بالوحدة كما لم تشعر بها من قبل .. وكان هذا سر بكائها !

وطوحت برأسها الى الخلف فى اعياء واسى ، وتنهدت قائلة : « اواه ! .. ما أتفهنى وأحقرنى ! »

- ٤٦ -

◆ **عاد** وولتر الى الدار فى ذلك المساء مبكرا بعض الوقت عما اعتاد ، فاذا الظلام قد اوشك ان يدلهم ، وكيتى مستلقية فى المقعد الطويل بجانب النافذة المفتوحة .. فساءلها : « الا تريدين مصباحا ؟ »

ـ سيحضرونه اذا ما اعد العشاء ..

وكان يتحدث اليها دائما فى لهجة جوفاء عن توافه الامور ، وكأنهما مجرد شخصين لا يربطهما سوى تعارف سطحى .. ولم يك فى مسلكه أى شىء يوحى بأنه يكن لها فى قلبه شرا .. ولكنه قط لم يكن ينظر الى عينيهـا ، أو يبتسم .. وكان مفرطا فى الأدب الى درجة تثقل على النفس !

وسألته : « ماذا ترانا نفعل اذا ما اجتزنا الوباء بسلام ؟ » .. فتريث لحظة قبل أن يجيب ، ولم تكن ترى وجهه ، ثم قال : « لم أفكر فى ذلك .. »

وقد كانت كيتى فيما مضى تنطق بكل ما يخطر لها دون ما اكتراث او حرج ، اذ لم تكن تعبأ بأن تفكر قبل ان تتكلم .. اما الآن فقد اصبحت تخشاه ، وتحس بشفتيها ترتجفان ، وبقلبها يخفق فى عنف مؤلم ..

وقالت : « لقد ذهبت عصر اليوم الى الدير »

ـ سمعت بهذا ..

وحملت نفسها على ان تمضى فى الحديث رغم انها كانت تلقى عنـاء فى تخير ألفاظها : « هل كنت تريدنى حقا ان اموت حين احضرتنى الى هنا ؟ »

ـ لو كنت مكانك يا كيتى لتركت هذا الموضوع جانبا ، فلست ارى خيرا فى الكلام فيما يحسن بنا أن ننساه !

ـ ولكنك لا تنسى .. ولا انا .. لقد فكرت كثيرا جدا مذ جئت الى هنا .. أو لا تنصت لما لدى من قول ؟

– بكل تأكيد ..

– لقد أسأت معاملتك الى ابلغ حد .. كنت غير وفية لك ..

وسمر فى مكانه .. وبدا جموده مروعا ، بينما مضت هى تقول فى سرعة ، وبصوت كان من العسير ان تعرف فيه صوتها الطبيعى : « لست ادرى ما اذا كنت ستفقه ما اعنى .. ان هذا النوع من الامور لا يعود ذا قيمـــة للمرأة اذا ما انقضى .. واعتقد ان النساء لم يدركن قط حقيقة المسلك الذى يتخذه الرجال نحوهن .. وانك لتعرف اى شخص كان تشارلى ، وما الذى يستطيع ان يفعله .. اجل ، كنت محقا ، فهو شخص تافه .. واعتقد اننى ما كنت لأغتر به لو لم اكن تافهة مثله .. لست اسألك ان تغفر لى .. لا ولا اسألك ان تحبنى كما كنت تحبنى من قبل .. ولكن ، ألا نستطيع ان نكون صديقين ؟ .. والناس من حولنا يموتون بالآلاف .. والراهبات فى ديرهن .. »

فقاطعها قائلا : « وما شأنهن بهذا ؟ »

– لست املك ان اعبر التعبير الواضح .. وانما داخلنى شعور غريب طاغ حين ذهبت اليوم الى الدير .. يبدو لى أن أمر هؤلاء الراهبات أعمق معنى وأثرا مما يلوح .. ان حياتهن فظيعة ، وتضحيتهن رائعـــة .. ومن ثم لا املك الا ان احس ان من السخف والخطل – ان كنت تفهم ما اعنى – ان تثقل على نفسك بالآسى والهم لمجرد ان امرأة رعناء لم تكن وفية لك .. اننى أتفه وأحقر من أن تفكر فى لحظة .. !

ولم يجب .. ولكنه أيضا لم يتحرك .. وانما لاح كأنما كان يترقب منها المضى فى الحديث .. فقالت : « لقد حدثنى مستر وادينجتن والراهبتان بكثير من الاشياء الرائعة عنك .. وانى لفخورة بك يا وولتر ! »

– لم تكونى كذلك من قبل .. بل كنت تزدريننى .. ألست كذلك حتى الآن ؟

– ألا تعرف اننى خائفة منك ؟

ومرة اخرى لاذ بالصمت .. ثم قال أخيرا : « لست أفهمك .. لست ادرى ماذا تبغين »

– لست ابغى لنفسى شيئا .. انما اريدك ان تستريح قليلا من شقائك ..

واحست به يجمد فى مكانه .. وكان صوته فاترا اجـــوف حين أجاب قائلا : « انت مخطئة اذ تظنيننى تعسا . أن لدى من الأعمال أكثر مما يسمح لى بأن افكر فيك كثيرا »

– ترى هل تسمح لى الراهبات بأن اذهب فأعمل فى الدير .. انهن يعانين كثيرا من قلة عددهن، فكم اكون شاكرة لهن ان استطعن ان يفدن منى ..

ـ انه ليس بالعمل السهل ، ولا السار ٠٠ وانى لأشك فى انه يلذ لك ٠٠
ـ أأنت تحتقرنى الى هذا الحد يا وولتر ؟
فتردد ٠٠ ثم قال فى صوت غريب : « كلا ٠٠ بل احتقر نفسى ! »

ـ ٤٧ ـ

◆ **كانا** قد فرغا من عشائهما ، فجلس وولتر كعادته بجانب المصباح يقرأ ، فقد اعتاد ان ينصرف الى القراءة فى كل مساء الى ان تأوى كيتى الى فراشها فيقصد الى معمل أعده فى غرفة خالية بالدار ، حيث يظل يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل ٠٠ فلقد كان مقلا فى نومه ، وكان فى شغل بتجارب لا علم لها بها ـ فما كان يحدثها بشىء من عمله ، وحتى فى الايام الخالية كان يلزم الصمت فى هذا الصدد ، فما كان بفطرته سخيا فى الكلام ٠٠

واستغرقت كيتى فى التفكير فيما قاله منذ هنيهة ٠٠ ان المناقشة التى دارت بينهما لم تفض الى شىء ٠٠ ولم تكن هى الا على دراية قليلة به ، فلم تطمئن الى ما قال : هل كان حقا ام غير حق ! ٠٠ أمن الممكن انها لم يعد لها وجود لديه ، بينما أصبح له كيان رهيب فى حياتها ؟ ٠٠ ولعل حديثها ايضا، الذى كان يلذ له زمنا ما ـ لأنه كان يحبها ـ لم يعد سوى مبعث ضجر له الآن !

٠٠ وحطم ذلك قلبها !

وتطلعت اليه ٠٠ كانت اشعة ضوء المصباح تسقط على ملامحه فى توزيع منتظم ، يبدى دقتها وتناسقها ، وصرامتها ٠٠ بل يبديها متجهمة ، كالحة ٠٠ وكان سكونه الشامل ـ فيما عدا حركة عينيه وهى تجوس خلال صفحات الكتاب ـ يبعث فى نفسها ذعرا غامضا ٠٠ منذا الذى كان يظن أن هذا الوجه الجامد يمكن ان ينصهر بحرارة الوجد فيعبر عن الحنان ؟ ٠٠ كانت تعرف وجده ، وكان يثير فى نفسها رجفة اشمئزاز ٠٠ كان من الغريب انها وجدت من المستحيل عليها ان تحبه ـ رغم وسامته ، وامانته ، وشهامته ، ومواهبه ـ وان من بواعث الارتياح بالنسبة لها انها لم تعد بحاجة الى تقبل عناقه وغرامه !

وكان يأبى أن يجيب اذا ما ساءلته عما اذا كان قد رغب حقا فى قتلها حين اصطحبها الى هذا المكان ! ٠٠ وكان الغموض الذى يكتنف هذا الموضوع يثير هواجسها ويفزعها ٠٠ كان وولتر بطبعه رحيما الى درجة غير عادية ، فلم يكن من الميسور أن تصدق أن لديه مثل هذه النية الشيطانية ٠٠ ولا بد انه لم يوح بها اليها الا ليخيفها ، والا ليكشف حقيقة تشارلى ويعبث به ـ

كما يفعل بابتسامته الهازئة الساخرة ـ أو لعل اصراره على المضى فى خطته كان نتيجة عناد وخوف من ان يبدو بمظهر الأبله ·· !

أجل ، لقد قال انه يزدرى نفسه ، فماذا كان يعنى بذلك ؟ ·· وعادت كيتى تتأمل وجهه الهادىء الجامد ·· لم يكن يشعر لها بوجود ، وكأنها ليست فى الحجرة ! ·· وسألته وهى لا تكاد تدرى ما تقول ، وكأنما هى تستأنف حديث الصباح : « لم تحتقر نفسك ؟ »

فوضع الكتاب جانبا ، وتأملها فى تفكير ، وقد لاح انه كان يجمع شتات افكاره من ابعاد سحيقة ·· ثم قال : « لأننى احببتك »

فأشاحت بوجهها وقد تضرج ، ولم تقو على تحمل نظرته الباردة ، الثابتة ، اذ أدركت ما كان يعنى ·· ومرت برهة قبل أن تجيبه قائلة : « أعتقد انك تغبننى ·· ليس من العدل أن تلومنى لاننى كنت غبية ، رعناء ، مستهترة ·· فلقد نشأت على ذلك ·· وكل من أعرف من الفتيات كذلك ·· انك كمن يؤنب شخصا لأنه لم يؤت اذنا تستمرىء الموسيقى ، فهو يسأم الاستماع الى سيمفونية تعزف ·· افمن الانصاف ان تلومنى لأنك خلعت على صفات لم أوهبها قط ؟ ·· اننى لم اغرر بك ابدا باصطناع ما لم اكنه ·· كنت مجرد فتاة جميلة ومرحة ·· انك اذا ذهبت الى كوخ من اكواخ الملاهى فى احد المهرجانات ، لا تطلب هناك قلادة لؤلؤية ، أو سترة حريرية ، وانما تنشد فيه طبلا و « بالونا » لتلعب به ·· »

ـ ولكنى لا الومك ··

كان صوته مثقلا بالضجر ، وبدأت تشعر بشىء من نفاد الصبر ازاءه ·· **لماذا يأبى ان يصدق ما تجلى لها فجأة ، من ان مسألتها كانت تافهة اذا قيست بذعر الموت الذى كانا يعيشان فى ظلاله ، وبجلال الجمال الذى قبست منه نظرة عاجلة فى ذلك اليوم ؟ ·· اية اهمية فى الواقع لاقدام امرأة طائشة على الخيانة الزوجية ، ولماذا يولى زوجها شيئا من تفكيره لهذه المسألة وهو يواجه ما هو أسمى واجل ؟ ·· كان من العجيب ان يكون وولتر ـ على مهارته وذكائه ـ قليل الخبرة بتقدير قيم المسائل بعضها بالنسبة لبعض ·· لقد ألبس « دمية » أفخر الثياب ، واقامها فى معبد وراح يعبدها ، ثم اكتشف انها كانت محشوة بنشارة الخشب ! ·· أفلهذا يأبى ان يصفح عن نفسه وعنها ؟ ·· كانت نفسه ممزقة ، فانه قد اتخذ من الأحلام واقعا ، فلما تكشفت له الحقيقة ، ظن أن الحقيقة ذاتها قد تحطمت ·· انه لا يستطيع أن يصفح عنها ، لأنه لا يقوى على ان يصفح عن نفسه !**

وظنت انها سمعت زفرة تند عنه ، فرمته بنظرة سريعة ·· وخطرت لها فجأة فكرة بهرت انفاسها ، حتى لقد اوشكت ان تطلق صرخة على الرغم منها ·· **أكان ما يعانيه هو ذاك الذى يسمونه ·· تحطم القلب وانكساره ؟**

- ٤٨

ظلت كيتى طيلة اليوم التالى تفكر فى الدير ٠٠ وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم الذى يليه ، استصحبت الوصيفة معها لتستأجر لها محفة ، ثم عبرت بها النهر بمجرد ان خرج وولتر ٠٠ وكان النهار فى اوله، والصينيون يحتشدون فى مركب العبور (المعدية) ، بعضهم فى زى الفلاحين القطنى الازرق ، وآخرون فى ثياب سوداء فضفاضة تنم عن علو المكانة ، وكلهم يبدون كالموتى محمولين على الماء الى ارض الظلال والاشباح ٠٠ وعند ما هبطوا الى البر ، وقفوا برهة عند المرســاة حائرين وكأنهم لا يعرفون تماما الى أين يذهبون ، قبل ان يتفرقوا ٠٠ ثم راحوا يهيمون على غير هدى على ســفح التل ، كل اثنين او ثلاثة مترافقين ٠٠

وكانت شوارع المدينة فى تلك الساعة خاوية ، فبدت المدينة أقرب منها فى اى وقت آخر الى ان تكون « مدينة للموتى » ! ٠٠ وكان المارة القلائل يبدون شاردين ،واجمين ، تكاد تحسبهم اشباحا ٠٠ وكانت السماء خالية من السحب ، وشمس البكور ترسل ضوءا بهيا ، بحيث كان من العســير ان يتصور أحد فى ذلك الصباح البهيج ، المنعش ، الباسم ، ان المدينة تستلقى تحت قبضة الوباء لاهثة كرجل تنتزع يد مجنون حياته من بين جنبيه ! ٠٠ لم يكن أحد ليصدق أن الطبيعة ــ ذات السماء الصافية كقلب الطفل ــ تظهر هكذا قلة الاكتراث بالناس وهم يتلوون خوفا ، ويموتون رعبا ! ٠٠ وعند ما أنزلت محفة كيتى ومحفة الوصيفة أمام باب البيت ، نهض متسول كان يستلقى على الارض ، وسأل كيتى شيئا من الاحسان ٠٠ كان ملتفا فى اسمال شاحبة شوهاء ، وكأنه انتشلها من كومة مهلهلة ٠٠ فكنت ترى خلال ثغراتها لحمه جافا ، خشنا ، اسمر ، كجلد الماعز ! ٠٠ وكان ، بساقيه المخلخلتــين ، ورأسه الذى يعلوه شعر جاف مشعث اختلط فيه البياض بالسواد ، وبما كان له من وجنتين غائرتين وعينين جاحظتين ٠٠ يبدو كالمخبول ٠٠ فتحولت كيتى عنه فى رعب فظيع ، وسأله حملة المحفتين فى اصوات خشنة ان ينصرف ، ولكنه كان ملحاحا ، فأعطته كيتى بعض النقود وهى ترتجف ، لتصرفه عنها ٠٠

وفتح الباب ، فقالت الوصيفة للصينية التى فتحته ان كيتى ترجو ان ترى الأم الرئيسة ٠٠ فاقتيدت فورا الى قاعة الاستقبال ذات المقاعد الخشبية ، التى لم يبد ان نافذتها فتحت يوما ٠٠ وهناك جلست امدا طويلا ، حتى بدأت تشعر بأن رجاءها لم يبلغ للأم الرئيسة ، ولكنها ما لبثت ان رأتها تقبــل نحوها قائلة : « ارجو المعذرة اذ استبقيتك فى الانتظار طويلا ٠٠ فما كنت. ارتقب قدومك ، وكنت مشغولة »



نهض متسول كان يستلقى على الارض ..

– اغفرى لى انى ازعجتك ، اذ اخشى ان اكون قد جئت فى وقت غير مناسب ..

فرمقتها الأم الرئيسة بابتسامة امتزج فيها الوقار باللطف وسألتها ان تجلس .. **بيد ان كيتى لاحظت ان عينيها كانتا متورمتين ، مما نم عن انها كانت تبكى ! .. واجفلت كيتى ، اذ اوحى لها مظهر الأم الرئيسة بأنها كانت امرأة تهزها المتاعب الدنيوية .. فقالت متلعثمة : « أخشى أن يكون قد جرى بعض ما يشغلك ، فهل تحبين ان انصرف وان اعود فى وقت آخر ؟ »**

– لا .. لا .. نبئينى بما أستطيع ان افعله لك .. كل ما هنالك ان .. ان واحدة من راهباتنا ماتت ليلة امس ..

وفقد صوتها رصانته ، واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تستطرد قائلة : « من الضعف أن أحزن ، لاننى أعرف أن روحها الطيبة الساذجة قد انطلقت فورا الى السماء .. كانت قديسة .. ولكن من العسير دائما ان يغالب المرء ضعفه .. واخشى ان لا اكون دائما عاقلة رزينة »

قالت كيتى : « اننى جد آسفة .. آسفة كل الأسف » .. وأثار عطفها غصة باكية فى حلق الأم الرئيسة ، وهى تنطلق قائلة : « كانت من اخواتنا اللاتى جئن معى من فرنسا منذ عشر سنوات .. لم يبق منا الآن غير ثلاث .. وانى لأذكر اننا وقفنا متجمعات فى طرف السفينة ، وفيما كانت تبتعد بنا مغادرة مرفأ مرسيليا ، رأينا تمثال « سانت مارى لاجراس » الذهبى ، فأخذنا



٠٠ وسأل كيتى شيئا من الاحسان

نصلى معا ٠٠ كانت أعظم أمانى مذ دخلت حظيرة الرهبنة أن يتاح لى أن آتى الى الصين ، ولكننى حين رأيت الأرض تتباعد عنا ، لم اقو على ان املك نفسى من البكاء ٠٠ وكنت رئيستهن ، فلم يكن ما فعلت بالمثل الطيب لبناتى ٠٠ واذ ذاك تناولت الاخت سان فرانسيس كسافيير ـ وهو اسم الاخت التى توفيت ليلة امس ـ يدى ، واهابت بى ان لا احزن ، لأن ثمة فرنسا اينما كنا ٠٠ وثمة وجه الله ! »

وكان الحزن الذى اضطرتها اليه الطبيعة البشرية ، والجهد الذى كانت تبذله لتكبح الدموع التى كان عقلها وايمانها يستنكرانها منها ، يعصفان بوجهها الصارم المليح ٠٠ واشاحت كيتى عنها فى لباقة اذ خيل اليها أن ليس من اللائق ان تسترق النظر الى الصراع الناشب فى نفس الراهبة الوقور ٠٠ وما عتمت هذه ان استطردت : « ولقد كنت احاول الكتابة الى ابيها ٠٠ كانت مثلى الابنة الوحيدة التى انجبتها امها ٠٠ وكان اهلها من صيادى السمك فى مقاطعة « بريتانى » ، ولسوف يكون نبأ موتها قاسيا عليهم ٠٠ **اواه ، ترى متى ينقضى هذا الوباء الفظيع ؟ ٠٠ لقد أصاب فى هذا الصباح اثنتين من بناتنا ، ولن تنقذهما الا معجزة ، اذ ليس لدى الصينيين أية مقاومة للداء ٠٠ وان فجيعتنا فى الأخت سان فرانسيس لقاسية ٠٠ فان لدينا أعمالا جمة ،**

فى حين اننا لم نعد غير قلة. ولدينا فى اديرتنا الاخرى بالصين اخوات تواقات للحضور .. كل راهبات مذهبنا فيما اعتقد على استعداد لأن يبذلن كل ما يملكن ـ ولو انهن لا يملكن شيئا ـ كى يأتين الى هنا .. ولكن المجىء موت مؤكد تقريبا .. ولست راغبة فى تضحية راهبات أخريات ، طالما كان فى وسعنا ان نقوم بالعمل بما أوتينا من راهبات .. »

فقالت كيتى : « ان هذا يشجعنى ياماه .. لقد كنت اخشى ان اكون جئت فى اسوأ لحظة .. فمنذ سمعتك تقولين فى ذلك اليوم الذىزرتكن فيه ، بأن لديكن من العمل ما يفوق طاقة الاخوات ، اخذت اسائل نفسى عما اذا كنت تسمحين لى بأن آتى وأساعدهن .. لا يهمنى نوع العمل ، طالما كنت ذات نفع .. بل اننى اكون شاكرة لو سمحت لى ولو بمسح الارض .. »

وابتسمت الأم الرئيسة فى عجب ، فذهلت كيتى لمرونة طباعهـــا التى مكنتها من ان تتحول بسهولة من حال الى حال .. وقالت الأم الرئيسة : « لا حاجة بك الى مسح الارض ، فان اليتيمات يقمن بذلك » .. وأمسكت لتتأمل كيتى فى اشفاق ، ثم استطردت : « الا ترين يا طفلتى العزيزة انك بذلت ما فيه الكفاية اذ جئت مع زوجك الى هنا ؟ .. ان هذا فوق ما تجرؤ كثيرات من الزوجات على عمله ، ثم .. اى عمل لك اهم وافضل من أن توفرى له الطمأنينة والراحة اذا ما عاد اليك بعد عمله اليومى ؟ .. صدقينى اذا قلت انه بحاجة الى كل حبك وكل اهتمامك .. »

ولم تقو كيتى على مقابلة نظراتها التى استقرت عليها فى امعان ، وفى ترفق أحست فيه بسخرية لاذعة .. فقالت : « ليس لدى ما افعله من الصباح حتى المساء ، ولست أحتمل أن أرانى عاطلة .. فى حين أشعر بأن عندكن الكثير مما ينبغى ان يعمل .. ولست أحب ان ازعجكن ، فانى ادرك ان لا حق لى فى ان استأثر بشىء من كرمك او وقتـــك ، ولكنى اعنى ما قلت ، ولو سمحت لى بأن اكون عونا لكن ، لكان هذا برا منك بى .. »

ـ انك لا تبدين قوية البنية ، وقد خيل الى يوم أتحت لنا السرور بزيارتك أول أمس انك كنت شديدة الشحوب .. حتى لقد خطر للأخت سان جوزيف انك ربما كنت حاملا ..

فصاحت كيتى وقد تصاعد الدم الى وجهها حتى جـذور شـعرها : « لا .. لا »

فاطلقت الام الرئيسة ضحكة خافتة كرنين الجرس الفضى وقالت : «ليس فى هذا ما يخجلك يا صغيرتى العزيزة ، وليس هذا الافتراض بالامر المستبعد .. منذ متى تزوجت ؟»

ـ اننى شاحبة اللون لاننى بطبيعتى شاحبة .. ولكننى موفورة القوة ، وأعدك بأننى لن أشفق من عمل ..

وكانت الام الرئيسة قد استردت سيطرتها على نفسها ، واستعادت - دون أن تفطن - مظهر السيطرة الذى كان يطبعها عادة بطابعه ، وراحت تتفرس فى كيتى لتسبر غورها ، حتى شعرت هذه باعصابها تضطرب ٠٠ وسألتها الرئيسة :

- أوتحسنين التكلم بالصينية ؟

فاجابت كيتى : «يؤسفنى ان اجيب بالنفى»

- آه ٠٠ هذا شىء يؤسف له ، اذ كنت احب ان اعهد اليك بالفتيات الكبيرات ٠٠ ان الاشراف عليهن متعذر فى الآونة الحاضرة ، وأخشى أن يصبحن ٠٠ بماذا يصفونهن ؟ ٠٠ ان يصبحن متمردات جامحات !

- الا أستطيع أن أساعد الاخوات فى التمريض ؟ ٠٠ اننى لا أخشى الكوليرا اطلاقا ٠٠ وأستطيع ان اعنى بالفتيات او الجنود ٠٠

فرمقتها الام الرئيسة بنظرة متأملة ، وقد انجاب عن وجهها الابتسام ، ثم هزت رأسها وقالت : **«انك لا تعرفين الكوليرا على حقيقتها ٠٠ انها بشعة ٠٠ والجنود هم الذين يقومون بالعمل فى قاعة المرضى ، ولسنا فى حاجة الا الى اخت تشرف عليهم ٠٠ اما فيما يتعلق بالفتيات ، فـ ٠٠ لا ، لا ، اننى متأكدة من أن زوجك لا يرغب فى ذلك ٠٠ انه منظر مفزع ، رهيب »**

- اننى لن البث ان آلفه

- لا ٠٠ هذا أمر ينبغى أن يستبعد ٠٠ انه عملنا الذى نحب أن نستأثر به ٠٠ وليس من داع لان تمارسيه ٠٠

- انك تجعليننى أشعر باننى عديمة النفع والعون ٠٠ لا اكاد اصدق ان ثمة شيئا لا استطيع ان اعمله ٠٠

- هل تحدثت الى زوجك عن رغبتك ؟

- اجـــل ٠٠

فنظرت اليها الام الرئيسة وكأنها تنفذ الى شغاف قلبها ، ولكنها ابتسمت اذ رأت نظرة كيتى المليئة باللهفة والرجاء ، فسألتها : « انـــك بروتستانتية المذهب بالطبع ؟ »

- نعـــم ٠٠

- هذا لا يهم ٠٠ لقد كان الدكتـــور واطسن - المبشر الذى توفى - بروتستانتيا ، فلم يؤثر هذا فى تعاوننا ٠٠ بل كان بالغ الكرم معنا ٠٠ وانا لمدينات له باعظم الفضل ٠٠

وحوم على وجه كيتى طيف ابتسامة ، ولكنها لم تقل شيئا ٠٠ وبدا على الام الرئيسة انها تفكر ، ثم نهضت قائمة وهى تقول : «هذا جميل منك ٠٠ اعتقد اننى استطيع ان أجد لك عملا ٠٠ فالواقع ان حرماننا من الاخت

سان فرانسيس يجعل من المستحيل علينا أن نقوم بكل العمل ٠٠ متى تكونين متأهبة للبدء ٠٠ ؟ »

– الآن ٠٠

– على بركة الله ٠٠ يسعدنى ان اسمع هذا منك ٠٠

– اعدك بان ابذل قصارى جهدى ٠٠ وانى لعظيمة العرفان بفضلك اذ تتيحين لى هذه الفرصة ٠٠

وفتحت الام الرئيسة باب قاعة الاستقبال ، ولكنها ترددت وهى تهم بالخروج ، وعادت ترمق كيتى بنظرة طويلة ، متفحصة ، دارسة ، ثم وضعت راحتها فى رفق على ذراعها وقالت : **«انت تدركين يا طفلتى العزيزة ان الانسان لا يستطيع ان يجد الطمأنينة فى العمل او فى اللهو ٠٠ فى الدنيا او فى الدير ٠٠ اذ لا وجود للطمأنينة الا فى النفس ٠٠ »**

فاجفلت كيتى قليلا ، ولكن الام الرئيسة انسابت خارجة فى لطف ٠٠

- ٤٩ -

◆ **وجدت** كيتى العمل منعشا لروحها ، فكانت تذهب الى الدير مبكرة عقب شروق الشمس ، فلا تعود الى الدار الا والشمس الجانحة للغروب تفيض على النهر الضيق والقوارب المزدحمة فيه ذهبا من اشعتها ٠٠ وقد عهدت الام الرئيسة اليها بالاطفال الصغار ، وكانت ام كيتى قد حملت معها من ليفربول – مسقط رأسها – حين نزحت الى لندن ، دراية عملية بالتدبير المنزلى ، فقبست عنها كيتى – رغم روحها النزقة – بعض مواهب كانت لا تذكرها الا ساخرة ٠٠ فكانت تحسن الطهو وتجيد الحياكة ٠٠ وعندما تكشفت فيها هذه الموهبة الاخيرة ، عهدا اليها بمراقبة الفتيات الصغيرات وهن يتدربن على مبادىء الحياكة ٠ وكن على المام بشىء من الفرنسية ، بينما راحت هى تلتقط منهن فى كل يوم بضع كلمات من الصينية ، ومن ثم لم يكن من العسير عليها أن تمضى فى مهمتها ٠٠ وكانت أحيانا اخرى تراقب صغار الاطفال حتى لايصابوا بضر ، فكانت تغير لهم ملابسهم ، وتعنى بأن يأخذوا قسطهم من الراحة حين يحتاجون اليها ٠٠ وكان ثمة عدد كبير من الاطفال الرضع ، ولكن هؤلاء كانوا فى رعاية المربيات الصينيات ، ولم يكن عليها سوى أن تراقب هؤلاء ٠٠ وهكذا لم يكن بين المهام الموكولة اليها شىء كبير الاهمية ، فكانت ترجو لو انها تولت عملا أكثر تطلبا للجهد ، ولكن الام الرئيسة لم تكن تعير توسلاتها اهتماما ، وكانت كيتى تهابها فلا تمضى فى الالحاح ٠٠

وكانت تضطر فى الايام القلائل الاخرى الى بعض الجهد لتغالب الاشمئزاز الذى كان ينتابها من تلك البنات الصغيرات بزيهن الكئيب ، وشعرهن

الاسود المتيبس ، ووجوههن المستديرة الصفراء ، وعيونهن السوداء المنحرفة ، المحملقة ٠٠ ولكنها كانت تذكر الابتسامة الناعمة التى اضاءت ملامح الام الرئيسة بجمال جذاب ، عندما وقفت - فى أول زيارة ادتها كيتى للدير - تحيط بها هذه المخلوقات الصغيرة القبيحة الهيئة ٠٠ فلا تلبث أن تقاوم فى نفسها كل استسلام لنزوتها ، وتبادر فتحتضن هذا أو ذاك من المخلوقات الضئيلة ، تسرى عنه بكاءه اثر سقطة ، أو ألمه من سن تريد ان تشق اللثة وتظهر ٠٠ وعندما تبينت كيتى ان بضع كلمات ناعمة - وان كانت بلغة لايفقهها الطفل - والتفافة من ساعديها حوله ، ونعومة خدها اذ تلصق به وجهه الاصفر الباكى ، تكفى لان تسرى عنه وتسليه ، بدأت تفقد شعور الاستغراب والنفور ٠٠ وأخذ الاطفال يلجأون اليها فى متاعبهم ، دون ما خوف ، فكان اكتسابها لثقتهم يبعث فى نفسها سعادة لا قبل لها بها ٠٠ وكذلك كانت الحال بالنسبة للفتيات اليافعات ، اللائى كانت تعلمهن الحياكة ٠٠ كانت تبهج قلبها ابتساماتهن المشرقة ، والسرور الذى يداخلهن اذا ما أولتهن كلمة اطراء ٠٠ وأحست بأنهن يحببنها ، فأحبتهن بدورها ، وقد خامرها شعور بالرضى والزهو ٠٠

ولكن طفلة منهم لم تقو كيتى على ان تحمل نفسها على التلطف معها ٠٠ كانت بنتا فى السادسة من عمرها ، معتوهة ، ذات رأس متضخم بمرض الاستسقاء الدماغى ، يتأرجح على جسد صغير ضامر ، وذات عينين ملؤهما الغباء ، وفم يتحلب منه اللعاب ٠٠ كانت تثير التقزز والاشمزاز ٠ وكانت تتكلم بصوت أجش ، وكلمات غير واضحة ٠٠ ولسبب ما ، راحت الطفلة تتعلق بكيتى فى تشبث غبى ، تتبعها أينما سارت من قسم بالغرفة الى آخر ، وتتعلق بذيل ثوبها ، وتمسح وجهها فى ركبتيها ، وتحاول أن تتحسس يديها ، فكانت كيتى تقشعر تقززا ٠٠ كانت تدرك أن الطفلة تتوق الى الحنان ، ولكنها لم تستطع أن تحمل نفسها على ان تلمسها !

وقالت مرة - وهى تتكلم عنها الى الاخت سان جوزيف - ان من الحرام أن تعيش ، فابتسمت الاخت سان جوزيف ، وبسطت يدها للمخلوقة الشوهاء ، فأقبلت وراحت تحك جبهتها فى تلك اليد ٠٠ وقالت الراهبة : « يا للمسكينة الصغيرة ٠٠ لقد احضرت الى هنا وهى تحتضر تقريبا ، وكنت - للعناية الالهية - لدى الباب حين جاءت ، فخطر لى أن ليس ثمة لحظة نبددها ، وسارعت الى تعميرها فورا ٠٠ وما أظنك تتصورين المتاعب التى كابدناها لاستبقائها معنا ٠٠ فقد خيل الينا ، فى ثلاث مرات أو أربع ، أن روحها الصغيرة توشك أن تفلت الى السماء ٠٠ »

وافحمت كيتى ٠٠ وشرعت الاخت سان جوزيف تتحدث فى ثرثرتها المرحة عن اشياء اخرى ٠٠ وعندما اقبلت الطفلة البلهاء فى اليوم التالى

ومست يد كيتى ، سيطرت هذه على اعصابها حتى استطاعت ان تضع يدها على جمجمتها العارية فى حنان ٠٠ وقسرت شفتيها على ان تنفرجا فى ابتسام ، ولكن الطفلة لم تلبث ان نأت عنها فى حركة بلهاء ، وكأنما فقدت اهتمامها بها ٠٠ ولم تعد فى ذلك اليوم او الذى تلاه تعبأ بها ٠٠ ولم تدر كيتى ما الذى بدر عنها ، فحاولت ان تجتذبها بالابتسامات والاشارات ، ولكنها كانت تشيح عنها ، وتتظاهر بأنها لاتراها !

- ٥٠ -

◆ **واذ** كانت الراهبات مشغولات من الصباح الى المساء بمئات الواجبات ، فان كيتى لم تكن تراهن - فى غير اوقات الصلاة فى المعبد المتواضع - الا قليلا ٠٠ ولقد لمحتها الام الرئيسة ، فى اول ايامها ، جالسة فى مؤخرة الغرفة خلف البنات اللائى كن موزعات على المقاعد الخشبية الصغيرة حسب اعمارهن ، فوقفت تتحدث اليها قائلة : « لا تظنى ان من الضرورى لك ان تأتى الى المعبد حين نذهب اليه ، فأنت بروتستانتيةولك عقائدك الخاصة »

- ولكنى احب ان آتى يا اماه ، اذ اجد فى ذلك راحة لى ٠٠

فرمقتها الام الرئيسة بنظرة وقد مالت برأسها الوقور قليلا ، ثم قالت : « لك طبعا أن تفعلى ماتشائين ٠٠ انما اردتك أن تفهمى ان ليس ثمة الزام عليك فى هذا الصدد ٠٠ »

على ان كيتى سرعان ما اصبحت مع الاخت سان جوزيف ، لا على ود فحسب ، بل على ألفة ٠٠ كانت الراهبة مسئولة عن مالية الدير ، فكان تدبير رفاهية تلك الاسرة الكبيرة يبقيها طيلة النهار فى نصب ، حتى لقد قالت أن الوقت المخصص للصلاة هو الوحيد الذى كانت تحظى فيه بشىء من الراحة ٠٠ بيد انه كان يحلو لها ان تدلف حوالى الغروب ، وكيتى ترشد البنات الى العمل ، فتجلس لتستريح بعض دقائق وهى تقسم بأنها متعبة وليس لديها من الوقت لحظة تضيعها ٠٠ وتروح تثرثر ٠٠ وكانت - فى غير حضور الام الرئيسة - كثيرة الكلام ، مرحة ، مولعة بالنكات والفكاهة ، لا تأبى ان تخوض فى بعض الفضائح ٠٠ ولم تكن كيتى ترهبها فى شىء ، كما أن وضعها - خارج السلك الدينى - لم يمنع الاخت سان جوزيف من ان تطلق لطبيعتها العنان ، فتفيض فى الحديث معها فى فكاهة ومرح ٠٠ ولم تكن تتورع عن أن تكشف لها اخطاءها فى النطق بالفرنسية ، فتضحكان معا من هذه الاخطاء ٠٠ كما اخذت تلقنها فى كل يوم بضع كلمات صينية ٠٠ كانت ابنة مزارع ، وقد ظلت تحتفظ فى أعماقها بفطرة الفلاحات ٠٠ كانت تقول : « **لقد اعتدت أن أرعى البقر**

فى صغرى ، كما كانت تفعل القديسة جان دارك ٠٠ ولكننى كنت خبيثة فلم تظهر لى الارواح والرؤى كما ظهرت لها !٠٠ وكان هـذا من حظى ، على ما أعتقد ، والا لاوسعنى ابى بالسوط ، فقد اعتاد ـ العجوز الطيب ـ أن يسوطنى لاننى كنت عفريتة شقية ٠٠ اننى لاستحى فى بعض الاوقات اذ اذكر الالاعيب التى كنت ادبرها ! »

وكانت كيتى تضحك اذ تتصور أن هذه الراهبة البدينة التى تجتاز وسطى مراحل العمر ، كانت يوما كبقية الاطفال ٠٠ ومع ذلك ، فقد كانت لاتزال بها بقية من روح الطفولة تجتذب قلبك اليها ٠٠ وكانت تلوح وكأنما يفوح حولها عبير ساحة ريفية فى فصل الخريف ، واشجار التفاح محملة بالثمار ، والمحصولات مكدسة فى مخازنها ٠٠ لم يكن لها الوقار الآسى الذى يلوح على الام الرئيسة ، وانما كانت طروبا ، ساذجة ، سعيدة ٠٠

سألتها كيتى مرة : « ألا تتمنين قط أن تعودى لوطنك يا أختاه ؟ »

ـ آه ، لا ٠٠ فلسوف يشق على أن ارجع الى هنا ، فى حين اننى أحب أن أكون هنا ، وما أشعر قط بمثل السعادة التى تغمرنى اذ أكون بين الايتام ٠٠ انهم طيبون ، شاكرون ٠٠ ولـكن ٠٠ بالرغم من ان التفرغ للدين نعمـة ، الا ان للمرء أما لايمكن ان ينسى انه رضـع اللبن من ثدييها ٠٠ وان امى لعجوز ، ومن العسير على النفس ان لا اراها ثانية ٠٠ وان كانت ، من ناحية اخرى ، تحب زوجة اخى ، كما ان اخى حفى بها ٠٠ ان ابنه كبر ولا بد ، وما أظنهم الا سيسرون بأن ينضم اليهم فى أعمـال الحقل ساعداه الفتيان ٠٠ كان طفلا حين بارحت فرنسا ، ولـكن شكله كان يبشر بأنه سيقوى على ان يصرع ثورا بقبضته ٠٠

وكان من المستحيل وأنت تجلس فى تلك الغرفة تصغى الى الراهبـة ، ان تفطن الى ان الـكوليرا كانت تعيث فسادا خارج تلك الجدران الاربعة ٠٠ وكانت الاخت تمطر كيتى بالاسئلة عن انجلترا ، وعن لنـدن التى كانت تتصورها مدينة ترزح تحت الضباب الكثيف حتى ليتعذر عليك ان ترى يدك فى وضح النهار ! ٠٠ كما كان يحلو لها أن تعرف ما اذا كانت كيتى قد ترددت على المراقص ، وما اذا كانت عاشت فى قصر كبير ٠٠ وكم أوتيت من الاخوة والاخوات ٠٠ وكثيرا ماكانت تتحدث عن وولتر ٠٠ وكانت الام الرئيسة تقول انه رائع ، وانهن يصلين من اجله كل يوم ٠٠ وان كيتى محظوظة اذ اوتيت زوجا له مثل هذه الطيبة ، والشهامة والمهارة !

◆ **بيد أن** الاخت سان جوزيف كانت لا تفتـأ تعود الى موضوع الام الرئيسة فى أوقات متفاوتة ٠٠ وكانت كيتى قد فطنت من البداية الى

أن شخصية هذه المرأة كانت تسيطر على الدير ٠٠ فكانت كل المقيمات فيه يرمقنها فى اعزاز أكيد واعجاب ، و ٠٠ فى مهابة أيضـا ، وشىء من الخوف قليل ٠٠ وكانت كيتى نفسها تشعر بانها تستحيل امامهـا الى تلميذة ناشئة أمام ناظرة مدرستها ، رغم ترفقها ولطفها ٠٠ فهى قط لم تشعر فى وجودها بكامل حريتها ، اذ كان يتملكها شعور عجيب يحيرها ٠٠ احترام ضاف !٠٠ ولقد راحت الاخت سان جوزيف - تدفعها رغبة خبيثة فى ان تبهرها - راحت تحدثها عن مدى عظمة الاسرة التى كانت تنتمى اليها الام الرئيسة ، فقد كان بين اجدادها اشخاص ذوو أهمية فى التـاريخ ، وكانت ذات صلات واوشاج بنصف ملوك أوربا ٠٠ وكان الفونسـو - ملك أسبانيا - يزور ضياع والدها للصيد ٠٠ وكانت لهم قصور فى كافة ارجاء فرنسا ٠٠ ولذلك فقد كان من الشاق أن تهجر كل هذه الابهة !

وكانت كيتى تنصت مبتسمة ، والحديث يترك آثاره فى نفسها ٠٠ وقالت الاخت : « ليس عليك سوى أن تنظرى اليها ، تجدى أصلها منعكسا عليها » ٠٠ فقالت كيتى : « ان لها أجمل يدين رأيتهما فى حياتى »

- ليتك تعرفين كيف تستخدمهمـا ، فان أمنـا الطيبـة لا تأنف من عمـل ما ٠٠ ولم يكـن فى المدينـة ما يسـتحق الذكر حين وفدت الراهبات ، فانشأن الدير ، وتولت الام الرئيسة بنفسـها الاشراف على بنائه ورفع صرحه ٠ وعكفن بمجرد وصولهن على انقـاذ الفتيـات المسكينات من موئد الاطفال ومن ايدى القابلات القاسيات ٠٠ ولم يكن لديهن فى البداية اسرة ينمن فيها ، ولا زجاج للنوافذ يصد عنهن عادية هواء الليل ٠٠ وكثيرا ما كانت نقودهن تنفد فلا يتبقى لديهن ما يدفعن منه أجور البنائين ، بل ولا ما يفى أيضا بقوتهن ، فكن يعشن كالفلاحات ٠٠٠ أو ، على حد تعبير الاخت سان جوزيف ، كان الفلاحون فى فرنسا - الرجال الذين يعملون لدى ابيها - لايتورعون عن القاء أمثال ماكن يقتتن عليـه من أطعمة ، للخنازير ! ٠٠ واذ ذاك ، كانت الام الرئيسة تجمع « بناتها » حولها ، ويركعن مصليات ، فاذا العذراء المباركة ترسل لهن المـال ٠٠٠ اذا بألف فرنك تصلهن بالبريد فى اليوم التـالى ! ٠٠ أو اذا بغريب ، أو انجليزى - رغم انه بروتستانتى - او حتى صينى ، يقرع البـاب وهن راكعات للصلاة ، حاملا اليهن منحة ! ٠٠ ولقد كن مرة فى مأزق شـديد ، حتى لقد نذرن للعذراء المباركة صلاة طويلة اذا هى أنقـذتهن ٠٠ « فهـل تصدقين ماجرى ؟ ٠٠ لقد جاء مستر وادينجتن الفكه فى اليوم التـالى ليرانا ، ومنحنا مائة دولار وهو يقول اننا نبدو كما لو كنا فى حاجـة الى طبق من الشواء الشهى ! »

ما كان أظرفه من رجل ، بصلعته ، وعينيه الماكرتين ، وفكاهاته .. يا آلهى ! .. ما اجرأه على قتل اللغة الفرنسية باللهجة التى ينطقها بها ، « ومع ذلك فانت لاتملكين سوى ان تضحكى منه .. كان دائما فكها ، خفيف الروح ، ولقد ظل طيلة هذا الوباء الرهيب وكأنه يستمتع بعطلة طيبة .. كان له قلب كقلوب الفرنسيين فى مرحه .. وبديهة تجعلك لا تصدقين انه انجليزى ، لولا اعوجاج لسانه فى النطق ! » .. وان كانت الاخت سان جوزيف تظن أحيانا انه يتعمد ان يتكلم بلغة ركيكة ليثير ضحك من يستمع اليه .. ومن الصحيح انه لم يكن كما ينبغى من الناحية الخلقية ، بيد أن هذا شأنه الخاص .. ثم انه كان شابا ، أعزب !

وتسألها كيتى مبتسمة : « وأى عيب فى أخلاقه يا أختاه ؟ »

– أحقا لاتعرفين ؟ .. انها خطيئة ان اقول لك ، وليس من شأنى أن اخوض فى هذه الامور .. انه يعاشر امراة صينية .. بل هى ليست من الصين ، وانما من « مانشو » .. يبدو انها أميرة ، وانها تحبه فى جنون !

فصاحت كيتى : « ان هذا مستحيل ! »

– لا ، بل أقسم لك انه عين الحق .. وهذا اثم عظيم يقارفه ، اذ لا تنبغى ممارسة مثل هذا العمل .. ألم تسمعى ما دار حين جئت انت الى الدير أول مرة ولم يشأ أن يتناول فطائر « المادلين » التى صنعتها خصيصا ، **فقالت امنا الطيبة أن معدته قد افسدها طهى ابنة « مانشو » ؟ .. كانت** تعنيها بذلك ، وكان خليقا بك أن ترى الاثر الذى تجلى على وجهه .. انها قصة غاية فى العجب .. الظاهر انه كان فى « هانكو » اثناء الثورة ، عندما هب الثوار فاعملوا الذبح فى أبناء « مانشو » ، **فاذا بوادينجتن الطيب ينقذ أسرة من أسراتهم الكبرى ، كانت تمت بالقرابة الى الاسرة الامبراطورية .. وكان ان تدلهت الفتاة فى هواه ، و .. وتستطيعين ان تتصورى بقية القصة ! .. وعندما غادر « هانكو » فرت الفتاة وتبعته ، وهى الى الآن تتبعه أينما ذهب ، وقد راض نفسه على ان يأويها .. بل أستطيع ان اقول ان المسكين يحبها .. فان بنات « مانشو » يكن فى بعض الاحيان فاتنات .. ولكن ، ما هذا الذى أفعله ؟ .. ان لدى ألف عمل ، ومع ذلك فقد استطبت الجلوس هنا .. اننى راهبة سيئة الخلق .. اننى اخجل من نفسى .. !**

- ٥٢ -

◆ **وانتاب** كيتى شعور غريب بأنها تتطور .. فلقد صرف العمل المستمر ذهنها عن هواجسها ، وايقظت خيالها اللمحات التى كانت تطلعها على حياة وأفكار سواها ، فشرعت تستعيد هدوءها وطباعها ، وتشعر بالتحسن

يصيب صحتها وقواها ٠٠ وبعد ان كانت تخال ان لم يعد لها سوى البكاء ، انتبهت الى انها – لدهشتها وعجبها – اصبحت تضحك لهذا الأمر وذاك ٠٠ وبدت لها الحياة وسط الوباء المروع امرا طبيعيا ! كانت تدرك ان الناس يموتون عن يمينها وعن يسارها ، ولكنها كفت عن ان تشغل بالها بذلك ٠٠ وكانت الأم الرئيسة قد حرمت عليها ان تلج قاعات المرضى ، فاذا الابواب المغلقة تذكى فضولها ، حتى لقد ودت لو تسترق النظر الى ما كان يجرى خلفها ، لولا انها خشيت انيراها احد ، ولم تك تدرى اى عقاب تنزله الأم الرئيسة بها ، سيما وانها صارت تبغض ان تقصى عن الدير ، فلقد شغفت بالاطفال ، واصبحت تشعر انهم سيفتقدونها لو انها اقصيت ٠٠ بل لقد غدت تعجب كيف يكون امرهم بدون رعايتها ٠٠

وفطنت ذات يوم الى انها قضت اسبوعا كاملا دون ان تفكر فى تشارلس تاونسند او تحلم به ، فخفق قلبها فجأة بعنف ، اذ رأت انها برئت من حبه ، وان فى وسعها الآن ان تفكر فيه بغير ما اكتراث..انها لم تعد تحبه !.. أواه ، ما اجمل الشعور بالخلاص والتحرر !.. وبدا لها غريبا – وهى تستعرض الماضى – ذلك الحنين المشبوب الذى كان يساورها نحوه ٠٠ لقد ظنت انها ستموت عند ما تخلى عنها ، وخالت ان الحياة لن تتيح لها بعد ذلك سوى التعاسة .. ومع ذلك ، فها هى ذى تضحك ، وترى فيه شخصا حقيرا لا قيمة له ٠٠ لقد جعلت من نفسها فى الماضى غبية حمقاء ، اما الآن ، وهى تفكر فيه بهدوء ، فقد اصبحت تسائل نفســها فى عجب : اى شىء استهواها فيه..كانمن حسن الحظ ان وادينجتن لم يعرف منأمرها معه شيئا ، والا ما احتملت نظراته الخبيثة ، وتعقيباته الساخرة ٠٠ لقد صارت اخيرا حرة.. حرة.. حرة !٠٠ ولم تتمالك ان ارسلت ضحكة عالية٠٠

وكان الاطفال يلعبون فى ضجيج حولها ٠٠ وكان من عادتها ان ترقبهم فى ابتسامة متلطفة ، وان تخفف من ضجيجهم اذا ما اسرفوا فيه ، وان تراعى ان لا يضار أحد منهم من جراء هرجهم ٠٠ اما الآن وهى فى سرورها الضافى ، فقد احست بنفسها تهبط الى سنهم ، فاشتركت معهم فى اللعب٠٠ واستقبلتها الصغيرات فى اغتباط ، ورحن يتسابقن فى الغرفة ، صارخات بأعلى اصواتهن الرفيعة ، فى هرج وفوضى ٠٠ واشتد بهن التحمس فرحن يقفزن فى مرح ٠٠ وأصبحت ضوضاؤهن لا تطاق

وفجأة ، فتح الباب ، وبدت الأم الرئيسة عند عتبته ٠٠ وخلعت كيتى نفسها من قبضاتالصغيرات فى استحياء ، بينما كن يتشبثنبها صارخات ٠٠ وتساءلت الأم الرئيسة مبتسمة : « اهـكذا تستبقين هؤلاء الاطفــال هادئين ؟ »

– كنا نقوم باحدى الالعاب ياماه ، فاشتد بهم الانفعـال ٠٠ انها غلطتى لأننى أنا التى قدتهم الى ذلك ٠٠

وتقدمت الأم الرئيسة ، فتزاحم الاطفال حولها كعادتهم ، واحاطت اكتافهم الصغيرة بذراعيها ، وراحت تجذب آذانهم فى مداعبة ، وهى ترمق كيتى بنظرة طويلة حانية ٠٠ كان وجهها متضرجا ، وانفاسها متهدجة ، وعيناها الرجراجتان تلمعان ، وشعرها الجميل قد تشعث خلال اللعب والضحك فتناثر فى فوضى حبيبة ٠٠ وقالت الأم الرئيسة بالفرنسية : « ما اجملك يا ابنتى العزيزة ! » ٠٠ ثم اردفت بالانجليزية : « ان مرآك يملأ القلب بهجة ٠٠ فلا عجب ان شغف بك هؤلاء الصغار ! »

وازداد وجه كيتى تضرجا ، وتدافعت الدموع الى عينيها فجأة لغير ما سبب ادركته ، فغطت وجهها براحتيهـا وهتفت : « اواه يا اماه ! ٠٠ انك تخجليننى »

– لا تكونى بلهاء ، فان الجمال نعمة من الله ، بل هو من اندر النعم وأغلاها ٠ وجدير بنا أن نكون شاكرات اذا سعدنا بالفوز به ٠٠ وان نكون حامدات اذا لم نفز به ، لأن سوانا قد حظى به كى نملى انظارنا منه !

وعادت تبتسم ، وربتت خد كيتى الناعم برفق كما لو كانت طفلة ٠٠

– ٥٣ –

◆ **اصبحت** كيتى لاترى وادينجتن – مذ عملت فى المدير – الا قليلا ٠٠ فقد وافاها مرتين او ثلاثا لدى ضفة النهر فسارا معا صاعدين التل الى دارها ، وكان يمكث ريثما يتناول قدحا من الويسكى والصودا ، ولكنه قلما بقى حتى العشاء ٠٠

على أنه اقترح فى أحد أيام الآحاد أن يأخذا غذاءهما معهمـا ويستقلا محفتين الى معبد بوذى على مسافة عشرة أميال من المدينة ، اشتهـر بأنه مقصد الحجاج ٠٠ وكانت الأم الرئيسة تصر على ان تحظى كيتى بيوم للراحة ، وتأبى ان تدعها تعمل فى ايام الآحاد ٠٠ اما وولتر فكان كعهـده ، ابدا مشغولا ٠٠

وانطلقت كيتى ووادينجتن مبكرين كى يصلا قبل ان تشتد حرارة الشمس، فحملا على المحفتين فى طريق ضيق خلال حقول الارز ٠٠ وكانا من آن الى آخر يمران ببعض البيوت الريفية الجميلة وقد استكانت بين احضان احـراش الخيزران ٠٠ واستطابت كيتى الخمول الذى سرى اليها ٠٠ ولذ لها ان ترى الريف الفسيح بعد طول مقامها فى المدينة المحدودة ٠٠ وانتهيا الى المعبد ٠٠ مجموعة من المبانى المتلاصقة ، المنخفضة ، قامت الى جوار النهر ، فى ظلال الشجر ٠٠ وقادهما الكهنة فى بشاشة الى ساحات كانت خالية ،يسـودها

الوجوم ، ثم أروهما أقسام المعبد وما فيها من آلهة .. وفى القسم الأوسط، جلس بوذا ، حزينا ، مفكرا ، ساجيا ، وعلى أساريره طيف ابتسامة واهنة .. وكان طابع الاهمال يدمغ كل شيء ، فكانت روعة المكان تتوارى خلف القدم والتهدم .. وكانت تماثيل الآلهة ترزح تحت التراب ، كما كان الايمان الذى أدى الى صنعها يحتضر .. وبدا كأنما الكهنة يمكثون على مضض ، مرتقبين صدور الأمر بأن يغادروا المعبد .. وكان فى ابتسامة كبيرهم ـ رغم ادبه الجم ـ استسلام ساخر .. اذ لن يلبث الكهنة أن يتسللوا يوما من الغابة الظليلة ، البديعة ، فتهدم العواصف الهوجاء المبانى المتداعية المهجورة ، وتحاصرها الطبيعة حتى تضطرها الى الاستسلام .. وتلتف النباتات الزاحفة البرية حول التماثيل الميتة ، وتتكاثف الاشجار فى ساحات المعبد .. ثم ، لا يعود للآلهة مقام فى هذا المكان ، فتعمره أرواح الشر والظلام ..

- ٥٤ -

◆ **وجلسا** على درجات مبنى صغير كان يتألف من اربعة اعمدة بيضاء ، وسقف عال اقيم تحته جرس برونزى كبير .. واخذا يتأملان النهـر وهو ينساب وئيدا ، فى كثير من التثنى ، نحو المدينة الموبوءة .. وكانا يريان أسوارها غير المتناسقة ، والقيظ مبسوط فوقها كغطاء التابوت .. ومع أن النهر كان ينساب بطيئا ، الا انه كان يكشف عن حركة توحى للمرء باحساس حزين ازاء تطورات الامور .. كل شيء ينقضى ، فأى اثر يبقى لانقضائه ؟ .. وخيل لكيتى انهم جميعا ـ الجنس البشرى بأسره ـ كقطرات ماء فى ذلك النهر ، تسرى ، كل لصق الأخرى ، ولكنها على تقاربها متباعدة ، فى فيض لا كنه له ، يمضى الى البحر .. واذا كانت جميع الاشياء لا تمكث الا مثل هذا الامد الوجيز ، ثم لا يعود لأى منها اهمية تذكر ، فان من دواعى الرثاء ان يشقى البشر انفسهم ، وان يشقى كل منهم الآخر ، اذ يعلقون اهمية سخيفة على امور تافهة !

وسألت كيتى وادينجتن وفى عينيها الجميلتين ابتسامة : « هل تعرف بساتين هارينجتن ؟ »

ـ لا .. لماذا ؟

ـ لا لشيء ، سوى انها على بعد شاسع من هنا .. انها المنطقة التى يقيم فيها أهلى ..

ـ اتفكرين فى العودة الى الوطن ؟

ـ لا ..

ـ اظن انكما ستبرحان هذه المنطقة خلال شهـرين ، فقد بدأت حـدة الوباء تخف ، ولن تلبث برودة الجو أن تقضى عليه

ـ اكاد اعتقد اننى سآسف للرحيل ..

واستغرقت لحظة تفكر فى المستقبل .. لم تكن تدرى ماذا أعد لها وولتر ، فما انبأها بشىء .. كان باردا ، مؤدبا ، صامتا ، مغلقا لا يكشف عن شىء ! .. كانا كنقطتين صغيرتين فى ذلك النهر الذى كان ينساب فى صمت نحو المجهول .. نقطتين لكل منهما فى حد ذاتها كيان وشخصية ، ولكنهما للرائى عن كثب ليسا سوى جزء من المـــاء لا يمتـــاز عن باقى الأجزاء فى شىء ..

وقال وادينجتن بابتسامته الخبيثة : « حذار أن تحولك الراهبات عن مذهبك الى مذهبهن »

ـ انهن مشغولات للغاية .. ثم هن لا يحفلن بذلك .. انهن رائعات ، رحيمات ، ومع ذلك فان بينهن وبينى سياجا لا ادرى كيف أعلله .. بل لست ادرى كنهه ! كأنما لديهن سر يعزى اليه كل ما اصاب حياتهن من تغير ، ولكنهن يريننى غير أهل لان أشاطرهن اياه .. انه ليس الايمان ، بل هو شىء أعمق ، واكبر .. وأخطر مغزى .. انهن يسرن فى عالم غير عالمنا ، ولسوف نظل على الدوام اغرابا بالنسبة لهن .. وانى لأشعر حين تغلـق ابواب الدير خلفى عند انصرافى كل يوم ، بأننى لم اعد ذات وجـــود فى اعتبارهن !

فقال هازئا : « أكاد أحس أن هذا يصدم غرورك وكبرياءك »

فهتفت : « كبريائى » .. وهزت كتفيها .. ثم ابتسمت مرة اخرى ، واستدارت اليه فى تكاسل وسألته فجأة : « لم لم تخبرنى قط انك تعيش مع اميرة من مانشو ؟ »

ـ ما الذى روته لك تلك النسوة الثرثارات ؟ .. اننى أعتبرها خطيئة ان تخوض الراهبات فى الشئون الخاصة لموظفى الجمارك !

ـ ولماذا تتأثر بكلامهن الى هذه الدرجة ؟

فغض وادينجتن بصره ، وحول نظراته جانبا ، مما اضفى عليه مظهـــر المكر .. ثم هز كتفيه فى حركة طفيفة ، قائلا : « ليست هذه بالمسألة التى يجوز اعلانها على الملأ .. ولا اظنها ستضاعف من فرص ترشيحى للترقية فى عملى ! »

ـ أو انت مشغوف بتلك المرأة ؟

فتطلع اليها وعلى وجهه القبيح أسارير التلميذ الشقى ، وقال : « انها قد نبذت كل شىء من أجلى : وطنها ، وأسرتها ، وأمنها ، وكرامتها .. ولقـــد انقضت سنوات عديدة مذ ألقت بكل شىء ادراج الرياح ، لكى تعيش معى .. وقد أقصيتها مرتين او ثلاثا ، ولكنها كانت دائما تعود .. بل لقد هربت

منها أنا نفسى ، ولكنها كانت دائما تتعقبنى ، مما اضطرنى فى النهاية الى التسليم بأن لا جدوى من كل ذلك ، وصرت أعتقد أن لا مناص لى من أن أعيش معها ما تبقى من عمرى ..

ـ لا بد انها مدلهة فى حبك فعلا حتى الموت !؟

فأجاب وقد قطب جبينه فى حيزة : « أتدرين ، انه شعور غريب حقا .. ليس لدى اتفه شك فى انها لا تتورع ـ اذا انا هجرتها فعلا ـ عن الانتحار .. لا وهى موغرة الصدر نحوى ، وانما كتصرف طبيعى .. لانها تأبى الحياة بدونى .. انه لشعور غريب غامض ذاك الذى يساور المرء اذ يتبين هذا .. وان كنت لا اراه ذا قيمة او معنى بالنسبة لك ..

ـ ولكن الشىء المهم هو ان يحب المرء ، لا ان يكون موضع الحب .. فالمرء لا يكاد يحمد لمن يحبونه حبهم ، بل انهم لا يكونون سوى مصدر لملله ، ما لم يكن هو ذاته يحبهم !

فأجاب : « لا خبرة لدى بالآخرين ، فان تجربتى مستمدة من خـــالتى الفردية »

ـ أو هى أميرة من الاسرة الامبراطورية حقا ؟

ـ لا ، هذه مغالاة خيالية من الراهبات .. انها تنتمى الى أسرة من أسرات « مانشو » الكبرى ، ولكن مجد اسرتها انهار بقيام الثورة .. وان كانت قد بقيت لها هى مكانتها الرفيعة !

ولفظ العبارة الأخيرة بافتخار دفع الى عينى كيتى ابتسامة ، وعادت تسأله : « أو ستمكث هنا الى نهاية عمرك ؟ »

ـ فى الصين ؟ .. أجل .. اذ كيف ترينها تعيش فى اى مكان آخر ؟ .. عند ما أعتزل العمل سأقتنى بيتا صينيا صغيرا فى بكين ، أقضى فيه بقية ايامى ..

ـ هل رزقتما أطفالا ؟

ـ لا ..

فتطلعت اليه فى عجب .. **كان من الغريب ان يثير هذا الأصلع الشـــبيه بالقرد ، مثل هذا الغرام الأهوج فى تلك المرأة التى لم تكن من بنات جلدته .. ولم تدر لم أحست كيتى من لهجته فى الحديث عنها ـ رغم تظاهره بالاستخفاف وقلة الاكتراث ـ بأن تلك المرأة كانت شديدة الوفاء ، فذة الولاء..**وأمضها ذلك بعض الشىء ، لكنها ابتسمت قائلة : « يبدو ان بيننـــا وبين حدائق هارينجتن مسافة شاسعة حقا .. »

ـ لم تقولين ذلك ؟

ـ لست أفقه شيئا ، فالحياة غاية فى الغرابة .. وانى لأشعر كما لو كنت عشت حياتي بجوار بركة للبط ، ثم اقتدت فجأة الى البحر .. فاذا

المنظر يبهر أنفاسى ، ويملأنى ــ فى الوقت ذاته ــ بالاعجاب والزهو ٠٠ لست اريد أن اموت ، وانما أبغى أن اعيش ٠٠ ولقد بدأت اشعر بشجاعة جديدة ٠ أشعر كأنى من أولئك الجنود القدماء الذين كانوا يقلعون سعيا الى بحار لم تكتشف بعد ٠٠ فانى لأحس بأن روحى تسعى تواقة الى المجهول ٠٠

فتطلع اليها وادينجتن متأملا ٠٠ وكانت نظراتها الشـــاردة تترامى على النهر الهادىء ، وهى تتمثل نفسها و «وولتر» كنقطتين صغيرتين تسربان فى صمت وسكينة نحو بحر الابدية المظلم ٠٠ ثم سألته فجأة وهى ترفع رأسها :

« هل لى ان ازورك لأرى تلك السيدة ابنة مانشو ؟ »

ــ انها لا تعرف كلمة انجليزية واحدة ٠٠

ــ لقد كنت مفرط الكرم معى ، وقد بذلت الكثير من اجلى ، ولعلنى أستطيع بمسلكى ان اشعرها بأننى اكن لها ودا ٠٠

فارتسمت على شفتى وادينجتن ابتسامة رقيقة ، ساخرة ، ولكنه أجاب فى سماحة نفس : « سأحضر لأصحبك ذات يوم ، ولسوف تقدم لك كوبا من الشاى المعطر بالياسمين ٠٠ »

ولم تشأ أن تخبره أن قصة هذا الحب الغريب قد أثارت خيالها مذ سمعتها، حتى أصبحت الاميرة ابنة « مانشو » بالنسبة لها أشبه برمز يشير لها فى ابهام ــ ولكن فى دأب ودون انقطاع ــ الى عالم خرافى تعمره الأرواح ٠٠

ــ ٥٥ ــ

◆ **بيد أن** كيتى لم تلبث أن اهتدت بعد يوم أو اثنين الى كشف لم تكن تتوقعه ولا عملت له حسابا ٠٠ فلقد ذهبت الى الدير كعادتها ، وشرعت تؤدى عملها فاحصة الاطفال لتستوثق من انهم قد اغتسلوا وارتدوا ثيابا نظيفة ٠٠ ولما كانت الراهبات يؤمن فى اصرار بأن هواء الليل ضار ، لذلك كانت نوافذ عنبر النوم تغلق طيلة الليل ، فاذا ما اصبح الصباح ، كان الجو يبدو ثقيلا فاسدا مشبعا بالأنفاس ، مما كان يضايق كيتى ، فيجعلها تسارع الى فتح اكبر عدد تستطيع من النوافذ ٠٠ **ولكنها فى ذلك اليوم احست باعياء شديد ، ودوار فى رأسها ، وغثيت نفسها ، فوقفت الى جوار النافذة تحاول ان تنتعش وتتمالك نفسها ٠٠ انها ما احست قط بمثل هذا الشعور من قبل ٠٠ ثم غلبها الغثيان فتقيأت ٠٠ وندت عنها صرخة ازعجت الاطفال ٠٠ فهرعت نحوها الفتاة الكبرى التى اعتادت ان تساعدها ، ولكنها لم تكد تراها ترتجف وقد شحب وجهها ، حتى توقفت ، وهتفت ٠٠ كوليرا ! ٠٠ ومرقت الفكرة فى ذهن كيتى كالسهم ، ثم داخلها شعور بخطر الموت ، فتملكها ذعر ، وراحت تكافح لحظة ضد الظلام الذى خالت أنه يزحف فى عروقها بسرعة اليمة ٠٠ واشتد شعورها بالاعياء ٠٠ ثم اكتنفها ظلام تام !**



ولم تدر لأول وهلة اين كانت ، حين فتحت عينيها .. بدا لها انها نائمة على الارض ، فلما حركت رأسها قليلا احست بوسادة تحتها .. ولم تستطع أن تتذكر شيئا .. وكانت الأم الرئيسة تجثو الى جوارها ، مقربة أملاح النوشادر الى أنفها ، بينما وقفت الأخت سان جوزيف تتأملها .. ثم عادت اليها ذاكرتها .. الكوليرا ! .. واستبانت الاهتمام الذى كان يسيطر على وجهى الراهبتين ، ففشيها الذعر مرة أخرى ، وهتفت باكية : « اواه يا أماه .. يا اماه .. أو سوف أموت ؟ .. لا اريد ان اموت ! » .. فأجابتها الأم الرئيسة : « لن تموتى بالتأكيد »

وكانت رابطة الجأش ، وفى عينيها شىء من الاطمئنان ..

وعادت كيتى تقول : « ولكنها الكوليرا .. اين وولتر ؟ .. هل ارسلتم تستدعونه ؟ .. أواه يا اماه ! .. يا اماه ! »

وانسابت دموعها مدرارا ، فبسطت لها الام الرئيسة يدها ، واذا هى تتشبث بها وكأنها تلوذ بملاذ ترجو ان يبقيها على قيد الحياة التى كانت تخشى ان تفقدها .. وقالت الأم الرئيسة : « رفهى عن نفسك يا صغيرتى العزيزة ! . لا تكونى غبية ، فليست هذه بالكوليرا ، ولا بأى شىء من هذا القبيل .. »

– واين وولتر ؟

– ان زوجك اكثر انشغالا من أن نزعجه ·· ولن تمضى خمس دقائق حتى تكونى بأتم خير ··

فحملقت فيهـــا كيتى بعينين مشدوهتين ، وهى تتساءل : لم تبدو هادئة الى هذا الحد ؟ · انها لقسوة ! ·· على ان الأم الرئيسة استرسلت قائلة : « الزمى السكون التام لمدة دقيقة ، فليس ثمة ما يستدعى انزعاجك »

واحست كيتى بقلبها يخفق فى عنف ·· كانت قد الفت التفــكير فى الكوليرا ، حتى لم تعد ترى ان من المحتمل ان تصاب بها ·· اواه ، ما كان احمقها ! ·· وادركت انها ستموت ، فاشتد جزعها ·· واحضرت البنات مقعدا طويلا من الخيزران وضعنه الى جوار النافذة ، فقالت الأم الرئيسة: « لنحملك الى المقعد الطويل فسيكون هذا أدعى لراحتك ·· هل تحسين ان بوسعك ان تنهضى ؟ »

ووضعت يديها تحت ذراعى كيتى ، بينما عاونتها الاخت سان جوزيف على الوقوف ·· ولم تلبث أن تهالكت على المقعد فى اعياء ·· فقالت الأخت سان جوزيف : « يحسن أن أغلق النافذة ، فان هواء البكور ليس مما يفيدها »

فصاحت كيتى : « لا ·· لا ·· ارجو ان تتركيها مفتوحة » ·· كانت رؤية السـماء الزرقاء تبعث فى نفسها الطمأنينة ·· وكانت مضعضـعة الحواس ، ولكنها ما لبثت أن شرعت تحس بالتحسن · وتأملتها الراهبتان لحظة فى صمت ، ثم تمتمت الأخت سان جوزيف للأم الرئيسة بكلمات لم تفهمها كيتى ، واذ ذاك جلست الأم الرئيسة على حافة المقعد ، وتناولت يدها وقالت : « اسمعى يا طفلتى العزيزة ·· »

ووجهت اليها سؤالا او اثنين ، اجابت عنهما كيتى دون ان تدرك ما وراءهما ·· وكانت شفتاها ترتجفان ، فلا تكاد تنبعث الكلمات واضحة من بينهما ·· وقالت الاخت سان جوزيف : « ليس ثمة شك فى الامر ، فأنا لا يمكن ان اخدع فى مثل هذه المسألة ! » ·· واطلقت ضحكة صغيرة لمست فيها كيتى شيئا من الانفعال وغير قليل من العطف ، فابتسمت الأم الرئيسة فى حنان وهى لا تزال ممسكة بيد كيتى ، ثم قالت : « ان للأخت سان جوزيف خبرة بهذه الامور تفوق ما لدى يا صغيرتى العزيزة ·· ولقد أدركت فى الحال ما بك ، فاذا بها على صواب واضح »

فتساءلت كيتى فى لهفة : « ماذا تعنين ؟ »

– انه لأمر جلى .. ألم يخطر لك قط احتمال حدوث شىء كهذا ؟ .. انك حبلى يا عزيزتى !

وهزت المفاجأة كيان كيتى هزة عنيفة ، فوضعت قدميهـا على الارض كأنما كانت تهم بأن تقفز ، لـكن الام الرئيسة ابتدرتها : « امكثى مضطجعة ،

ساكنة ! » .. واحست كيتي بالدماء تتدافع الى وجهها فى عنف ، ووضعت يديها على ثدييها وهى تقول : « هذا مستحيل .. ليس هذا بحق » ..
فتساءلت الاخت سان جوزيف بالفرنسية : « ماذا تقول ؟ »
وترجمت لها الام الرئيســـة ، فأشرق وجـــه الاخت سان جوزيف المستدير ، الساذج ، ذو الوجنتين المتـــوردتين ، وقالت : « لا مجـال للخطأ ، اننى أقسم بشرفى » .. وتساءلت الام الرئيسة : « منـــذ متى تزوجت يا صغيرتى ؟.. لقد كان لزوجة أخى طفـــلان حين انقضى على زواجها من الزمن ماانقضى على زواجك ! »
ففاصت كيتي فى المقعد ، وهى تحس بالموت يطرق قلبها ، وهمست : « لشـــد ما أنا خجلى ! »
ـ ألأنك سترزقين بطفل ؟ .. أى شىء طبيعى يفوق هذا ؟
وقالت الاخت سان جوزيف بالفرنسية : « ما أشد فرحة الطبيب ! »
ـ أجل ، فـكرى فيما سيبعثه هذا فى زوجك من سعادة .. لسوف يطغى عليه الابتهاج . يكفى أن تريه مع الاطفال ، وان تتأملى وجهه وهـو يداعبهم ، كى تدركى مدى فرحه حين يؤتى طفلا من صلبه ..
ولاذت كيتي بالصمت برهة ، والراهبتان ترمقانها فى اهتمام وحنو ، والام الرئيسة تربت يدها .. وقالت كيتي أخيرا : « كان من الغباء أن لا أحدس هذا من قبل .. اننى ، على كل حال ، مسرورة لانهـا لم تـكن الـكوليرا .. وانى لاحس بتحسن كبير .. فلأعد الى عملى »
ـ لن تعملى اليوم يا ابنتى العزيزة ـ لقد تعرضت لمفاجأة اثارتـك ، ويحسن أن تعودى الى دارك لتستريحى ..
ـ لا .. لا .. بل أفضل ان امكث واعمل ..
ـ اننى اصر على ماقلت .. ما الذى يقوله طبيبنا الطيب اذا تركتـك تقدمين على تصرف غير حكيم ؟ .. تعالى غدا ، ان شـئت ، أو بعـد غد .. أما اليوم ، فيجب ان تلزمى الهدوء .. سأستدعى لك محفة .. أو ترغبين أن أوفد معك احدى بناتنا الصغيرات ؟
ـ لا .. سأكون بخير وانا وحيدة ..

- ٥٦ -

◆ **كانت** كيتي مستلقية على فراشها وقد اغلقت المصاريع الخشبية للنوافذ .. وكان الغداء قد رفع ، واستسلم الخـــدم للقيـلولة .. ان ماعلمته فى ذلك الصباح ، وما غدت على يقين من صحته ، ليملأها جزعا وخبالا .. ولقد ظلت مذ عادت الى الدار تحاول أن تفكر ، ولكن ذهنهـــا بدا خاويا ، ولم تستطع أن تجمع شوارد أفكارها .. وفجأة ، سـمعت

وقع قدمين فى حذاءين ، مما نم عن انهما لايمكن ان يكونا لاحدالخدم .. وفى ادراك مرتاع أيقنت ان القادم لايمكن ان يكون سوى زوجها .. وكان قد دخل غرفة الجلوس .. وسمعته يناديها ، فلم تجب .. وسادت فترة صمت ، ثم دوت طرقة على باب حجرتها ، فصاحت : « نعم ؟ »

ـ هل لى أن أدخل ؟

فنهضت كيتى من فراشها ، والتفت فى رداء وقالت : « أجل »

وولج الحجرة .. وسرها ان المصاريع الخشبية المغلقة كانت تحجب النور عن وجهها .. وقال لها : « آمل أن لا أكون قد ايقظتك .. لقد طرقت بمنتهى الرفق .. »

ـ لم أكن نائمة ..

وذهب الى احدى النوافذ ففتح مصراعيها .. وانساب الى الحجرة فيض من الضوء الدافىء .. فسألته : « ماذا جرى ؟ .. لم عدت الى البيت مبكرا ؟ »

ـ قالت الراهبات انك كنت متوعكة ، فآثرت أن آتى لاتبين ما هنالك ..

فانبعث قبس من الغضب فى أعماقها ، وتساءلت : « وماذا كنت تراك قائلا لو انها كانت الكوليرا ؟ »

ـ لو كانت ، مااستطعت بالتأكيد ان تعودى الى البيت فى هذا الصباح ..

فسعت الى مائدة الزينة ، وجاست بالمشط خلال شعرها الناعم الغزير .. كانت تحاول كسب الوقت .. ثم جلست وأشعلت سيجارة ، وقالت : « لم أكن على ما يرام فى هذا الصباح ، فرأت الام الرئيسة انه يحسن بى أن أعود الى هنا .. على اننى الآن بخير .. وسأذهب الى الدير كالمعتاد غدا »

ـ وماذا كان بك ؟

ـ ألم ينبئنك ؟

ـ لا .. قالت الام الرئيسة ان عليك أن تخبرينى بنفسك !

وفعل اذ ذاك مالم يعد يفعله الا نادرا .. تطلع اليها متفرسا فى وجهها .. وكانت نظراته ـ كطبيب ـ أقوى من نظراته الشخصية .. وترددت ، ثم غصبت نفسها على أن تواجه نظراته وقالت : « اننى حامل »

وكانت قد ألفت عادته فى أن يتلقى صامتا من الانباء ما يرتقب عادة أن يثير الدهشة والعجب .. ولكن هذه العادة لم تبد لها ممضة كما بدت اذ ذاك ، فما نبس ببنت شفة ، ولا صدرت عنه اشارة ، ولا اختلج وجهه بشىء ، أو تغير التعبير الذى كانت تفيض به نظراته ، بما ينم عن

انه سمع ما قالت .. وأحست فجأة برغبة فى أن تبكى .. لو أن رجلا أحب زوجته ، وكانت زوجته تحبه ، لقرب بينهما فى مثل هـــذه اللحظة فيض العواطف المنفعلة .. أما هذا الصمت فكان أقوى مما تحتمل ، لذلك بادرت الى خرقه قائلة : « لست أدرى كيف لم يخطر لى من قبل .. لقد كان غباء منى .. ولـكن .. ماذا كان يرتقب منى .. »

فقاطعها : « كم مر من الزمن .. متى تتوقعين الوضع ؟ »

وخيل اليها ان الـكلمات تنبعث من بين شفتيه فى عناء . واحست ان بحلقه مثل مابحلقها من الجفاف .. وضايقها ان راحت شفتاها ترتجفان وهى تتكلم .. كان خليقا بحالها ان تثير شفقته ، مالم يكن قد من صخر .. وقالت : « أظن ان الامر قد بدا منذ شهرين أو ثلاثة »

— وهل انا الاب ؟

وبدرت منها شهقة خافتة .. كان فى صوته ظل طفيف من الارتجاف المنفعل .. كانت هذه السيطرة الباردة على اعصابه فظيعـــة ، جعلت للرجفة العاطفية الضئيلة أثرا قاسيا .. ولم تدر لم تذكرت فجأة آلة عرضت عليها فى هونج كونج ،تجرى عليها ابرة دقيقة ، وقد قيل لها ان الخط المرتجف الذى رسمته الابرة يشى بزلزال وقع على بعد ألف ميل ، وربما أودى بحياة الف شخص .. وتطلعت الى زوجها ، فاذا به شديد الشحوب ، كما لم تره من قبل — اللهم الا مرتين ! — وكان يوجه نظراته الى الارض ، فى انحراف بسيط .. وعاد يسألها :

— ماقولك ؟

فضمت قبضتيهـــا .. كانت تدرك أنهـــا لو قالت « نعم » ، لاشرقت الدنيا وما فيها فى وجهه .. وكانت توقن من انه سوف يصـــدقها .. أجل ، انه على استعداد لان يصـــدقها ، لانه كان يتوق الى ذلك .. ومن ثم فلسوف يصفح عنها .. وكانت تدرك مدى عمق حنـــانه ، ومدى استعداده — رغم خجله — لان يفيض عليها من هذا الحنان .. كانت تدرك أنه ليس توافا للثأر ، وانه لن يلبث أن يغفر لها اذا هى اتاحت له تعلة لذلك ، اذا هيأت له عذرا يحرك قلبه .. ولســـوف يكون صفحه شاملا حتى لتستطيع أن تطمئن الى انه لن يدع ابدا كلمة واحدة عن المـاضى تجـاوز شفتيه .. فانه رغم قســـوته ، وبروده ، واذرائه ، لم يكن قط وضيعا ولا دنيئا .. كان مجرد قولها « نعم » كفيلا بأن يبدل كل شىء !

وكانت فى حاجة ماسة للعطف .. كان علمها بالحمـــل الذى لم يكن متوقعا ، قد جعل الامال الغريبة والرغبات غير الملموسة تتوزعهـــا .. فأحست بضعف ، وبشىء من الخوف ، وبالوحدة والبعد عن أى صديق.. حتى لقد خامرها الشوق فى ذلك الصباح الى أن تكون مع امها ، رغم انها لم تكن تحفل بها كثيرا .. كانت فى حاجة الى عون وتسرية .. ولم تـكن

تحب وولتر ، بل كانت تدرك انها لا يمكن أن تحبه ، ولكنها فى تلك اللحظة تاقت بكل قلبها الى ان يأخذها بين ذراعيه ، حتى تلقى برأســها على صدره ، وتتعلق به ، وتبكى فى هناء ٠٠ كانت تشتهى ان يقبلها ، وتصبو الى ان تعقد ذراعيها حول عنقه ٠٠

وشرعت تنتحب ٠٠ انها كثيرا ماكذبت ، وما أيسر ان تكذب الان ٠٠ وما قيمة أكذوبة واحدة اذا كان من ورائها خير ؟ .. أكذوبة واحدة ٠٠ واى اكذوبة ؟ .. كان من اليسير ان تقول ((نعم)) .. وتمثلت نظرات وولتر تلين ، وذراعيه تمتـدان نحوها ٠٠ ومع ذلك فانها لم تقو على أن تقولها !.. وما كانت تدرى لذلك سببا ٠ كل ماهنالك انها لم تكن تقوى ٠ كان كل ما تعرضت له خلال تلك الاسابيع المريرة : تشـارلى وجحوده .. الـكوليرا وجميع أولئك الذين يلقون حتفهم ٠٠ الراهبات ٠٠ بل ـ وهذا من دواعى العجب ـ حتى ذلك الـ ((وادينجتن)) الضـئيل الجسـم ، الطروب ، السكير ٠٠ كل هؤلاء الاشخاص وهذه العوامل قد غيرتها ، حتى لم تعد تعرف نفسها ٠٠ ومع ان حسها كان مرهفا ، الا ان شيئا فى أعماقها بدا كالمتفرج يرقبها فى جزع ودهشـة .. كانت مسـوقة الى أن تقول الصدق ، اذ لم يبق ثمة شىء يستحق ان تكذب من اجله !٠٠ وراح فكرها يهيم فى شرود عجيب : رأت فجأة ذلك المتسول الميت تحت سور الدار ٠٠ لماذا فكرت فيه ؟٠٠ ولم تبك فى نهنهة ، وانما راحت الدموع تسيل على وجهها من عينيها الواسعتين ، فى سهولة وسخاء .. وأخيرا ، أجابت عن السؤال ٠٠ لقد اسـتفسر عما اذا كان هو اب الجنين ٠٠ فقـالت : ((لست أدرى !))

واطلق شبه ضحكة ساخرة جعلت كيتى ترتعش ٠٠ ثم قال : ((انه موقف حرج ٠٠ أليس كذلك ؟))

كان جوابه يتسق وشخصيته ٠٠ كان عين ما توقعت أن يقول ٠٠ ومع ذلك ، فان قلبها قد غاص فى أعماقهـا .. وعجبت مما اذا كان قد تبين مدى القسوة التى عانتها كى تقول الحق ـ ولو انها قد تبينت فى اللحظة ذاتها أن ليس فى الامر قسوة ، لانه كان أمرا محتوما لا مناص منه ـ ولكن ، هلا ينصفها لذلك ٠٠ وراح ردها يتردد فى رأسها كصوت المطارق : لست أدرى ٠٠ لست ادرى ! ٠٠ لقد غـدا من المستحيل ان تسحب هـذا الرد ٠٠ فأخرجت منديلها من حقيبة يدها ، وراحت تجفف عينيها ٠٠ ولم ينبسا ببنت شفة ٠٠ ملأ لها كوب ماء ، حملها اليها ، وظل ممسكا بهـا حتى شربت .. ولاحظت مدى نحول يده ٠ كانت فى الماضى يدا رقيقة ، بضة ، ذات أصابع رشيقة .. أما الان ، فلم تعد سوى جلد على عظام ٠٠

وكانت اليد ترتجف بعض الشيء ·· كان بوسعه أن يسيطر على خلجات وجهه ، ولكن يده كانت تشي بانفعاله !

وقالت : « لا تأبه لبكائي ·· انه لا شيء في الواقع ·· لا شيء سوى انني لا أملك أن أكبح الدموع عن أن تسيل من عيني »

واذ شربت ، رد الكوب الى مكانها ، وجلس فأشعل سيجارة ، ثم أرسل زفرة خافتة ·· ولم تك قد سمعته يتنهد كذلك سوى مرة أو اثنتين من قبل ، فوخزت زفرته قلبها اشفاقا ·· وكان يوجه بصره نحو النافذة في نظرة جوفاء ، فأخذت تتأمله ·· وأذهلها انها لم تلاحظ من قبل مدى النحول الفظيع الذي أصابه في الاسابيع الاخيرة : فلقد غار صدغاه ، وبرزت عظام وجهه من خلف جلده ، وتهدلت ثيابه عليه ، وكأنها أعدت لشخص أضخم منه ، واصطبغ وجهه الاسمر بشحوب مخضوضر ، وبدا منهوك القوى ·· كان يفرط في العمل ، ولا ينام الا لماما ، ولا يكاد يصيب شيئا من الاكل ·· وفي غمرة أساها وهمها ، وجدت مجالا كي ترثي له ·· كان من القسوة أن تحس انها لا تستطيع أن تفعل من أجله شيئا !

ووضع يده على جبينه وكأن برأسه ألما ، فهجس ببالها ان عبارتها كانت تتردد في رأسه هو الاخر في عنف : لست ادري ·· لست ادري !·· كان من العجيب ان يكون لدى هذا الشخص البارد ، المتعنت ، الخجول ، مثل هذا الشوق الطبيعي الى الاطفال ، فان معظم الرجال لا يحفلون كثيرا ، حتى بأطفالهم ·· ولكن الراهبات تحدثن اكثر من مرة عن شغفه بالاطفال ، وهن متأثرات ، متعجبات ·· واذا كان هذا شعوره نحو اولئك الاطفال الصينيين الغريبي الخلقة ، فماذا يكون شعوره نحو ·· ابنه ؟

وعضت كيتي شفتها لتتفادى البكاء من جديد ·· ونظر هو الى ساعته ثم قال : « أراني مضطرا الى أن أعود الى المدينة ، فان لدي اليوم عملا كثيرا ·· هل أنت بخير ؟ »

ــ آه ·· أجل ·· لاتهتم بي

ــ أرى أنه يحسن بك أن لاتنتظريني هذا المساء ، فقد أتأخر ، وسأحصل من الكولونيل « يو » على أي شيء يؤكل ··

·· ثم نهض مستطردا : « لو كنت في مكانك ما حاولت أن اعمل اليوم شيئا ·· خليق بك أن تهوني من الامر على نفسك ·· هل تبغين شيئا قبل أن أنصرف ؟ »

ــ لا ·· شكرا ·· لسوف اغدو بخير ··

وتوقف برهة وكأنه غير مستقر على أمر ·· ثم ، فجأة ، ودون ان ينظر اليها ، تناول قبعته وغادر الحجرة ·· وسمعته يجتاز ساحة الدار ، فأحست

بوحدة موحشة ٠٠ ولم تعد بها حاجة الى أن تتجلد ، فاستسلمت نفسها لدموعها ٠٠

- ٥٧ -

◆ **كان** هواء الليل راكدا ، مشبعا بالرطوبة ٠٠ وكانت كيتى تجلس الى جوار النافذة تتأمل أسقف المعبد الصينى المعتمة على أضواء النجوم الواهنة ، حين جاء وولتر أخيرا ٠٠ وكانت عيناها متورمتين لفرط البكاء ، ولكنها كانت رابطة الجأش ٠٠ وعلى الرغم من كل ما كان يضنى فكرها ، الا انها بدت فى طمأنينة غريبة ، لعلها كانت وليدة الاعياء والارهاق ٠٠

وقال وولتر وهو يدخل : « ظننتك أويت الى فراشك »

ـ لم أحس بحاجة الى النوم ، فخيل الى اننى سأجد نسمة عليلة فى مجلسى هذا ٠٠ هل وجدت عشاء ؟

ـ كل ما كنت أبغى ٠٠

وراح يذرع الحجرة الطويلة ٠٠ وادركت ان لديه ما يود أن يقوله ٠٠ وكانت تعلم أنه محير ، مرتبك ٠٠ وظلت تنتظر فى غير اكتراث ريثما يجمع عزمه ٠٠ وفجأة ، شرع يقول : **« لقد فكرت فيما أفضيت لى به بعد ظهر اليوم ، فبدا لى أن من الخير أن ترحلى ، وقد تحدثت الى الكولونيل «يو» فى ذلك فاتفقنا على أن يعين لك حراسا يرافقونك ٠٠ وفى وسعك ان تأخذى الوصيفة معك ٠٠ وبذلك تكونين فى امان »**

ـ والى أين ترانى اذهب ؟

ـ الى جوار أمك ٠٠

ـ أتظنها تسر بأن ترانى ٠٠

وأمسك برهة فى تردد ، وكأنما كان يفكر ، ثم قال : « اذن ، فلتذهبى الى هونج كونج »

ـ وماذا أفعل هناك ؟

ـ ستكونين بحاجة الى كثير من العناية والرعاية ، وما أرى من الانصاف أن أسألك البقاء هنا ٠٠

ولم تقو على مغالبة الابتسام ، لا عن مرارة ، وانما عن دهشة حقيقية ٠٠ ورمقته بنظرة وهى توشك أن تضحك ، ثم قالت : «لست أدرى ما الذى يجعلك قلقا بشأن صحتى ! »

فسار الى النافذة ، ووقف يطل على الليل ٠٠ كانت السماء خالية من السحب ، ومع ذلك فلم تكن ترصعها نجوم كثيرة ٠٠ وقال : « ليس هذا بالمكان الملائم لامرأة فى مثل ظروفك »

فتطلعت الى شكله الابيض بالقياس الى الظلام الذى ساد فى الخارج ٠٠ فبدا منظره رهيبا ، ومع ذلك فمن العجيب أنه لم يثر فى نفسها ـ فى تلك اللحظة ـ أى خوف ! ٠٠ وسألته فجأة : « **ألم تكن راغبا فى قتلى حين أصررت على مجيئى الى هنا ؟** »

وانقضى وقت طويل ، حتى خيل اليها انه أعرض عن سماعها ٠٠ ثم أجاب قائلا : « فى بداية الامر »

وسرت فى جسدها رعشة ، اذ كانت هذه اول مرة يعترف فيها بنيته ٠٠ ولكنها لم تحقد عليه لذلك ، بل ان شعورها أذهلها : كان فيه نصيب من الاعجاب ، وقسط ضئيل من العجب .. ولم تدر لم فكرت فجأة فى تشارلى تاونسند ، فبدا لها مأفونا ، وضيعا ٠٠ ثم قالت : « كنت تعرض نفسك لمغامرة رهيبة ٠٠ فانى لأشك ـ لما أعرفه عن ضميرك المرهف ـ فى انك كنت تصفح عن نفسك لو اننى مت ! »

ـ ولكنك لم تموتى ، بل عشت ٠٠

ـ وما شعرت فى حياتى قط بأننى أوفر صحة مما أنا اليـوم !

وهفت بها رغبة الى أن تهيب بما لديه من شفقة ورحمة ٠٠ لقد عانيا ، وهما يعيشان وسط مناظر الفزع والهلاك ، أقسى التجارب ، ورأيا ما تتضاءل الى جانبه زلة الفسق الحمقاء ٠٠ فعندما يقف الموت متربصا ، يحصـد الارواح كما يحصد البستانى ثمار البطاطس ، يغدو من العته أن يحفـل المرء بالتصرفات القذرة التى يعرض لها جسمه هذا الشخص أو ذاك ٠٠ **ليتها تستطيع أن تطلعه على مدى ما تضاءل اليه قدر تشارلى لديها ـ حتى غدت تجد عناء فى ان تتمثل قسمات وجهه فى خيالها ! ـ وان تبين له كيف انجاب حبه تماما عن قلبها !٠٠ ولقد كان من جراء تلاشى شعورها نحو تاونسند ، ان فقدت الزلات العديدة التى ارتكبتها معه كل معناها ومغزاها ، فاستردت قلبها ، ولم يعد لما بذلته من جسدها اتفه الاثر فى كيانها ٠٠ ولكم هفت الى أن تقول لوولتر : « اسمع .. ألا ترى أننا استمرأنا الحماقة زمنا طويلا ؟ ٠٠ لقد تخاصمنا كطفلين ، فلم لا يقبل كل منا الاخر ونغدو صديقين ؟٠٠ ليس ثمـة ما يبرر ان لا نكون على صـداقة لمجرد اننا لسنا متحابين ٠٠ »**

وكان يقف جامدا وقد ضاعف ضوء المصباح من شحوب وجهه الذى بدا كما لو كان من صخر ٠٠ ولم تكن لتطمئن اليـه ، بل كانت تخشى اذا هى أخطأت اختيار كلماتها ، أن ينقلب عليها بصرامته تلك الجليدية ٠٠ كانت قد أصبحت على دراية تامة بحساسيته المرهفة ، التى كانت تخف سخريته اللاذعة لوقايتها ، وكانت تعرف مدى اسراعه الى اغلاق فؤاده اذا ما جـرح شعوره ٠٠ وأحست بالغيظ لحظة ، لهذا الغباء منه ـ فما كان ثمة شك فى أن أقصى ما كان يضيره هو أن تجرح كرامته ـ وتبينت فى ابهام أن ذلك هو أصعب الجراح برءا ٠ ومن المسلم به ان الرجال يعلقـون أهمية كبرى

على اخلاص زوجاتهم ، ولقد توقعت حين زلت لاول مرة مع تشارلى أن تشعر باختلاف ٠٠ أن تشعر بأنها تغيرت وغدت امرأة اخرى ٠٠ ولكنها احست أنها كعهدها بنفسها تماما ٠٠ لم تزدد سوى هناء وحيوية ٠٠

وتمنت لو امكنها أن تقول لوولتر ان الجنين ابنه ٠٠ أن الاكذوبة لم تكن بالشىء الذى يذكر بالنسبة لها ، ولكنها تكون ولا ريب مبعث ارتياح عظيم له ٠٠ ثم انها قد لا تكون ـ فى حقيقة الامر ـ أكذوبة !٠٠ كان عجيبا ذلك الشعور الخفى الذى ثار فى قلبها فمنعها من أن تستغل الشك لصالحها ٠٠ ما أسخف الرجال !٠٠ ان دورهم فى الانجاب غير ذى أهمية ، فالمرأة هى التى تحمل الطفل شهورا طويلة مليئة بالقلق والالم ، ومع ذلك فان الرجل ، لعلاقته العابرة ـ التى لا تستغرق سوى لحظة ـ بهذه العملية ، يزعم لنفسه حقوقا تجاوز المعقول ٠٠ فلماذا يغير هذا من شعوره نحو الطفل ؟

وانتقلت بأفكارها الى الطفل الذى كان لزاما عليها أن تحمله ٠٠ وأخذت تفكر فيه بعاطفة الامومة ، لا بشغف الامومة المشتهاة ، وفى فضول متكاسل متلكىء ٠٠ ريثما خرق وولتر الصمت الطويل قائلا : « أرى انك قد تودين أن تفكرى فى الامر قليلا ! »

ـ أفكر فى أى امر ؟

ـ فى اختيار الموعد الذى تحبين الرحيل فيه

ـ ولكننى لا ابغى الرحيل ٠٠

ـ ولم لا ؟

ـ اننى أحب عملى فى الدير ، اذ اعتقد اننى بذلك أجعل لوجودى نفعا ٠٠ وانى لأوثر أن أبقى الى أطول أمد أستطيعه ٠

ـ اعتقد ان من واجبى ان اخبرك انك فى ظرفك الراهن اكثر تعرضا لان تلتقطى عدوى أى مرض يكون حولك ٠٠

فابتسمت فى سخرية وقالت : « أحب هذا التحايل الذى تخفى وراءه السبب الاصلى الذى تريده مبررا لرحيلى ! »

ـ لعلك لا تبقين من أجلى ؟

فترددت ٠٠ لم يكن ليحدس قط أن الانفعال العاطفى الذى أثاره فى نفسها ، كان آخر ما يمكن أن يتوقع ٠٠ كان اشفاقا ورثاء ! ٠٠ وأجابت أخيرا :

ـ لا ٠٠ فلست تحبنى ، بل ليخيل الى فى كثير من الاحيان اننى اثقل عليك !

ـ ما كنت لاتصور أنك من ذلك النوع من الناس الذى يجود بنفسه من أجل بضع راهبات مملات ، وحفنة من الاطفال الصينيين !

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة وقالت : « لست أرى من الانصـاف ان تزدريني الى هذا الحد لانك اخطأت فى تقديرك يوم اخترتنى زوجة ٠٠ ولم يكن ذنبى انك كنت كالبغل غباء ! »

ـ اذا كنت مصرة على البقاء ، فأنت حرة بالطبع ٠٠

ووجدت أن اصطناع الجد معه امر عسير ٠٠ ومع ذلك فقـد قالت : « يؤسفنى انى لا استطيع أن أتيح لك فرصة تبدى فيها شهامة ٠٠ والواقع انك مصيب ، فلست أمكث من أجل الأيتام فحسب ٠٠ وانما ، انت تعلم أن لى وضعا عجيبا ، اذ ليس لى فى الدنيا من ألوذ به ٠٠ لست اعرف شخصا لا اثقل عليه ان اقمت عنده ٠٠ لست اعرف من يحفل البتة بحيـاتى أو موتى ! »

وقطب جبينه ، ولكن فى غير غضب ، وقال : « لقد أفسدنا كل شيء ٠٠ السنا كذلك ؟ »

ـ أما زلت راغبا فى أن تطلقنى ؟ ٠٠ ما اظننى عدت اكترث لذلك

ـ انك تعرفين ولابد اننى باصطحابك الى هنا قد ابطلت الحجة ٠٠

ـ لم أكن اعرف ٠٠ اننى ـ كما ترى ـ لم أقم بدراسة الخيانة ٠٠ فماذا ترانا فاعلين اذن عندما تغادر هذا المكان ؟ ٠٠ هل سنظل نعيش سويا ؟

ـ أوه ٠٠ ألا ترين أن من الخير أن ندع للمستقبل أمر تدبير نفسه ؟ وكان صوته مثقلا بالضجر الى اقصى درجة

- ٥٨ -

◆ **قصد** وادينجتن بعد يومين او ثلاثة الى الدير حيث التقى بكيتى ـ اذ كان اضطرابها قد حملها على ان تستأنف عملها فورا ـ فصحبها لتتناول كوب الشاى التى وعدها بها مع خليلته ٠٠

وكانت كيتى قد تناولت العشاء فى أكثر من مناسبة ـ فى دار وادينجتن ٠٠ كانت دارا مربعة ، بيضاء ، ذات طابع يميزها عن سواها ، ككافة الدور التى تشيد لموظفى الجمارك فى جميع ارجاء الصين ٠٠ وكانت قاعة المائدة ، حيث تناولوا الطعـام ، وقاعة الاستقبال ـ التى جلسوا فيهـا ـ مؤثثتين برياش أنيقة ، متينة ، تضفى عليهما مظهرا يجمع بين روح المكاتب وجـو الفنادق ، فما كان فيهما ما ينم عن الطابع المنزلى ، حتى ليخيل لمن يدخـل ذلك المنزل وأشباهه أنها لم تكن سوى مجرد أماكن لاقامة عابرة للموظفين المتعاقبين ٠٠ فلا يخطر قط بالبال أن فى طابق علوى منها غموضا متشحا فى غلالة من الحب والخيال !

وصعدا سلما الى طابق ثان ، ففتح وادينجتن بابا نفذت منه كيتى الى حجرة واسعة ، عارية من الاثاث ، ذات جدران بيضاء علقت عليها حصائر نقشت

بمختلف الخطوط الصينية ٠٠ وفى مقعد ثقيل ذى مسندين ، من الخشب الاسود المنقوش ، والى مائدة مربعة من نفس النوع، جلست سليلة « مانشو » ٠٠ حتى اذا دخلت كيتى ووادينجتن ، نهضت ٠٠ ولكنها لم تسع خطوة نحوهما ٠٠ وقال وادينجتن بالانجليزية : « هذه هى » ، ثم أردف ناطقا بضع كلمات باللغة الصينية ٠٠ فصافحت كيتى مضيفتها ٠٠

وبدت هذه فى غلالتها المزركشة السابغة ، نحيلة ، أطول قليلا مما توقعت كيتى على هدى ما ألفت عليه بنات الجنوب ٠٠ وكانت ترتدى فوق الغلالة سترة من الحرير الأخضر الباهت ، ذات كمين يبلغان رسغيها ويحيطان بالساعدين فى احكام ٠٠ وقد علا شعرها المنسق فى ابهة ، غطاء الرأس المألوف لدى نساء « مانشو » ٠٠ اما وجهها ، فكان مكسوا بالمساحيق ، كما غطيت وجنتاها ـ من العينين الى الفم ـ بطبقة كثيفة من الطلاء الاحمر٠٠ وكان حاجباها مندوفين بحيث استحالا الى خط أسود رفيع ، فى حين كان فمها قرمزى اللون ٠٠ وأومضت عيناها السوداوان الواسعتان ، المنحرفتان قليلا ، خلال هذا القناع ، كما لوكانتا بحيرتين من القار المذاب ٠٠ كانت تبدو كتمثال او صنم اكثر منها امرأة ، وكانت حركاتها بطيئة ، متئدة ٠٠ وداخل كيتى شعور بأنها على شىء من الخجل وكثير من الفضول ٠٠ وهزت رأسها مرتين او ثلاثا وهى تنظر الى كيتى بينما كان وادينجتن يتحدث اليها ٠٠ ولاحظت كيتى أن يديها كانتا أطول من المعتاد ، رفيعتين ملفوفتين ، فى لون العاج ، وقد طليت أظافرهما الطويلة ٠٠ وخيل لكيتى أنها لم تر قط أجمل من هاتين اليدين الرشيقتين ، النحيلتين ، اللتين أوحتا اليها بأنهما نتاج عناية امتدت قرونا لا عداد لها ٠٠

وكانت مقلة فى كلامها ، ولكن صوتها كان عاليا ، كتغريد الطيور فى البستان ٠٠ وراح وادينجتن يترجم عباراتها قائلا لكيتى انها قد سرت لرؤيتها، وانها تسألها عن سنها وعن عدد ما أوتيت من ابناء ٠٠ وكانوا يجلسون فى ثلاثة مقاعد مستوية الظهور حول المائدة المربعة ، وما لبث ان حمل خادم اوانى الشاى الاخضر المعطر بالياسمين ٠٠ وقدمت ابنة « مانشو » الى كيتى علبة صفيحية خضراء تضم سجاير من ماركة « القلاع الثلاث » ٠٠ ولم يكن فى الحجرة ـ عدا المائدة والمقاعد ـ سوى القليل من الاثاث : سرير ذو حشية من القش ، عليه وسادة مطرزة ، وبجانبه صندوقان من خشب الصندل ٠٠

وسألته كيتى : « ماذا تراها تفعل بنفسها طيلة يومها ؟ »

ـ انها ترسم احيانا بالألوان ، وتقرض الشعر احيانا أخرى ٠٠ ولكنها تقضى الشطر الاعظم من وقتها جالسة ٠٠ وهى تدخن ، ولكن باعتدال ، وهذا من حسن الحظ لأن من واجباتى ان امنع تداول الافيون ٠٠

فسألته كيتى : « وهل انت تدخن ؟ »

– نادرا ٠٠ أقول لك الحق اننى اوثر الويسكى على كل ما عداه ٠٠

وكانت تشيع فى الغرفة رائحة نفاذة مثيرة ، ليست بالكريهة ، ولكنها غريبة ، قوية ٠٠ وعادت كيتى تقول : « نبئها بأننى آسفة لعدم استطاعتى التحدث اليها ، فانى واثقة من ان لدى كل منا الكثير مما تحب ان تفضى به للأخرى ٠٠ »

واذ ترجم الرجل هذا لابنة « مانشو » ، رمقت كيتى بنظرة سريعة أومضت بلمحة من ابتسام ٠٠ وكان شكلها مهيبا وقد جلست فى ثيابها الجميلة فى غير ما حرج او ارتباك ، بينما اخذت عيناها تطلان – خلال الوجه المخضب – بنظرات حريصة ، متزنة ، غير متعمقة ٠٠ وكانت تبدو « غير حقيقيـــة » ، كأنها صورة ٠٠ ومع ذلك فقد كان لها لطف حير كيتى ، **فما كانت من قبل قد اولت تلك (الصين) التى القت بها المقادير فيها ، سوى اهتمام سطحى عابر ٠٠ اما الآن ، فقد فطنت فجأة الى شعور جعلها تحس بشىء من القـــدم والغموض فى الجو المحيط بها ٠٠ هنا كان الشرق ، بخلوده ، وغموضه ، وظلماته ٠٠ التى كانت معتقدات الغرب ومثله ومذاهبه تبدو فجة بجوارها ٠**



وخيل لكيتى انها تلمح ومضة من معتقدات الشرق ومثله فى اعماق المتبرجة التى كانت تجلس امامها ٠٠ هنا كانت حياة غير التى ألفتها ، فى كوكب غير الذى عاشت عليه ٠٠ وأحست كيتى بأن مرأى هذا الصنم بوجهه المخضب، وعينيه المنحرفتين اليقظتين ، يجعل مشاق العالم الذى عهدته وآلامه التى خبرتها مجرد سفاسف تافهة ٠٠ ولاح كأنما كان ذلك القناع الملون يخفى وراءه سر خبرة وافرة ، عميقة زاخرة بالمعانى ٠٠ وكأنما كانت اليدان البضتان بأصابعهما الملفوفة الطويلة المتناسقة ، تمسكان بمفتاح احاج وألغاز لا سبيل الى التكهن بكنهها ٠٠

وتساءلت كيتى : « ما الذى تفكر فيه هذه المرأة طيلة النهار ؟ »

فأجاب وادينجتن مبتسما : « لا شىء »

ـ انها رائعة ٠٠ قل لها أننى لم أر مثل يديها الجميلتين أبدا ٠٠ ترى ما الذى يعجبها فيك ؟

وترجم وادينجتن السؤال مبتسما ، ثم ترجم الجواب قائلا : « تقول اننى



طيب » ٠٠ فعلقت كيتى ساخرة : « كأنما بين النساء من تحب رجلا لفضيلته واستقامته ! »

« تضحك « المانشوية » سوى مرة واحدة ، وذلك حين اعربت كيتى سعيا منها الى وصل حبل الحديث - عن اعجابها بسوار من حجر اليشم كانت المرأة تلبسه ، فبادرت الى خلعه وحاولت كيتى ان تلبسه ولكنها تبينت انه لا يتجاوز رسغيها رغم صغر يديها ! ٠٠ اذ ذاك طفقت صاحبته تضحك كالطفل وقالت لوادينجتن شيئا ، ثم نادت وصيفة واصدرت اليها امرا ، واذا بالوصيفة تعود بعد لحظة حاملة زوجا من الاحذية رائع الحسن ٠٠ وقال وادينجتن : « انهاتود أن تهديك هذين اذا استطعت لبسهما ، ولسوف تجدين انهما يصلحان كنعلين لغرفة النوم ٠٠ »

فقالت كيتى فى رضى : « انهما يلائماننى كل الملاءمة »

بيد انها لاحظت بسمة وقحة تطوف بوجه وادينجتن ٠٠ فسألته : « هل هما كبيران بالنسبة لها ؟ »

- انهما اكبر من قدميها بمراحل ٠٠

وضحكت كيتى ٠٠ واذ ترجم وادينجتن ما دار ، ضحكت صـاحبته والوصيفة بدورهما ٠٠ **وعندما سارت كيتى ووادينجتن - بعد ذلك بقليل - يصعدان التل ، التفتت اليه مبتسمة وسألته : - « انك لم تنبئنى بأنك تكن لها حبا عظيما ٠٠ ! »**

- وما الذى يحملك على ان تظنى اننى اكن لها ذلك الحب ؟

- قرأته فى عينيك ٠٠ وانه لغريب ٠٠ كأنما هو حب موجه الى طيف ٠٠ او الى حلم ٠٠ حقا ان من العسير الحكم على الرجال ٠٠ فلقد ظننتك فى البداية كغيرك ، ولكنى ، أشعر الآن باننى لا أدرى أبسط الأمور عنك ! »

وسألها وادينجتن فى اقتضاب مباغت اذ بلغا دارها : « لماذا رغبت فى ان تريها ؟ »

وترددت كيتى لحظة قبل ان تجيب قائلة : « اننى أبحث عن شىء لا اكاد أدرى كنهه ، بيد اننى أحس بأن من المهم لى ان اعرفه ٠٠ فاذا ما عرفته ، فسيغير ذلك كل شىء ٠٠ ربما كانت الراهبات يعرفنه ، فاننى أشعر حين اكون معهن بأنهن يكتمن سرا لا يردن ان يشركننى فيه ٠٠ ولست أدرى لم خطر ببالى أننى لو رأيت ابنة مانشو فقد ألمح قبسا مما أبحث عنه ٠٠ أو لعلها تخبرنى عن السر لو كان ذلك بوسعها !

- وما الذى حملك على ان تظنى انها تعرفه ؟

ورمقته كيتى بنظرة من ركن عينها ، لكنها لم تجب ٠٠ بل سألته بدورها : « هل تعرفه انت ؟ »

فابتسم وهز كتفيه قائلا : « انه عبادة الطبيعة !٠٠ بعضنا يبحث عن الطريق اليها فى « الافيون » ، وبعضنا يفتش عنها فى الله ٠٠ وبعضنا فى الويسكى ٠٠ وبعضنا فى الحب ٠٠ لكن الطريق اليها فى أى الحالات ٠٠ لا تقود الى شىء ! »

- ٥٩ -

◆ **اندمجت** كيتى مرة أخرى فى عملها مرتاحة الى تواتره الرتيب ، ومع انها كانت تشعر فى باكورة كل صباح بشىء من التوعك ، الا انه كان فى نفسها من الانتعاش ما يمكنها من ان تحول دون تسلط هذا التوعك عليها ٠٠ وادهشها ما كانت الراهبات يبدينه من اهتمام بها ٠٠ بل ان منهن أخوات كن فى الماضى ـ اذا رأتهن فى الردهة ـ لا يزدن على أن يحيينها ، فأصبحن الآن ينتحلن الاعذار ليفدن الى الحجرة التى كانت تعمل فيها ، ويثرثرن معها فى انفعال مستعذب كما لو كن طفلات ٠٠ وكانت الأخت سان جوزيف لا تفتأ تخبرها فى تكرار كاد يصبح مملا ، كيف انها ظلت اياما تقول لنفسها : « ترى هل هى حامل ؟ » ٠٠ او « لا عجب ان كانت كذلك » ٠٠ حتى اذا اغمى على كيتى ، هتفت : « لا مجال الآن للشك ، فالأمر واضح لكل ذى عينين » ٠٠ وأخذت تروى لها القصص الطوال عن المرات التى انجبت فيها زوجة اخيها اطفالا ، وكانت قصصا كفيلة بأن تبعث شيئا من الذعر فى نفس كيتى لولا ما اوتيت من روح مرحة ٠٠ وكانت الاخت سان جوزيف تجمع بأسلوب عذب بين وقائع نشأتها ـ حيث كان ثمة نهر يتخلل مروج مزرعة أبيها ، وعلى ضفته أشجار الحور ترتجف تحت أرق النسمات ـ وبين ألفة حبيبة بأمور الدين ٠ ولقد أخذت يوما تحدث كيتى عن «البشرى» ـ بمولد المسيح ـ وهى مؤمنة بأن « كافرة » مثلها ـ فالبروتستانت مارقون فى نظر الكاثوليك ! ـ لا يمكن أن تكون على دراية بمثل هذه الشئون ٠٠ فمضت تقول :

ـ اننى لا استطيع ان اقرأ هذه السطور فى الكتاب المقدس دون ان ابكى ٠٠ ولست أدرى لذلك سببا ، لكنه يبعث فى نفسى شعورا غريبا ٠٠

ثم انطلقت تردد بالفرنسية ، وبلهجة بدت لكيتى غير مألوفة ، وفى دقتها شىء من الفتور والجمود ، هذه الآية من الانجيل : « وجاءها الملاك وقال : ابشرى أيتها المجيدة ، فالله معك ٠٠ مباركة أنت بين النساء »

أجل ، كانت معجزة الميلاد تهب فى الدير كريح قوية تعبث بالبراعم البيضاء فى بستان ٠٠ ولقد اقلق اولئك العقيمات واثارهن التفكير فى ان كيتى تحمل فى احشائها طفلا ، فأصبحت تزعجهن قليلا ، وتفتنهن ٠٠

واخذن ينظرن الى الناحية البدنية من حالتها بادراك « خشن » غير مرهف ، اذ كن ينحدرن من اصلاب فلاحين وصيادى سمك ٠٠ ولكن قلوبهن الساذجة كانت تنطوى على تهيب ٠٠ كان يقلقهن التفكير فى حملها ، ومع ذلك فقد كان يبعث فيهن انفعالا سعيدا وغريبا ٠٠ وأنبأتها الأخت سان جوزيف بأنهن كن جميعا يصلين من اجلها ٠٠ ولقد رثت الأخت ســـان مارتان لها لأنها غير كاثوليكية ، ولكن الام الرئيسة أنبتها لهذا ، وقالت ان من الممكن للمرأة ان تكون طيبة ولو كانت بروتستانتية ، وان الله الرحيم كفيل بأن يدبر ذلك وفق ما يرى ٠٠

وكانت كيتى تشعر بتأثر وسلوى لما اثارته من اهتمام ، ولكنها دهشت الى ابعد حدود الدهشة حين تبينت ان الأم الرئيسة كانت ـ رغم الجمود الذى تطبعها به مكانتها الدينية ـ تعاملها ببشاشة جديدة عليها ٠٠ فلقد كانت فى الماضى لطيفة ازاء كيتى ، ولكن لطفها كان يصدر فى اسلوب جامد ، اما الآن فقد أخذت تغمرها بحنان فيه شىء من الأمومة٠٠ واكتسب صوتها نبرة جديدة، رقيقة ، وأفعمت عيناها دعابة طارئة ، كما لوكانت كيتى طفلة اتت عملا ينم عن مهارة ويبعث على السرور ٠٠ وكان هذا يؤثر فى نفسها بشكل غريب ، فاذا نفسها تغدو كبحر هادىء ينساب فى جلال ، وفى اتساعه المبهـــم رهبة ومهابة ، ثم اذا بشعاع من الشمس يسقط عليه فيثير فيه يقظة ويحيـــله ودودا مرحا ٠٠ وكثيرا ما اصبحت توافى كيتى حوالى الغروب فتجلس اليها ، وهى تحاول أن تنتحل لنفسها عذرا واضحا ٠٠ وقد قالت لها مرة : «يجب أن احرص على ان لا تتعبى نفسك ياصغيرتى ، والا فلن يغفر لى الدكتور فين ٠٠ آه من اولئك البريطانيين الذين يجيدون السيطرة على انفسهم ! ٠٠ فها هو ذا مبتهج بدرجة تفوق كل حد ، ومع ذلك فانك اذا كلمته عن هذا الامر انقلب شاحبا ٠٠ »

وتناولت يد كيتى تربتها فى عطف وهى تواصل الحديث قائلة : « لقد اخبرنى الدكتور فين بأنه رغب فى ان ترحلى عن هنا ، ولكنك ابيت لأنك لا تطيقين انتفارقينا ٠٠ ولقد كان هذا كرما منك يا ابنتى ، وأحب ان تعرفى اننا نقدر العون الذى تبذلينه لنا ٠٠ بيد اننى أظنك لم تكونى راغبة فى ان تفارقيه هو الآخر ، وهذا افضل ، لأن مكانك دائما الى جواره ، وهو فى حاجة اليك ٠٠ آه ، لست أدرى ما الذى كنا نفعله بدون هذا الرجل الرائع ٠٠ »

فقالت كيتى : « اننى أغتبط اذ أرى أنه كان قادرا على أن يؤدى لـكن خدمة ٠٠ »

ـ يجب ان تحبيه بكل قلبك يا عزيزتى ٠٠ فهو قديس

وابتسمت كيتى ، وان تنهدت فى اعماقها ! ٠٠ لم يعد فى وسعها ان

تفعل من اجل وولتر سوى امر واحد ، ولم تكن تدرى كيف تفعله ٠٠ كانت تبغى ان يصفح عنها ، لا من اجلها ، وانما من اجل نفسه ، اذ احست ان هذا وحده كفيل بأن يريح باله ويبعث فى نفسه السكينة ٠٠ وكان من العبث ان تسأله الصفح ، وحتى اذا احس بأنها تشتهى هذا الصفح لخيره اكثر منه لخيرها ، فان كرامته العنيدة ستحمله على الرفض ، مهما كبده ذلك ٠٠ ومن العجيب ان كبرياءه لم تعد تثير اعصابها ، بل انها بدت طبيعية فلم تزدها الا أسفا من اجله ٠٠ وكانت الفرصة الوحيدة تلوح فى ان يقع حادث غير مرتقب يضطره الى ان يتخلى عن حذره ٠٠ وكان يجول بخاطرها انه قد يرحب بفورة عاطفية جياشة تحرره من كابوس الغيظ والاستياء الجاثم عليه ، ولكنه فى جهالته العاطفية ما كان ليتورع عن مقاومة هذه الفورة ـ اذا واتته ـ بكل قواه !

أفلم يكن مما يدعو الى الرثاء ، ان يعذب بنو الانسان أنفسهم على هذه الصورة ، خلال العمر القصير الذى يقضونه فى دنيا مليئة بالألم ؟

- ٦٠ -

◆ **على الرغم** من ان الأم الرئيسة لم تتحدث الى كيتى اكثر من ثلاث مرات أو أربع ، وأن الحديث لم يطل مرة أو اثنتين منها ، لأكثر من عشر دقائق ، الا أنها استطاعت أن تحدث أعمق الاثر فى نفس كيتى ٠٠ كانت شخصية الأم الرئيسة كبلد يبدو لأول وهلة مترامى الاطراف ، ضنينا بالحفاوة ، ولكنك لا تلبث أن تكتشف فيه قرى باسمة بين أشجار الفاكهة فى ثنايا الجبال الشاهقة ، وانهارا تنساب فى ترقرق بهيج خلال المروج اليانعة ٠٠ غير ان هذه المناظر وان راقت لك ، واثارت اعجابك ، بل وان بعثت فى نفسك السكينة ، لا تجعلك تشعر بأنك فى وطنك ، فى تلك البلاد ذات المرتفعات الشامخة والفضاء الشاسع ٠٠

كذلك كان من المستحيل على كيتى ان تشعر بألفة سابغة نحو الأم الرئيسة ، اذ كان يحيط بها ذلك الشىء المبهم الذى كانت تحس به محيطا بالراهبات الاخريات ـ حتى الأخت سان جوزيف الطروب الثرثارة ـ ولكنه فى حالة الام الرئيسة كان يقوم كحاجز لا سبيل الى اجتيازه تقريبا ٠٠ كان يبعث فى نفسك شعورا غريبا ، يثير فى الاعماق قشعريرة ، ويوحى بالرهبة والمهابة ، ويصور لك انها وان كانت تسير على الارض التى تسير أنت عليها ، وتعنى بالشئون الدنيوية ، الا أنها تعيش فى الواقع فى كوكب ليس لك من سبيل للوصول اليه !

ولقد قالت لكيتى مرة : « ليس بكاف لمن وهبت نفسها للدين أن تؤدى

الصلوات فى مواعيدها ، بل ان تكون حياتها صـلاة دائمة بلا انقطـاع » ٠٠ ومع أن حديث الرئيسة كان يدور دائما حول الدين ، الا أن كيتى أحست بأن هذا الاتجاه يأتى بالسليقة ، دون ما جهد من جانبها للتأثير عليها ٠٠ حتى لقد بدا لها من الغريب ان تقنع الأم الرئيسة ــ وهى التى طبعت على الخير ــ بأن تترك كيتى سادرة فيما كانت هى ولا بد تعتبره جهلا خاطئـا ، أو ضلالا ٠٠ !

وجلستا معا ذات مساء ٠٠ وكان النهار قد بدأ يجنح الى القصر ، وضوء الغروب الخافت يبعث فى النفس راحة وسجى٠٠وبدت الام الرئيسة جد متعبة، وقد ابيض وجهها الآسى وتراخت عضلاته ، وفقدت عيناها الداكنتان البديعتان بريقهما النارى ٠٠ ولعل التعب مال بها الى ان تبدى قدرا من الثقة نادرا بالنسبة اليها ، فاذا بها تقول بعد طول تأمل وتفكير :

ــ هذا يوم من ايامى التاريخية يا ابنتى ، لأنه الذكرى السنوية لليوم الذى عقدت فيه العزم نهائيا على ان اهب نفسى للدين٠٠ كنت قد قضيت عامين افكر فى الأمر ، بيد اننى كنت اعانى نوعا من الخوف ، اذ كنت ارهب ان يعاودنى الميل الى الدنيا ٠٠ على اننى حين حضرت القداس فى ذلك الصباح ، اقسمت ان لا يحل المساء حتى اكون قد صارحت امى العـزيزة برغبتى ٠٠ وبعد ان « تناولت » الخبز المقدس ، سألت الله ان ينزل السكينة على نفسى ٠٠ وخيل الى أنه أجابنى قائلا : « لن تنالى السكينة الا اذا كففت عن الرغبة فيها٠٠! »

ولاح ان الأم الرئيسة قد تاهت فى ذكريات الماضى ، وهى تستطرد : « فى ذلك اليوم ، كانت احدى صديقاتنا ــ مدام دوفييرنو ــ قد رحلت الى دير « الكرمل » دون ان تخطر أحدا من اقاربها ، اذ كانت تعرف انهـم يعارضون اقدامها على هذه الخطوة ٠٠ غير انها كانت ارملة ، فكانت لذلك تملك الحق فى أن تفعل ما يحلو لها ٠٠ وكانت احدى بنات عمى قد ذهبت تودع الهاربة العزيزة ، فلما عادت فى المساء كانت شديدة التأثر ٠٠ ولم اكن قد فاتحت امى فيما شغل خاطرى ، بل كنت أرتجف لمجـرد التفكير فى اخبارها ، ومع ذلك فقد كنت راغبة فى ان أفى بما عاهدت الله عليه اثناء القداس ، فرحت أوجه لابنة عمى كل نوع من الاسئلة ٠٠ ولم تفت امى ــ التى كانت تبدو منشغلة فى نسج سجادة كانت عاكفة عليها ــ كلمة مما تبادلنا ٠٠ وكنت لا افتأ اقول لنفسى اثناء الكلام : ليست امامى دقيقة أضيعها اذا شئت ان أفاتحها اليوم ٠٠

« لشد ما اعجب اذ اذكر المنظر الآن بجلاء ٠٠ كنا نجلس حول المائدة ٠٠ مائدة مستديرة ، مكسوة بغطاء احمر ، وكنا نشتغل على ضوء مصـباح ذى مظلة خضراء ٠٠ وكانت ابنتا عمى تقيمان معنا ، وقد انهمكنا جميعا فى نسج

قماش كالسجاد كى نعيد كساء مقاعد قاعة الجلوس ٠٠ تصورى أن كساءها لم يكن قد جدد منذ أيام لويس الرابع عشر ، حين اشترى لأول مرة ٠٠ ومن ثم غدا باهت اللون كالحا ، فكانت أمى تقول أنه مبعث للخجل ٠٠

« وحاولت ان انطق بالكلمات ، ولكن شفتى أبتا ان تتحركا ٠٠ ثم ، وفجأة ، قالت لى امى بعد بضع دقـــائق من الصمت : « اننى فى الواقع لا استطيع ان افقه سر تصرف صديقتكن ، فلست أحب هذا الرحيل دون ما كلمة لكل هؤلاء الذين ينزلونها أعز منزلة فى قلوبهم ٠٠ انه تصرف مسرحى يبدو لذوقى نابيا ، فان المرأة الطيبة المنبت والتربية لا تقدم على شىء يثير كلام الناس ٠٠ وانى لآمل اذا ما خطر لك يوما ان تسببى لنا اعظـــم الأسى برحيلك ، ان لا تعمدى الى الفرار كما لو كنت تأتين جرما ! »

« وكانت تلك خير لحظة ملائمة لى كى اتكلم ، لكنى كنت من الضعف بحيث لم استطع سوى ان اقول : « آه ٠٠ طيبى بالا يا اماه ، فما أظننى اقوى على ذلك الفرار ! » ٠٠ ولم تجب أمى ، بينما تولانى الندم لاننى لم اجرؤ على ان اجهر بما فى نفسى ٠٠ وخيل الى اننى اسمع كلمات الرب الى القـديس بطرس : « يا بطرس ، ألست تحبنى ؟ » ٠٠ أواه ! ٠٠ لشـد ما كان ضعفى وجحـــودى ! ٠٠ كنت أحب الراحة التى كنت أنعم بهـا ، والحياة التى كنت احياها ، واسرتى ، واسباب لهوى ومسرتى ٠٠ وفيما كنت غارقة فى مثل هذا التفكير المرير ، قالت امى ـ بعد هنيهة ـ كأنما لم يكن حبل الكلام قد انقطع : « ومع ذلك يا أوديت ، فما أظنك ستموتين دون ان تقدمى على عمل يترك اثرا باقيا ٠٠ »

« وكنت أتخبط بين لهفتى وافكارى ، بينما مضت ابنتا عمى فى عملهما فى سكون ، لا تدريان ما كان يخفق به قلبى ٠٠ وفجـــأة تركت امى النسيج يهوى من يديها ، وتطلعت الى فى اهتمام وهى تقول : « اه يا طفلتى الحبيبة ٠٠ اننى لواثقة من أنك ستنتهين الى الرهبنة ٠٠ »

« فأجبتها : « أجادة أنت فيما تقولين يا أمى الطيبة ؟ ٠٠ انك بكلماتك تكشفين عن أعمق فكرة ورغبة فى فؤادى » ٠٠ وصاحت ابنتا عمى دون أن تدعا لى مجالا لاتمام حديثى : « أجل ٠٠ لقد انقضى على أوديت عامان لم تفكر خلالهما فى شىء آخر ، ولكنك لن تسمحى لها يا امرأة العم ٠٠ يجب أن لا تسمحى لها »٠٠ فقالت امى : « ولماذا نرفض ياطفلتى العزيزتين اذا كانت هذه ارادة الله ؟ »

« وكأنما أرادت ابنتا عمى أن تحولا مجرى الحديث ، فراحتا تسألاننى عما اعتزمت ان افعل بالتوافه التى كنت امتلكها ، واخذتا تتشادان ـ فى مرح ـ على من منهما تستولى على هذا ، ومن منهما تستـــولى على ذاك ٠٠ بيد أن

هذا المرح لم يدم سوى فترة قصيرة جدا ، ثم انخرطنا فى البكاء .. وما لبثنا ان سمعنا وقع قدمى ابى وهو يصعد السلم »

وأمسكت الأم الرئيسة لحظة عن الكلام ، لترسل زفرة من صدرها ، ثم استطردت : « وكان النبأ شديد الوقع على ابى ، فقد كنت ابنته الوحيدة ، والرجال عادة يكنون لبناتهم شعورا اعمق مما يكنون لأبنائهم .. »

فقالت كيتى مبتسمة : « من نكد الحظ ان يكون للمرء قلب »

ـ ومن حسن الحظ ان يكرس المرء هذا القلب لحب المسيح ..

وفى تلك اللحظة أقبلت صبية على الأم الرئيسة ، وأرتها لعبـــة طريفة وقعت فى يدها ، وهى مطمئنة الى اهتمامها .. فوضعت الأم الرئيسة يدها الرخصة الجميلة على كتف الصبية ، فاستكانت هذه لها .. وخفقت مشاعر كيتى وهى تلمح الابتسامة الحلوة التى ارتسمت على وجه الأم الرئيسة ، والتى كانت ـ مع ذلك ـ مجردة من الشعور الدنيوى بالذات .. فقالت : « من الرائع حقا أن يشهد المرء ما يكنه لك ايتامك من حب فياض .. وأعتقد اننى ازهو فخرا لو استطعت ان اثير فى نفس احد مثل هـــذا الولاء الضافى ! »

وابتسمت الأم الرئيسة ابتسامتها الجميلة « اللادنيوية » مرة أخرى ، وقالت : « ليس ثمة سوى طريق واحد لكسب القلوب ، وذلك بأن يجعل المرء نفسه على غرار اولئك الذين يحبونه .. »

- ٦١ -

◆ **لم** يعد وولتر فى ذلك المساء الى الدار لتناول العشاء ، فانتظرته كيتى لفترة وجيزة ـ اذ انه كان يحرص دائما على ان يرسل اليها يخطرها اذا اضطر الى التأخر فى المدينة ـ لكنها جلست أخيرا الى المائدة ، فلم تصب سوى نذر يسير جدا مما حوته الاطباق العديدة التى قدمها لها الطاهى الصينى فى سخاء ، غير مراع انتشار الوباء وصعوبة الحصـــول على المؤن .. ثم استلقت فى مقعدها الخيزرانى بجانب النافذة المفتوحة ، واسلمت نفسها لجمال الليل الذى رصعت النجوم سماءه ، وقد أحست للصمت طمأنينـــة وسكينة ..

ولم تحاول ان تقرأ .. فقد طفت افكارها على سطح ذهنها كسحابات بيضاء صغيرة انعكست على سطح بحيرة ساكنة .. وكانت من التعب بحيث لم تحاول أن تتشبث باحدى هذه الافكار وتتمشى معها ، وتستغرق فيما يتفرع عنها .. وانما راحت تجوس على غير هدى فيما كان بنفسها من آثار خلفتها أحاديث الراهبات .. كان من الغريب أن مذهبهن لم يحرك فيها أى شعور ،

وان كانت الحياة التى يحيينها قد مست شغاف قلبها . وما كان ليخطر ببالها اى احتمال فى ان ياسرها الايمان بمذهبهن يوما .. وتنهدت وهى تحس بأن هذا الضوء الابيض المنبثق اذا فاض على نفسها قد يهون كل شىء عليها .. ولقد تولتها الرغبة مرة او مرتين فى ان تفضى للأم الرئيسة بشقوتها وسر تعاستها ، ولكنها لم تجسر ، فما كانت لتحتمل ان يسوء رأى تلك المرأة الجليلة فيها ، فان ما فعلته سيبدو لها بطبيعته ذنبا لا يغتفر.. وكان اغرب ما فى الأمر انها هى لم تكن ترى فيه اثما بقدر ما كانت تراه غباء وبشاعة !

وكان فى أعماقها هاجس يهمس لها بصوت مختنق بما يجعلها تنظر الى علاقتها مع « تاونسند » كحادث يدعو للأسف ، بل للفزع ، لكن نسيانه أجدى من الندم ! كان مثله كمثل ارتكاب هفوة فى حفلة ، فليس ثمة ما يفعل ازاء الخطأ .. قد يكون فظيعا ، وقد يكون مكدرا ، ولكن من قلة الادراك ونقص العقل أن يوليه المرء أهمية أكثر مما ينبغى ..

وارتجفت اذ فكرت فى تشارلى بجسمه الملىء المعتنى بملبسه ، وشكل فكه غير الواضح ، وطريقته فى الوقوف وقد أبرز صدره كى لا يبدو تكرش بطنه ! .. وكان طبعه الدموى ينم عن نفسه بتلك العروق الحمراء الرفيعة التى سرعان ما تتبدى على خديه المتوردين كأنها الشبكة .. ولقد كانت تحب حاجبيه الكثيفين .. كان يتراءى لها فيهما طابع حيوانى مثير !

والمستقبل ؟ .. كان من الغريب ان التفكير فى هذا المستقبل لم يكن يثير فيها اى انفعال أو فضول ، فلم تستطع ان تنفذ الى اعماقه .. من يدرى ، ربما ماتت وهى تضع الطفل – فلقد كانت شقيقتها دوريس اقوى منها بكثير ، ومع ذلك فانها كادت تقضى أثناء الوضع – وابتسمت كيتى وهى تفكر فى ارتياح امها اذ قامت دوريس بواجبها فأنجبت وريثا للقب الذى ناله زوجها حديثا ! .. وخطر لها : لئن كان المستقبل مبهما بهذا الشكل ، فليس لهذا سوى معنى واحد : لعله من غير المقدر لها ان ترى هـــذا المستقبل ! ومن المحتمل اذ ذاك ان يسأل وولتر امها ان ترعى الطفل ، اذا عاش .. وكانت كيتى تدرك ادراكا يصل بها الى حد التأكد ، ان وولتر برغم عدم اطمئنانه الى أبوة الطفل ، لن يحجم عن معاملته فى كرم – فقد كان من الممكن دائما الاطمئنان الى حسن مسلك وولتر وتصرفه مهما كانت الظروف ! – حقا انه لما يرثى له أنها لا تستطيع أن تحبه ، رغم صفاته المهذبة ، وبعده عن الانانية ، وشرفه ، وذكائه ، واحساسه ! .. انهـا لم تعد تشعر بأقل خوف منه ، وانما كانت تحس بالأسف من أجله ، وان كانت لا تملك – فى الوقت نفسه – الا أن ترى أنه سخيف بعض الشىء .. كان عمق انفعالاته العاطفية يوهن من صلابته ، حتى لقد داخلها شعور بأنها تستطيع يوما ما ،

وبطريقة ما ، أن تحتال عليه حتى تحمله على الصفح عنها ! ٠٠ ولقد راحت هذه الفكرة تلح عليها ، موحية اليها بأنها بذلك انما تهبه التعويض الممكن الوحيد عما سببته له من أسى ، فان زوال دواعى الشجون كفيل بأن يريح باله ٠٠ ومع أنه كان من دواعى الرثاء ان يكون تذوقه للفكاهة ضئيلا ، فقد خيل اليها أن سيأتى يوم يضحكان فيه معا من تلك الطريقة التى عذبا بها نفسيهما ٠٠

وبرح بها التعب ، فحملت المصباح الى غرفتها ، ونضت عنها ثيابها ، ثم اندست فى الفراش ٠٠ وسرعان ما استغرقت فى النعاس

- ٦٢ -

◆ **بيد** انها أوقظت على دوى طرقات عالية ، لم تستوثق من انها طرقات حقيقية ، اذ كانت مندمجة فى الحلم الذى انتزعت منه ٠٠ غير ان الطرقات استمرت ، وفطنت الى انها ولا بد تنهال على باب السياج الخارجى ٠٠ وكان الظلام دامسا ، لكن عقربى ساعتها كانا مطليين بالفسفور ، فاستطاعت ان ترى انهما يشيران الى الثانية والنصف صباحا ٠٠ وتوقعت ان يكون وولتر هو القادم ، وانه عجز عن ايقاظ الخادم ، فهمست لنفسها : لشد ما تأخر فى الخارج !

وتوالت الطرقات ، مطردة فى ارتفاعها ، وقد بدت فى سكون الليل مفزعة رهيبة ٠٠ ثم توقف الطرق ، وسمعت صوت المزلاج الثقيل يزاح عن مكانه ٠٠ ان وولتر لم يعتد ان يتأخر فى العودة الى هذا الوقت ٠٠ يا له من مسكين ! ٠٠ لا بد انه مرهق ! ٠٠ وتمنت لو ان عقله ألهمه أن يأوى مباشرة الى سريره بدلا من ان يعمل كعادته فى معمله الخاص بالبيت !

وسمعت اصواتا ، واناسا يلجون ساحة الدار ٠٠ وكان هذا غريبا ، فان وولتر ألف ـ اذا عاد الى البيت متأخرا ـ ان يتجشم العناء ليتسلل فى هدوء كى لا يزعجها ٠٠ وهرع شخصان او ثلاثة يصعدون السلم الخشبى فى حركة خفيفة سريعة ٠٠ حتى وصلوا الى الغرفة المجاورة ٠ وأحست كيتى بشىء من الخوف ، فلقد كان يكمن فى ذهنها دائما الخوف من حدوث ثورة ضد الأجانب ٠٠ ترى هل حدث شىء من هذا ؟ وراح قلبها يخفق فى سرعة ، وقبل ان تجد وقتا لتحدد معالم افكارها المبهمة ، اجتاز شخص ما الغرفة المجاورة ، وطرق بابها هاتفا : « مسز فين »

وعرفت فى الصوت صوت وادينجتن ، فتساءلت : « نعم ٠٠ ماذا هناك ؟ »

ـ ارجو ان تنهضى فورا ، فانني احمل اليك نبأ ٠٠

ونهضت فارتدت ثوبا ، وفتحت الباب ٠٠ فوقع بصرها على « وادينجتن » فى سروال صينى وسترة ، وكان خادم الدار يحمل مصباحا متوهجا من مصابيح الزيت « كلوب » ٠٠ وعلى مسافة ، وقف ثلاثة من الجنود الصينيين فى زيهم العسكرى ! ٠٠ وذعرت كيتى اذ رأت التجهم يعلو وجه وادينجتن ، وكان شعره مشعثا كأنه هز من سريره لفوره ٠٠

وشهقت متسائلة : « ماذا جرى ؟ »

- يجب ان تحتفظى بهدوئك ، اذ ينبغى الا نضيع لحظة واحدة ٠٠ ارتدى ثيابك سريعا وتعالى معى ٠٠

- ولكن ، ماذا هناك ؟ ٠٠ هل حدث شىء فى المدينة ؟

كان مرأى الجنود قد أوحى اليها لأول وهلة بأن ثمة ثورة ، وانهم جاءوا لحمايتها ٠٠ ولكن وادينجتن قال : « لقد سقط زوجك مريضا ، ونريدك ان تأتى فى الحال »

فصرخت : « وولتر ؟ »

- لا تنزعجى ٠٠ لست ادرى حقيقة الامر تماما ، فقد أوفد « الكولونيل يو » هذا الضابط الى يسألنى ان ارافقك فورا الى الثكنات ٠٠

وحملقت كيتى لحظة وقد سرى فى قلبها برود مفاجىء ، ثم تحولت وقالت : « سأكون متأهبة بعد دقيقتين » ٠٠ فأردف : « لقد جئت كما كنت ٠٠ كنت نائما ولم أجد وقتا لأكثر من ارتداء السترة والحذاءين ٠٠ » ولم تسمع ما قال ٠٠ وارتدت اول ثياب وقعت فى يدها ، على ضوء النجوم ٠٠ وبدت أصابعها فجأة ثقيلة الحركة ، حتى لقد خيل اليها ان دهرا قد انقضى قبل ان تعثر على « الكبسولتين » الصغيرتين اللتين تضمان فتحة ثوبها حول قفاها ٠٠ ثم طرحت على كتفيها الشال الصينى الذى كانت ترتديه فى المساء ، وقالت اذ فرغت : « لم أرتد قبعة ، فما أظن بى حاجة اليها ٠٠ اليس كذلك ؟ »

فأجاب وادينجتن : « بلى » ٠٠ وتقدم الخادم رافعا المصباح ، فاسرعا فى اثره يغادران الدار ٠٠ وقال وادينجتن : « حذار من ان تسقطى ٠٠ خليق بك ان تستندى الى ذراعى »

وسار الجنود خلفهما مباشرة ، واردف وادينجتن : « لقد ارسل الكولونيل « يو » محفتين فى انتظارنا على الضفة الاخرى للنهر » ٠٠ ثم انحدروا من التل بخطى متعجلة ، وكيتى لا تقوى على النطق بسؤال كان يرتعش على شفتيها فى توجس وجزع - فلقد كانت فى خوف من الجواب ! - وبلغوا الضفة ، فاذا بزورق ينتظرهم ، وفى مقدمته خيط من ضوء ينم عنه ٠٠ واذ ذاك واتتها القوة كي تتساءل : « أهي الكوليرا ؟ »

وأجاب وادينجتن : « اظن ذلك »

فتوقفت ، وندت منها صرخة واهنة ‥ ولكن وادينجتن مد يده يعينها على الهبوط الى الزورق ، وهو يقول : « أعتقد ان عليك ان تسرعى ما استطعت »

وكانت المسافة قصيرة ، وسطح النهر هادىء الى درجة الركـــود ‥ ووقفوا جميعا فى مقدمة القارب ، بينما راحت امرأة تسيره بمجداف واحد ، وفى حجرها طفل صغير ‥ وقال وادينجتن : « لقد فاجأه المرض بعد ظهـر اليوم ‥ اقصد بعد ظهر الأمس ، فنحن الآن فى اليوم الجديد »

ـ ولماذا لم استدع فى الحال ؟

وكانا يتكلمان همسا رغم انه لم يك ثمة مبرر لذلك ‥ ولم تكن كيتى تتبين وجه صاحبها فى الظلام ، ولكنها كانت تحس بقلقه ‥ واجاب : « لقد اراد الكولونيل « يو » ان يدعوك ، ولكن وولتر أبى عليه ذلك‥ ان الكولونيل « يو » يلازمه طيلة الوقت ‥ »

ـ كان ينبغى أن يرسل فى طلبى ولو لم يشأ « وولتر » ‥ انها قسوة !

ـ كان زوجك يعرف انك لم ترى قط مصابا بالكوليرا ‥ انه منظـــر رهيب ، تتقزز له النفس ‥ لذلك لم يشأ ان تريه !

فقالت بصوت مختنق : « ولكنه زوجى ، قبل اى اعتبار » ‥ ولم يجب وادينجتن ، فعادت تتساءل : « ولماذا يتاح لى الآن ان اذهب اليه ؟ » ‥ فوضع وادينجتن راحته على ذراعها وقال : « يجب يا عزيزتى ان تتجلدى ‥ يجب ان تعدى نفسك لأسوأ الظروف ! »

فأرسلت أنة معولة محزونة ، واشاحت بوجهها قليلا ، اذ لمحت الجنود الصينيين الثلاثة ينظرون اليها ‥ واوحى اليها بياض أعينهم بفكرة طارئة، فتساءلت : « أهو يحتضر ؟ »

ـ لست ادرى سوى ما ذكره الكولونيل « يو » للضابط الذى اوفده لى ‥ وعلى هدى هذه الرسالة أعتقد ان زوجك قد انهار تماما ‥

ـ او لا مجال للأمل على الاطلاق ؟

ـ يؤسفنى اشد الأسف ان أعرب عن خشيتى ـ اذا لم نصل الى هناك سريعا ـ ان لا نجده على قيد الحياة !

وراحت ترتعش ، وانحدرت الدموع على وجنتيها ‥ بينما اســتطرد وادينجتن : « لقد كان ينهك نفسه بالعمل كما تعرفين ، فلم تبق لديه قـــوة للمقاومة » ‥ واذ ذاك تملصت من قبضته فى انفعال ، وقد اهاجها ان يتكلم بذلك الصوت الخافت ، المحزون !

وبلغوا الجانب الآخر للنهر ، فتقدم خادمان صينيان كانا على الضـــفة

وأعانا گيتى على الهبوط · وكانت المحفتان فى الانتظار ، فلما استوت فى محفتها ، قال وادينجتن لها : « اجتهدى فى ان تسيطرى على اعصابك ، فلسوف تحتاجين الى كل جلدك »

– سل الحمالين ان يسرعوا ··

– ان لديهم أوامر بأن يتعجلوا بقدر الامكان ··

ومر الضابط فى محفته ، فتقدم الجمع ، وهو يهيب بحمالى محفة كيتى · وسرعان ما رفع الحمالان المحفة برشاقة فأسندا أعمدتها الى كتفيهما ، وانطلقا فى خطى سريعة ·· ومحفة وادينجتن فى أثرهما مباشرة · واجتاز الجميع التل مسرعين ، وقد تقدم كل محفة رجل يحمل مصباحا · واذ بلغوا بوابة الماء وجدوا حارس البوابة يقف حاملا مشعلا ، فصرخ فيه الضابط وهم يقتربون ، فبادر يفتح جانبا من البوابة كى يمروا ، ولفظ بنداء اثناء مرورهم ، فتناقل الحمالون النداء كل منهم يبلغه لمن خلفه ·· وبدت هذه الأصوات الاجشة وهى تنطق بلغة غريبة فى الليل البهيم ، مخيفة محوطة بالغموض ! ·· وانسابوا على الطريق المبتلة الزلقة ، فاذا بأحد حاملى محفة الضابط تزل قدمه ، وسمعت كيتى صرخة الحمال ، يعقبها صوت الضابط يرتفع غاضبا ، ثم عادت المحفة التى تتقدمها الى اسراعها ··

وكانت الطرق ضيقة ملتوية ، والليل البهيم يسيطر على المدينة ، فبدت اشبه بمدينة للموتى ·· واسرعوا يجتازون حارة ضيقة ، ثم عرجوا الى ممر افضى بهم الى درجات · وكانت انفاس الحمالين قد بدأت تلهث فى عناء، لكنهم مع ذلك واصلوا السير فى خطى سريعة ، وفى صمت ·· وأخرج احدهم منديلا مهلهلا راح يجفف به – وهو منطلق – العرق الذى كان يتفصد من جبينه وينحدر الى عينيه ·· وراحوا ينحرفون فى هذا الاتجاه ، ويعرجون الى ذاك ، مما نم عن انهم كانوا منطلقين فى شبكة من الطرق الملتوية ·· **وكانت تلوح فى بعض الاحيان اشباح ترقد الى جوار ابواب الحوانيت المغلقة ، بيد انه لم يكن بوسعك ان تجزم بما اذا كانت اشباح أناس ناموا ليستيقظوا عند الفجر ، ام هى لأناس ناموا فلا يقظة لهم ابدا ! ·· وبدت الطرقات الضيقة رهيبة فى وحشتها وصمتها ، فاذا عوى كلب فجأة بصوت عال ، أرسل هزة ذعر تخترم اعصاب كيتى · لم تكن تدرى الى اين كانوا ذاهبين ، وبدا لها ان لا نهاية للطريق ·· وكانت لا تفتأ تسائل نفسها : « ألا يستطيعون ان ينطلقوا بأسرع من ذلك ؟ ·· اسرع ·· اسرع » ·· فقد كان الوقت يمضى ، ومن المحتمل ان يؤدى التوانى فى اية لحظة الى وصولهم بعد فوات الأوان !**

- ٦٣ -

◆ **وفيما** كانوا يسيرون الى جوار جدار ابيض طويل ، اقبلوا فجأة على بوابة حف بها مركزان للحراسة ، فأنزل الحمالون المحفات الى الارض ٠٠ وأسرع وادينجتن الى كيتى فاذا بها قد قفزت للفور من مقعدها ٠ وطـرق الضابط الباب بعنف وهو يصيح ، فاذا باب جانبى صغير يفتح ، فاجتازوه الى ساحة واسعة مربعة ٠٠ وكان الجنود مستلقين فى جماعات متنـاثرة الى جوار الجدران ، تحت مظلات من الخشب ، منكمشين فى اغطيتـهم وقد استغرقوا فى النوم ٠٠

وظلوا لحظة وقوفا ريثما تحدث الضابط الى رجل ، لعله كان جاويشا لنوبة الحراسة ، ثم التفت الى وادينجتن وحدثه ببضع كلمات ، ترجمها هذا بصوت



خفيض قائلا : « انه لا يزال حيا ٠٠ انتبهى اثناء سيرك الى مواطىء قدميك » ٠٠ واجتازوا الساحة ، وحملة المصابيح لا يزالون يتقدمونهم ، ثم صعدوا درجات أفضت بهم الى باب أدى الى ساحة اخرى واسعة ٠٠ وفى احد جوانب الساحة ، كانت ثمة غرفة طويلة تنبعث منها اضواء كانت تشع خلال ورق الارز الذى كان يحف بالنوافذ ٠٠وقادهم حملة المصابيح الى تلك الغرفة ، فلما بلغوا بابها طرقه الضابط ، واذا به يفتح فى الحال ٠٠ وتراجع الضابط خطوة الى الوراء وهو ينظر الى كيتى ، فقال وادينجتن : « تفضلى بالدخول٠٠ »

كانت الغرفة مستطيلة ، منخفضة السقف ، وقد اضفت عليها المصابيح المدخنة ـ التى كانت تضيئها ـ جوا كئيبا مقبضا ٠٠ وكان هناك ثلاثة او اربعة من الخدم العسكريين واقفين ٠٠ وعلى حشية من القش لصق الجدار المقابل للباب ، كان رجل مسجى تحت ملاءة بيضاء ٠٠ وقد وقف امامه عند طرف الفراش ضابط لا يريم حراكا ٠٠

واسرعت كيتى فمالت على الحشية ٠٠ كان وولتر يرقد مغمض العينين ، وقد بدا وجهه ـ تحت الضوء المعتم ـ مربدا كوجوه الموتى ٠ وكان سكونه يبعث الذعر فى النفس ، فهتفت كيتى فى صوت منخفض ، مفزوع : « وولتر ! ٠٠ وولتر ! » ٠٠ واذ ذاك سرت فى الجسد حركة خفيفة ، او لعلها طيف حركة ، اذ بلغ من خفتها انها بدت شبيهة بنسمة من الهواء لا تكاد تحسها ولكنها تداعب سطح الماء الراكد فتحركه ٠٠ وعادت كيتى تهتف : « وولتر ٠٠ وولتر ٠٠ كلمنى ! » ٠٠ فانفرجت الجفون فى بطء ،



وكأنما كانت ثقيلة تتطلب جهدا مضنيا ٠٠ لكن الحدقتين لم تتحولا نحوها ، بل حملقتا فى الجدار الذى لم يكن على بعد اكثر من بوصـــات قلائل من الوجه ٠٠ وتكلم وولتر ، وفى صوته الخافت ، الواهن ، طيف ابتسامة !

– هذا مأزق لا مهرب منه !

وأمسكت كيتى انفاسها لا تجسر أن تطلقها ٠٠ ولم يصدر عن وولتـــر صوت آخر ، أو محاولة للحركة ، ولكن عينيه – تلكما العينين الداكنتين ، الباردتى النظرات ، اللتين لم يكن فى وسع احد ان يحدس ما كانتا تريان اذ ذاك من اسرار غامضة – ظلتا تحملقان فى الحائط الابيض ! ٠٠ واستوت كيتى على قدميها ، وواجهت الرجل الذى كان يقف الى جوار الفراش ، وقد شحب وجهها وبدت عليه الحيرة ، وهتفت : « لا بد من شىء يبذل من اجله ٠٠ ما اظنكم ستبقون واقفين دون ان تقوموا بأى عمل ؟ »

وراحت تعتصر كلا من يديها بالأخرى ٠٠ وتحدث وادينجتن الى الضابط الذى كان يقف بجوار الفراش ، ثم قال لها : « ارى انهم قد بذلوا كل ما كان ممكنا ان يبذل ٠٠ لقد تولى جراح الفرقة علاجه – وكان زوجك قد دربه – ففعل كل ما كان فى وسع زوجك نفسه ان يفعله ! »

– وهل هذا هو الجراح ؟

– لا ، بل هو الكولونيل « يو » ٠٠ انه لم يفارق فراش زوجك قط !

ورمته كيتى بنظرة زائغة فاذا هو طويل ، عريض المنكبين ، بدا عليـه البرم ببزته العسكرية ٠ وكان يحملق فى وولتر ، فلمحت كيتى عينيه وقد تندتا بالدمع ٠٠ وخفق قلبها فى ذعر : ما الذى يدفع الدموع الى مقلتى هذا الرجل العسكرى ذى الوجه الاصفر الأفطس ؟ وتملكها جزع واله ، فهتفت : « من الفظيع ان نعجز عن عمل شىء ! » ٠٠ فقال وادينجتن : « انه لم يعد – على الاقل – يشعر بأى ألم »

وعادت تنحنى على زوجها ٠٠ كانت عيناه المنطفئتان لا تزالان تحملقان بنظرات خاوية فى لا شىء ٠ ولم تدر ان كان يبصر بهما ام لا ، ولا كانت تدرك ان كان قد سمع ما قالت٠٠ فألصقت شفتيها بأذنيه وتضرعت : « وولتر ٠٠ اما من شىء نستطيع ان نفعله ؟ »

وخطر لها ان لا بد من وجود عقار يستطيعون ان يعطوه اياه فيوقف تسلل الحياة من جسده بهذا الشكل الفظيع ٠٠ واذ كانت عيناها قد ألفتا العتمة ، فقد استطاعت ان ترى فى ذعر ان عضلات وجهه قد تراخت ، بحيث كادت لا تعرفه ، فما كان ليخطر ببال ان شكله يتغير الى هذه الدرجة فى سويعات قلائل ٠٠ كان لا يكاد يبدو انسانا على الاطلاق ٠٠ كان يبدو كأنه ٠٠ الموت عينه !

وخيل اليها انه يبذل مجهودا كى يقوى على الكلام ، فقربت أذنها منه ٠٠ وسمعته يقول : « لا تهتموا ٠٠ لقد كنت اجتاز طريقا وعرة ٠٠ ولكننى الآن بخير ٠٠ »

وتريثت كيتى لحظة ، ولكنه اخلد الى الصمت ٠ وبعث سكونه فى قلبها هما ثقيلا ٠ روعها ان يضطر الى ان يرقد بلا حراك ، وكأنه يتأهب لسكون القبر ! ٠٠ واقبل شخص ـ لعله الجراح أو احد الممرضين ـ فأشار لها ان تتخلى عن مكانها ، ثم مال على المريض فرطب شفتيه بخرقة مبللة ٠ واستوت كيتى فى وقفتها مرة أخرى ، وتحولت الى وادينجتن هامسة فى قنوط : « أليس من امل على الاطلاق »

فهز رأسه بالنفى ٠٠ وعادت تسائله : « والى متى يبقى حيا ؟ »

ـ لا أحد يدرى ٠٠ لعل الاجل يمتد به ساعة أخرى

وتلفتت كيتى فى الحجرة العارية من الاثاث ، ثم استقرت عيناها لحظة على الكولونيل « يو » ، فتساءلت : « هل أستطيع ان اخلو اليه برهة وجيزة ؟ ٠٠ دقيقة واحدة فقط ؟ » ٠٠ فأجابها : «بكل تأكيد ، اذا شئت ٠٠ »

وتحول وادينجتن الى الكولونيل « يو » فتحدث اليه ، وسرعان ما انحنى الكولونيل قليلا ، ثم اصدر امرا بصوت خفيض ٠٠ وقال وادينجتن وهم يغادرون الغرفة : « سننتظر عند السلم ، وليس عليك سوى أن تنادى ان احتجت الينا ٠٠ »

اما وقد سيطرت عليها الحقيقة التى لم تكن تصدقها ، فتملكت وعيها كما لو كانت مخدرا انساب فى عروقها ، وتحققت من ان « وولتر » يوشك ان يموت ، فقد خلا ذهنها من كل فكرة اللهم الا ان تهون عليه نهايته ، بأن تستل من نفسه المرارة التى سممتها ٠٠ وارتأت انه لو مات وهو على وئام معها ، فسيموت وهو هادىء النفس مطمئنها ٠٠ وهكذا لم تعد تفكر فى نفسها ، بل انصرف كل تفكيرها اليه وحده ، فمالت عليه وهى تحرص على الا تمسه خشية ان لا يحتمل ، وهتفت : « وولتر ، اناشدك ان تصفح عنى ٠ اننى فى اشد درجات الأسى لكونى أذنبت فى حقك ٠٠ اننى فى أقصى حالات الندم على ما ارتكبت ! »

ولم يقل شيئا ، بل لم يبد عليه انه سمع ! ٠٠ فاضطرت الى ان تلحف ٠٠ وداخلتها فكرة غريبة صورت لها نفسه كفراشة محلقة ، هائمة ، وقد اثقلت البغضاء جناحيها ٠٠ فعادت تهتف : « يا حبيبى ٠٠ »

واختلج وجهه الذابل الضامر ، اختلاجة تافهة لم تكد تظهر ، لكنها كانت كافية لأن تنم عن اشمئزاز فظيع ! ٠٠ فهى لم تناده بهذا النداء من قبل ابدا ، وربما خطر بذهنه المحتضر خاطر مضطرب غير واضح ، بأنه لم

يسمعها تستعمل هذه الكلمة فى كلامها العادى الا للـكلاب والاطفـال والسيارات ! ٠٠ وفجأة رأت حدثا رهيبا جعلها تعتصر يديها وهى تحـاول ان تتجلد بكل ما اوتيت من قوة ٠٠ فقد رأت دمعتين تنحدران وئيـدا على خديه اللذين خبا لونهما ، فراحت تهتف فى قنوط :

– اواه يا حبيبى الغالى ٠٠ لو انك أحببتنى ! بل اننى لأعـرف انك احببتنى ، لكنى كنت زاهدة كارهة ٠٠ فأتوسل اليك ان تغفـر لى ٠ ان الفرصة لا تنفسح الآن امامى كى اظهر لك توبتى ، فارحمنى ٠٠ استحلفك ان تصفح عنى !

وامسكت وهى تنظر اليه ، حابسة انفاسها ، تنتظر فى لهفة رده ٠٠ ورأته يحاول الكلام ، فخفق قلبها فى عنف ، وهى تعتقد انها لو ساعدته فى لحظته الأخيرة تلك على التخلص من وطأة المرارة التى ارهقت نفسه ، لكان فى ذلك بعض العوض عما سببته له من عذاب ٠٠ وتحركت شفتاه ، وهو لا ينظر نحوها ، اذ كانت عيناه تحملقان فى الحائط الأبيض دون ما ابصار ٠٠ ومالت عليه عسى ان تسمع ، واذا صوته قد انبعث واضحا يقول : « انه الكلب ٠٠ الذى مات »

وسمرت فى مكانها وكأنها استحالت الى صخر ! لم تستطع ان تفهم قوله، فراحت تحدق فيه ذاهلة مرتاعة ٠ كانت كلماته بلا معنى ٠٠ لعلها كانت هذيانا ٠٠ لا بد انه لم يفقه كلمة مما قالت ٠ وكان من المستحيل ان يكون جامدا بلا حراك ومع ذلك حيا٠٠ وراحت تتفرس فيه٠٠ **كانت عيناه مفتوحتين، لكنها لم تستطع ان تتبين ما اذا كان فيه نفس يتردد ٠٠ وبدأ الهلع يتملكها، فهمست : « وولتر ! ٠٠ وولتر ! »**

واذ لم يجب ، نهضت بغتة ، وقد دهمها الخوف ، وتحولت نحو الباب فهتفت : « أرجو ان تتكرموا بالدخول ٠٠ لا يبدو عليه انه ٠٠ »

ودخلوا ٠٠ وتقدم الجراح الصينى الى الفراش ، وكان فى يده مصباح كهربائى من مصابيح الجيب أضاءه وراح ينظر فى عينى وولتر ، ثم أطبقهما ، وقال كلمات بالصينية ٠٠ فأحاط وادينجتن كيتى بذراعه وقال : « أخشى ان يكون قد مات ! »

أطلقت كيتى زفرة عميقة ، وانحدرت من عينيها بضع دموع ، وقد أحست بدوار طغى على كل ما جاشت به مشاعرها ٠٠ بينما أحاط الصينيون بالفراش فى يأس وحيرة وكأنهم لا يدرون ما ينبغى عليهم بعد ذلك أن يفعلوا !٠٠ وأخلد وادينجتن الى الصمت ٠٠ وبعد دقيقة ، بدأ الصينيون يتبادلون الحديث بصوت منخفض ، فقـال وادينجتن : « يحسن أن تدعينى أعود بك الى الدار ٠٠ ولسوف يحملونه الى هناك ٠٠ »

ومرت بيدها على جبينها فى اعياء وحيرة ، ثم سارت الى الحشية التى كان مسجى عليها ، وانحنت فقبلت شفتى وولتر فى رفق ، وقد كفت عن البكاء ، ثم قالت لمن حولها : « يؤسفنى ان كبدتكم هذا العنـــاء » .. فحياها الضابطان تحية عسكرية ، قابلتها بانحناءة مهيبة وهى تمضى مع وادينجتن الى الساحة.. وهناك استقلا محفتيهما ، فأشعل وادينجتن سيجارة ، ونفث دخانها فى الهواء ..

هكذا حياة الانسان .. قليل من الدخان .. فى الهواء !

- ٦٤ -

◆ كان الفجر قد بدأ يطلع على الكون .. وهنا وهنـــاك ، كان أحد الصينيين يعالج فتح باب حانوته ، وقد بدت فى أكناف الظلام المتراكم فى المؤخرة ، وعلى ضوء الذبالة المحتضرة ، امرأة تغسل يديها ووجهها .. وفى مشرب عند منعرج فى الطريق ، جلس جماعة يتناولون افطارهم مبكرين .. واخذ ضوء النهار الوليد يتسلل شاحبا فى الطرقات الضيقة كاللص ، وران على النهر ضباب شاحب بدت خلاله صاريات المراكب الموسوقة كأنها حراب جيش من الاشباح ! وكان الجو باردا ، فأحكمت كيتى حولها أطراف شالها ذى الالوان البهيجة ، وهى تجتاز النهر .. ثم سارت مع وادينجتن يصعدان التل حتى تجاوزا منطقة الضباب ، فاذا الشمس تبزغ من سماء صافية ، فتشع وكأن اليوم كان كغيره من الايام ، وكأنما لم يقع فيه ما يميزه عن سواه !

وقال لها وادينجتن وهما يدخلان الدار : « هلا نمت قليلا ؟ »

ـ لا .. بل سأجلس الى جوار النافذة ..

لطالما جلست الى جوار هذه النافذة كثيرا،ولفترات طويلة ، خلال الاسابيع التى انقضت .. فألفت عيناها منظر المعبد المبهرج فى زخارفه ، الملتف فى اطواء الغموض والأسرار ، وراء السياج الكبير ذى الابراج .. بل ان المنظر أصبح يدخل على روحها سلوى وعزاء .. كان يبدو بعيدا عن ان يكون حقيقة مادية ، حتى تحت اضواء الظهيرة القوية ، ومن ثم كان ينتزعها من حقيقة الحياة وواقعيتها ..

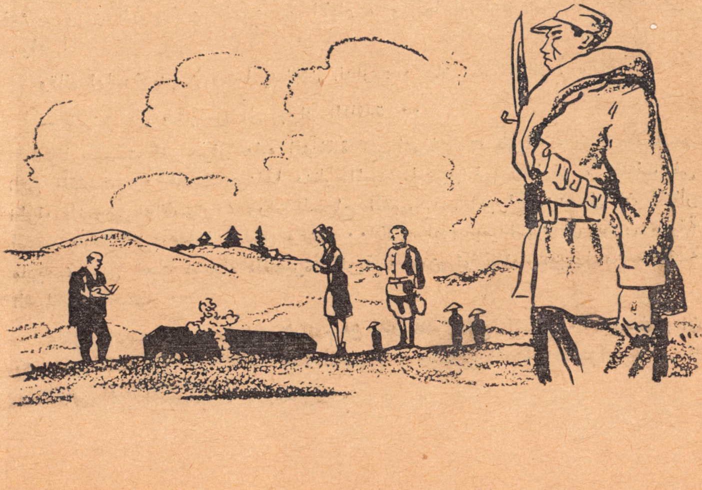
وقال وادينجتن : « سآمر الخادم ان يعد لك بعض الشاى .. يؤسفنى ان يكون من الضرورى أن ندفنه هذا الصباح ، وسأتولى اتخاذ الاجراءات .. »

فقالت فى اقتضاب : « اشكرك »

- ٦٥ -

◆ **ودفنوه** بعد ساعات ثلاث .. وهال كيتى ان يضطروا الى ايداعه تابوتا صينيا ، وكأنما خيل اليها انه لن يرتاح فى مرقد غريب كهذا ، ولكن لم تكن ثمة حيلة فى ذلك..واذ علمت الراهبات بموت وولتر ـ كما كن يعلمن بكل ما يجرى فى المدينة ـ أوفدن رسولا يحمل صليبا من زهور «الداليا» بدا جامدا كرمز رسمى متكلف ، وان نسق بيد ماهرة كأنها يد خبير فى تنسيق الزهور .. وحين وضع وحده على التابوت الصينى ، بدا شكله قبيحا غير منسجم ..

وعند ما تم اعداد كل شىء ، اضطروا الى انتظار الكولونيل « يو » الذى ارسل الى وادينجتن معربا عن رغبته فى ان يشيع الجنازة.. وما لبث ان اقبل يصحبه ياور من اركان حربه . وحمل ستة من الخدم الصينيين التابوت ، ثم سار الجمع مرتقين التل الى بقعة من الارض كان طبيب الارسالية ـ الذى خلفه وولتر ـ قد دفن فيها .. وكان وادينجتن قد عثر بين مخلفات الطبيب المبشر على كتاب للصلوات بالانجليزية ، فأخذ يقرأ قداس الدفن بصـــوت خفيض وأسى لم يعهد فيه من قبل .. ولعـــله تمثل فى خاطره وهو يقرأ الكلمات الجليلة المهيبة ، انه اذا وقع بدوره فريسة للوباء ، فلن يجد من يردد هذه الكلمات على جسده ؟



وأنزل التابوت الى القبر ، وبدأ الحفارون يهيلون عليه التراب . وكان الكولونيل « يو » يقف الى جوار القبر حاسر الرأس ، فلبس قبعته وأدى التحية لكيتى فى احترام وحزن ، وأزجى لوادينجتن كلمة أو اثنتين ، ثم انصرف يتبعه ياوره .. وكان الخدم الصينيون قد تلكأوا يدفعهم الفضول الى مشاهدة الطقوس المسيحية للدفن ، فلم يلبثوا ان انصرفوا بخطى متسكعة .. وبقيت كيتى ووادينجتن حتى ملىء القبر بالتراب ، فوضعا عليه الصليب الذى صنعته الراهبات من زهور الداليا ..

ولم تبك كيتى ، لكنها شعرت حين القيت اول كومة من التراب بقلبها يخفق ملتاعا .. وقالت لوادينجتن فى النهاية : « أو متعجل أنت ؟ لست أبغى العودة الى الدار بهذه السرعة »

– ليس امامى ما افعله ، فأنا رهن اشارتك ..

– ٦٦ –

◆ وراحا يسيران على مهل حتى بلغا قمة التل ، حيث قام النصب الذى على شكل القوس ، والذى اقيم لتخليد ذكرى أرملة فاضلة ، فكان له نصيب كبير من الاثر الذى تركته تلك المنطقة فى نفس كيتى .. كان رمزا ، ولكنها لم تكد تدرى لأى شىء كان يرمز لديها .. ولا كانت تدرى لماذا كان يبدو لها ناطقا بالسخرية اللاذعة !

وقالت : « هل نجلس هنا فترة ؟ .. اننا لم نجلس هنا منذ عهد طويل »

وبدا السهل متراميا امامها ، هادئا ، واجما ، تحت ضوء النهار .. واستطردت تقول : « لم ينقض على وجودى هنا سوى أسابيع قلائل ، ومع ذلك فانها تبدو عمرا طويلا ! »

وظل برهة لا يجيب ، فأطلقت لأفكارها العنان .. وتنهدت ثم سألته : « اتظن ان الروح خالدة ؟ »

ولم تبد عليه اية دهشة لسؤالها ، بل قال : « ومن أدرانى ؟ »

– لقد نظرت الى « وولتر » منذ برهة وهم يغسلونه قبل ان يضعوه فى التابوت ، فبدا فى شرخ الشباب .. بدا اصغر من ان يستحق أن يعدو عليه الموت .. اتذكر ذلك المتسول الذى رأيناه فى اول مرة صحبتنى فيها لنتمشى ؟ ان ذعرى منه لم يكن لأنه ميت ، وانما لانه لاح وكأنه لم يكن انسانا قط .. كان مجرد حيوان ميت ! اما وولتر ، فقد بدا كآلة توقفت عن الدوران ، وهذا مثار الجزع : فاذا كان الانسان مجرد آلة ، فما جدوى كل هذا العذاب والضنى والتعاسة ؟

ولم يجب ، لكن عينيه راحتا تجوسان خلال المنظر الذى كان يستلقى تحت أقدامهما .. كان الفضاء الفسيح فى ذلك النهار المشرق البهيج يملأ القلب نشوة .. وكانت حقول الارز المتناسقة تمتد الى اقصى مرامى البصر ، وقد انهمك الفلاحون ذوو الثياب الزرقاء ، ومعهم جاموسهم ، فى العمل فى كثير منها .. كان منظرا وادعا هنيئا ..

وقطعت كيتى حبل الصمت قائلة : « اننى لأعجز عن أن أصف لك مدى تأثرى بكل ما رأيت فى الدير .. ان أولئك الراهبات لرائعــات .. انهن يجعلننى ارى نفسى عديمة القيمة ، فهن يضحين بـكل شىء : بدورهن ، وبلادهن ، وحبهن ، واطفالهن ، وحريتهن ، وكل تلك التوافه التى لا ازال ارى احيانا ان من العسير التخلى عنها ــ كالزهور ، والحقول اليانعــة ، والنزهة فى احد ايام الخريف ، والكتب ، والموسيقى ، والراحة ! ــ كل شىء يضحين به ، كل شىء ، ويفعلن ذلك كى يكرسن انفسهن لحياة كلها تضحية ، وفقر ، وطاعة ، وعمل مرهق قاتل ، وصلاة..ان هذه الدنيا ــ بالنسبة لهن جميعا ــ مجرد « مهجر » ، والحياة صليب يحملنه طواعية وعن طيب خاطر ، وفى قلوبهن طيلة الوقت رغبة .. اواه ، بل هى اقوى من الرغبة بكثير .. انها حنين ، شوق ، لهفة مشبوبة الى المــوت الذى يقودهن الى حيــــاة دائمة ابدا .. »

واعتصرت راحتيها وهى تتطلع اليه فى حزن فياض ، فقال : « وبعد ؟ »

ــ هب أن ليست ثمة حياة باقية ؟ تصور ما يكون لو أن الموت هو النهاية الحقيقية لكل الاشياء .. انهن اذ ذاك يكن قد جدن بكل شىء من اجل لا شىء ! .. يكن مخدوعات ..

وفكر وادينجتن لحظة ، ثم قال : « لست أدرى ، ترى هل يهمنى فى شىء أن يكون ما هدفن اليه مجرد وهم ؟ .. ان حياتهن فى ذاتها جميلة ، وانا أرى ان الشىء الوحيد الذى يجعل من المحتمل ان نرقب هذه الحياة التى نعيشها فى غير اشمئزاز ، هو ذاك الجمال الذى ينسجه البشر من آن لآخر من الاوهام المشوشة : من الصور التى يرسمونها ، والالحان التى يصوغونها ، والكتب التى يؤلفونها ، وألوان الحياة التى يمارسونها .. وأغنى هذه كلها بالجمال : الحياة الجميلة .. فهى اكمل تحف الفن »

وتنهدت كيتى وقد لاح لها قوله صعب التحقق .. ورغبت فى المزيد ، فاستأنف قائلا : « هل حضرت يوما حفلة من حفلات الموسيقى الوترية ؟ » .. فابتسمت مجيبة : « أجل .. اننى لا أفقه شيئا فى الموسيقى ، ومع ذلك فأنا شغوفة بها »

ــ ان كل عضو فى الفرقة يعزف على آلتــه الخاصة الصغيرة ، فماذا

تظنينه يعرف عن الانغام المتداخلة التى تتماوج فى الجو ؟ انه لا يحفل بغير نصيبه الصغيـــر ، وان عرف أن اللحن فى مجمـوعه بديع . ومع أنه قد لا يكون ثمة من يصغى اليه ، الا أنه يظل بديعا ، ويظل العازف مغتبطا بعزف دوره فيه !

قالت كيتى بعد ان ساد الصمت برهة : « لقد تحـدثت منذ ايام عن « عبادة الطبيعة » .. فهلا حدثتنى بالمزيد عنها ؟ »

فرمقها وادينجتن بنظرة وجيزة ، وتردد لحظة ، ثم شاعت فى وجهه المضحك ابتسامة واهنة وأجاب : « انها الطريق ، وسالك الطريق .. انها السبيل الخالدة التى تسير فيها كل الكائنات ، وليس منهم من صنعها ، لانها كائنة فى حد ذاتها..انها كل شىء ، ولا شىء..منها تنبعث كل الاشياء ، وكل الاشياء تطابقها وتتمثل بها ، واليها تعود كل الاشياء فى النهاية .. انها مربع بلا زوايا ، وصوت لا تسمعه الآذان ، صورة بلا شكل .. انها شبكة واسعة العيون ، عيونها فى مثل اتساع البحر، ومع ذلك فهى لاتسمح لشىء بأن ينفذ من خلال هذه العيون .. انها الملاذ الذى تلجأ اليه كل الاشياء فتجد المأوى . ليس لها مكان ، ومع ذلك فأنت اذا أطللت من النافذة رأيتها .. انها تدعو الى الرغبة فى عدم الرغبة ، ثم تترك كل شىء يختار طريقه ومنهجه .. فالذى يتواضع يصان ، والذى ينحنى يقام .. والفشل أساس النجاح ، والنجاح مجرد مكان يتوارى فيه الفشل ، ولكن منذا الذى يعرف نقطة التحول ومتى تأتى ؟ وذاك الذى يجاهد من اجل الحنان يستطيع ان يصبح فى النهاية اشبه ما يكون بالطفل الصغير .. واللطف واللين يجلبان النصر لذاك الذى يهاجم ، والأمن والسلامة لذاك الذى يدافع ، والقادر هو ذاك الذى يغلب نفسه !

ـ هل لهذا معنى ؟

ـ احيانا .. عندما اتناول ست كـؤوس من الويسكى ، ثم اتطلع الى النجوم ، ارى انه ربما كان ذا معنى .. !

وران عليهما الصمت ، فلما تبدد أخيرا ، كانت كيتى هى التى بددته ـ فى هذه المرة ايضا ـ اذ قالت : « نبئنى .. هل وردت عبارة : « انه الكلب .. الذى مات » ، فى أى كتاب تعرفه ؟ »

وارتسمت على شفتى وادينجتن ابتسامة ، وهم بأن يجيب ، ولكن يبدو ان ادراكه كان اذ ذاك مرهفا فوق عادته .. ولم تكن كيتى تنظر اليه ، ولكنه رأى فى التعبير الذى صاغت به سؤالها ما جعله يغير رأيه ، فيمسك عن الجواب ، ويقول فى حذر : « اذا كانت قد وردت فان عينى لم تقع عليها.. لماذا ؟ »

ـ للاشىء .. وانما خطرت ببالى ، فشعرت أن لها وقعا مألوفا ..

وشملهما الصمت مرة أخرى .. وما لبث وادينجتن أن قال :

« عندما تركناك وحدك مع زوجك ، تحدثت الى جراح الفرقة ، اذ رأيت ان من حقنا ان نلم بشىء من التفصيلات »

– حسنا ..

– كان الرجل فى حالة انفعال هستيرى ، حتى لقد عز على ان افهم فى الواقع ما كان يعنى تماما .. وبقدر ما وسعنى، أدركت أن زوجك أصيب بالعدوى اثناء قيامه ببعض التجارب ..

– لقد كان يجرى التجارب دائما ، فهو لم يكن طبيبا فى الواقع ، وانما كان من البكتريولوجيين .. وهذا سر لهفته على المجىء الى هنا

– لكنى لم أفهم من تصريحات الجراح ما اذا كانت العدوى قد أصابت زوجك عفوا ، او انه كان يجرى التجربة على نفسه فعلا !

فاشتد بكيتى الشحوب ، واقشعر بدنها للفكرة .. فتناول وادينجتن راحتها ، وقال فى لطف : « اغفرى لى انى تحدثت فى هذا مرة اخرى ، لكنى خلت أنك قد تجدين فيه عزاء .. اننى أدرك مدى ما هناك من قسوة وعناء يتأتيان عن اى قول ليست له جدوى فى هذه المناسبات .. لكنى ظننت انه قد يعنيك ان تعرفى ان وولتر مات شهيد العلم وشهيد واجبه .. »

هزت كيتى كتفيها فى شك وبرم وقالت : « بل انه مات كسير القلب ! »

ولم يحر وادينجتن جوابا .. فالتفتت اليه ، متطلعة فى تؤدة ، وقد شحب وجهها وجمدت ملامحه .. وقالت : « ما الذى كان يعنيه بقوله « انه الكلب .. الذى مات » ؟ .. ما هذه العبارة ؟ »

– انها السطر الأخير من مرثية « جولد سميث »

– ٦٧ –

◆ **ذهبت** كيتى فى الصباح التالى الى الدير .. وبدا الذهول على الفتاة التى فتحت لها الباب اذ رأتها .. ولم تنقض دقائق على كيتى فى عملها ، حتى اقبلت الأم الرئيسة ، فتقدمت من كيتى وتناولت يدها قائلة : « اننى مسرورة لرؤيتك يا ابنتى العزيزة .. انك بمقدمك الى هنا عقب مصابك الفادح تكشفين عن شجاعة رائعة ، وحكمة .. لأننى واثقة من ان العمل سيشغلك عن التفكير .. »

وغضت كيتى بصرها وقد تضرج وجههـا ، وحرصت على ان لا تستشف الأم الرئيسة ما فى اعماق قلبها .. بينما عادت هذه تقول : « ما اراني بحاجة لأن أبين لك مدى عطفنا الصادق جميعا عليك »

فهمست كيتى : « انكن جد رحيمات »

ـ اننا جميعا نصلى دون انقطاع من اجلك ، ومن اجل روح ذاك الذى فقدت ٠٠

ولم تحر كيتى جوابا ٠٠ فافلتت الأم الرئيسة راحتها ، ثم تحولت تعهد اليها بلهجتها الجادة الآمرة ببعض المهام٠٠وربتت رؤوس طفلين أو ثلاثة ، وأولتهم ابتسامتها اللادنيوية الخلابة ٠٠ ثم انصرفت الى أعمالها الاكثر اهمية

- ٦٨ -

◆ **وانقضى** اسبوع ٠٠ وفيما كانت كيتى تحيك بعض الثياب فى الدير للايتام ، دخلت الأم الرئيسة الحجرة ، فجلست الى جوارها ، وألقت على شغلها نظرة عابرة ٠٠ وقالت : « انك تتقنين الحياكة جدا يا عزيزتى ، وهو شىء نادر بين الشابات فى دنياكم اليوم ! »

ـ اننى مدينة بذلك لأمى ٠٠

ـ أؤكد لك أن أمك ستبتهج برؤيتك ثانية ٠٠

وتطلعت كيتى الى ما أمامها ٠٠ كان فى أخلاق الأم الرئيسة تلك الميزة التى لا تجعل العبارة تؤخذ على أنها مجرد مجاملة عابرة٠٠ولكن الأم الرئيسة استطردت قائلة :

ـ لقد سمحت لك بأن تأتى بعد وفاة زوجك العزيز لأننى ظننت ان العمل قد يصرفك عن التفكير ، اذ رأيت انك قد لا تقوين اذ ذاك على تحمل الرحلة الطويلة الى هونج كونج وحدك . كما أننى لم أحب أن أدعك تمكثين وحيدة فى دارك ، وليس لك ما تفعلين سوى التفكير فى مصابك٠٠أما وقد انقضت ثمانية أيام ، فقد آن الوقت كى ترحلى ٠٠ »

ـ لكنى لا أريد أن أرحل يا أماه ، أريد أن أبقى هنا

ـ ليس ثمة ما يدعوك للبقاء ٠٠ لقد جئت لتكونى فى صحبة زوجك ، وقد مات زوجك ٠٠ ثم انك فى حال لن تلبثى معها أن تحتاجى بعد قليل الى عناية ورعاية يستحيل توفرهما هنا ٠٠ ان واجبك يا صغيرتى العزيزة يقتضيك أن تبذلى كل ما فى طوقك لخير المخلوق الذى أودعه الله عنايتك ٠٠

ولزمت كيتى الصمت برهة ، ثم قالت وهى تغض بصرها : « كنت اظن اننى ذات نفع هنا ٠٠ وكان من اعظم دواعى سرورى ان اظننى كذلك ٠٠ وكنت آمل أن تسمحى لى بالاستمرار فى عملى حتى ينتهى الوباء ٠٠ »

فقالت الام الرئيسة فى ابتسامة خفيفة : « اننا جميعا مقدرات لما بذلت من صنيع لنا ، بيد أن خطر المجىء الى هنا ـ وقد خفت حدة

الوباء — لم يعد كبيرا ، ومن ثم فأنا أرتقب مقـدم أختين من (كانتون) لن تلبثا ان تصلا عمـا قريب ، واذ ذاك لن اكون فى حاجة ماسـة الى خدماتك ٠٠ »

وغاص قلب كيتى ٠٠ كانت لهجة الام الرئيسة لا تدع مجـالا لرد ، وكانت قد أصبحت تعرفها الى الدرجة التى تجعلهـا تدرك أنها لن تصغى لاى رجاء ٠ وكان شـعورها بضرورة ابداء مبررات لكيتى قد اشاع فى صوتها نبرة ان لم تنم عن انفعال ، فقد نمت على الاقل عن الحزم الذى قد يؤدى الى الانفعال ٠٠ ثم اردفت : « لقد تكرم مستر وادينجتن فاستشارنى ٠٠ » ٠٠ فقاطعتها كيتى : « تمنيت لو انه شغل بشئونه الخاصة عن شئون سواه ٠٠ ! »

فقالت الام الرئيسة مترفقة : « لو انه لم يستشرنى لما حـال ذلك دون ان اشعر بأن من واجبى ان اقدم له مشورتى ٠٠ ان مكانك فى اللحظة الراهنة ليس هنا ، وانما هو بجوار امك ٠ وقد دبر مستر وادينجتن الامر مع الكولونيل « يو » لامدادك بحراسة قوية حتى تكونى آمنة كل الامان فى رحلتك ، كما دبر امر الحمالين والخدم ٠٠ ولسوف ترافقك الوصيفة ، كما ستتخذ الاجـراءات فيما يتعلق براحتك فى المدن التى ستمرين بها ٠٠ والواقع ان كل شىء فى الامكان قد اتخذ لراحتك ٠٠ »

وزمت كيتى شفتيها ، فقد رأت انه كان يليـق بهم ان يستشيروها على الاقل فى مسألة لا تخص سواها ٠٠ واضطرت الى أن تبـذل جهدا لتسيطر على اعصابها حتى لا تحتد وهى تتساءل : « ومتى يجب ان ابدأ رحلتى ؟ ٠٠ » فظلت الام الرئيسة هادئة ، وقالت : « كلما اسرعت فى العودة الى هونج كونج ، ثم الابحار الى انجلترا ، كان ذلك أفضل يا صـغيرتى العزيزة ٠٠ لذلك رأينا أنك قد ترغبين فى أن تبدئى رحلتـك فى فجر بعد غد ٠٠ »

— أبهـذه السرعة ؟

واحست كيتى بشىء من الرغبة فى البكاء ٠٠ لـكنهم كانوا على حق ، فانه لم يبق لها مكان فى الدير ٠٠ وقالت فى جفاء ولوم : « لشد ما يلوح لى انكم جميعا تتعجلون التخلص منى ! »

وفطنت كيتى الى ان الام الرئيسـة بدأت تخفف من مسـلكها ، اذ تبينت أن كيتى كانت مستعدة لان تصدع لما أعدوه لها ، فاتخذت — دون أن تفطن — لهجة لطيفة ، رحيمة ٠٠ وكانت روح الفكاهـة لدى كيتى مرهفة ، فأومضت عيناها ، وطاف بخاطرها ان القديسات هن الاخريات يحببن أن يكون رأيهن النافذ ! ٠٠ بينما قالت الام الرئيسـة : « لا تظنى أننى

لا أقدر يا صغيرتى العزيزة طيبة قلبك وذلك الكرم الرائع الذى يجعلك غير راغبة فى أن تتخلى عن الواجبات التى تطوعت لادائها ..»

وحدقت كيتى فى الفضاء أمامها بنظرات جامدة .. وهزت كتفيها فى حركة خفيفة ، وهى تدرك ان ليس لها أن تضفى على نفسها مثل هذا الفضل المغالى فيه ، فهى لم تبغ البقاء الا لانها لاتملك مكانا تذهب اليه .. وكان هذا الشعور غريبا : لم يكن فى العالم من يحفل بها اذا كانت على قيد الحياة أم كانت ميتة !

وكانت الام الرئيسة ماضية تقول فى لطف : « لست أفهم كيف تعرضين عن العودة الى الوطن .. كم من اجانب فى هذه البلاد على استعداد لان يبذلوا الكثير كى يحظوا بمثل هذه الفرصة ! »

ـ ولكنك لست منهم يا اماه ؟

ـ آه .. ان الامر يختلف بالنسبة لنا ياطفلتى العزيزة .. اننا حين نأتى الى هنا ندرك اننا قد هجرنا أوطاننا الى الابد !

وانبعثت من أعماق نفس كيتى الجريحة رغبة ساورتها ، قد تكون منطوية على خبث ، أوحت اليها ان تبحث عن تلك الناحية من درع الايمان التى تجعل الراهبات فى مناعة بالغة ضد كافة المشاعر الطبيعية .. ورغبت فى أن ترى ما اذا كان قد تبقى فى نفس الرئيسة شىء من الضعف البشرى ، فقالت : «لقد كنت أرى فى بعض الاحيان أن من العسير عليكن أن لا ترين مرة أخرى أولئك الذين كنتن تحببنهم ، ولا تلك المناظر التى نشأتن بينها »

فترددت الام الرئيسة لحظة ـ ولكن كيتى لم تلمح أى تغير طرأ على صرامة ذلك الوجه الجميل المهيب ـ وقالت أخيرا : « ان ذلك لشاق بلا شك على أمى التى اكتهلت ، لاننى ابنتها الوحيدة ، فهى تتوق طبعا الى أن ترانى مرة أخرى قبل أن تقضى نحبها .. وانا أتمنى ان اتيح لها هذه الغبطة ، ولكن ذلك مستحيل .. فعلينا ان نصبر حتى نلتقى فى النعيم » ..

ـ ولكن هذا لايغير من الامر شيئا ، فلابد للمرء ـ اذا ما فكر فى أولئك الذين كان حبيبا اليهم ـ من أن يجد مشقة فى أن لا يسائل نفسه عما اذا كان قد أصاب فى اقتطاع نفسه عنهم ؟؟

وفجأة ، اشرق وجه الام الرئيسة ، وقالت : « أو تراك تسائليننى عما اذا كنت قد ندمت يوما على الخطوة التى اتخذتها ؟ .. أبدا ، أبدا .. لقد استبدلت بحياة تافهة ، لاقيمة لها ، حياة قوامها التضحية والتعبد »

ران عليهما صمت وجيز ، ثم ابتسمت الام وأردفت فى لهجتها اللطيفة الخفيفة : « سأطلب منك ان تحملى معك طردا صغيرا تسلمينه الى مكتب البريد

عند وصولك الى مرسيليا ، اذ اننى لا ابغى ان أعهد به الى مكتب البريد الصينى .. سأحضره لك حالا »

قالت كيتى : « تستطيعين أن تعطينى اياه غدا »

– سيكون لديك من الشواغل مايصرفك عن الحضور الى هنـــا غدا يا عزيزتى .. وانه لانسب لك أن تودعينا الليلة

ونهضت فى رشاقة جليلة غير متكلفة ، لم تكن ثيـــابها الفضـــفاضة لتخفيها ، وغادرت الحجرة .. وان هى الا لحظة حتى أقبلت الاخت سان جوزيف ، وقد جاءت تودعها متمنية لها أن تحظى برحلة ممتعة ، ومؤكدة لها انها ستكون آمنة لان الكولونيل « يو » سيوفد معهــا حراسة قوية ، فضلا عن أن الراهبات اعتدن أن يقمن بالرحلة دائما وحيدات فلم يمسهن أذى .. وسألتها هل تحب ركوب البحر .. ثم اردفت تصف ما اعتراها هى من دوار حين هبت عاصفة وهى تجتاز المحيط الهندى .. ثم أعربت عن يقينها من ان « المدام » – والدة كيتى – ستبتهج ولا شـك اذ ترى ابنتها ، وسترعاها بنفسها ، سيما وان فى احشائها الان نفســا اخرى صغيرة ، وانهن جميعا سوف يصلين من اجلها ، وهى بالذات ســتصلى دواما من اجلها ومن اجل الطفل الصغير العزيز ، ومن اجل روح الطبيب المسكين ، الشجاع .. كانت الراهبة ذلقة اللسان ، رحيمة ، حنونا ، ومع ذلك فقد احست كيتى فى اعماقها بأنها لم تعد فى نظر الاخت سان جوزيف – التى تتطلع دواما الى الابدية – سوى مجـــرد طيف لا جســـم له ولا كيان مادى .. وتملكتها رغبة جامحة فى ان تمسك بكتفى الراهبة الطيبـة البدينة فتهزها وتصيح : « أولا تعلمين أننى آدمية ، تعسة ، وحيـدة ، واننى انشد السلوى والعطف والتشجيع .. أواه ، الا تســتطيعين ان تتحولى لحظة عن الله وان تسبغى على شيئا من الحنان .. لا ذلك الحنان الدينى الذى تولينه كل المعذبين ، فانما أنا أنشد حنانا انسانيا !؟ » .. وبعثت الفكرة الى شفتى كيتى ابتسامة وقد تصورت ماينتاب الاخت سان جوزيف من دهشة لو أنها فعلت !.. لسوف تقتنع اذ ذاك بما لم يكن يرقى لديها حتى الآن عن مرتبة الشك : ان جميع الانجليز .. مجانين !

لـكن كيتى اكتفت بأن أجابت « اننى لحســن الحظ أحتمل الرحلات البحرية ، ولم أصب حتى الان بدوار البحر »

وعادت الام الرئيسة مبتسمة ، تحمل طردا صـغيرا أنيق الحـــزم ، وقالت : « هذه مناديل صنعتها لامى لمناسبة عيدها .. وقد طرزت بناتنا هنا حروف اسمها عليها » .. وهنا أشارت الاخت سان جوزيف الى أن كيتى قد تحب أن ترى جمال التطريز ، ففكت الام الرئيســة الطرد فى ابتسـامة

مشفقة ، مسترحمة .. وكانت المناديل من تيل خفيف جدا ، وقد طرزت الحروف بحيث تداخلت وتشابكت بعضها فى بعض ، يعلوها تاج من اوراق التوت .. وبعد ان اعربت كيتى عن اعجابها بها ، لفتها الرئيسة ثانية ، وسلمتها اياها .. واذ ذاك هتفت الاخت سان جوزيف : « حسنا يا سيدتى .. آن لى أن أنصرف » ، وكررت لهـا تحياتها المجاملة ، ثم انصرفت .. وادركت كيتى ان لحظة توديع الرئيسة قد حانت ، فشكرت لها مالقيت منها من كرم .. وسارا معا خلال الابهاء العارية ، ذات الجدران البيضاء .. وتساءلت الرئيسة : « الست اتعبك اذ اسألك ان تسجلى الطرد بالبريد حين تصلين الى مرسيليا ؟ »

فقالت كيتى : « سأسجله بالتأكيد » .. والقت نظرة على العنوان ، فبدا لها الاسم محفوفا بالعظمة . لكن المكان استلفت انتباههـا ، فهتفت : « عجبا .. هذا أحد القصور التى شاهدتها ، اذ جلت مرة خلال فرنسـا بالسيارة مع بعض الاصدقاء »

فقالت الام الرئيسة : « من الجائز جدا ، فان زيارته ومشاهدته تتاح للاغراب فى يومين من كل أسبوع »

ـ اعتقد اننى لوكنت اقمت فى مثل هذا المكان البديع ، لما وجدت الجرأة على مغادرته !

ـ انه حقا أثر تاريخى يندر مثاله ، لكنى اذا أسفت على شىء ، فلست آسف على هذا ، وانما آسف على القصر الصغير الذى كنا نعيش فيه وانا بعد طفلة ، ويقع فى جبال « البيرينز » .. لقد ولدت الى جوار البحر ، ولا أنكر أننى أهفو أحيانا الى سماع صوت الامواج وهى تتلاطم على الصخور..

وخطر لكيتى أن الام الرئيسة تحاول ان تسخر منها ، لـكنهما كانتا قد بلغتا باب الدير ، الباب الصغير المتواضع .. **ولدهشة كيتى ، احتضنتها الام الرئيسة وقبلتها .. وكان وقع شفتيها الشـاحبتين على وجنتى كيتى على التعاقب ، مفاجئا لها بدرجة جعلت الدم يتصاعد الى وجههـا ، بل بعثت فى نفسها ميلا .. الى البكاء**

وظلت الرئيسة محتضنة اياها برهة وهى تقول : « وداعا ، وليباركك الله يا ابنتى العزيزة . تذكرى ان ليس بالكثير ان تؤدى واجبك ، فهو مطلوب منك ، وليس من فضل لك اذا اديته اكثر مما قد يكون هنـاك من فضل اذا أنت غسلت يديك حين تتسخان .. انما الشىء المهم الوحيد هو حب القيام بالواجب ، فعندما يكون الحب والواجب شيئا واحدا ، تعمر نفسك بالجمال والبهاء ، وتستمتعين بسعادة تفوق كل ادراك .. »

وأغلق باب الدير دونها .. للمرة الاخيرة !

- ٦٩ -

سار وادينجتن مع كيتى صاعدين التل ، ثم عرجا جانبا ليلقيا نظرة على قبر وولتر .. وعند القوس التذكارى ، ودعها .. وألقت على النصب نظرة اخيـــرة ، فأحست بأنها أصبحت تقوى على أن تجيب على الروح الساخرة التى تتراءى لها فيه ، بسخرية مماثلة من عندها !

وصعدت الى المحفة ..

وأخذت الايام تمر تباعا .. وكانت المناظر التى تصادفها أثناء رحلة العودة بمثابة أفق خلفى تتوالى منه افكارها .. كانت تراها كمـــا لو كانت نسخا مزدوجة ، قد لف بعضها فى بعض وكأنها وضعت فى منظار اسطوانى ، واقترنت بكل منها معانى جديدة ، اذ كانت تضيف الى كل شىء ذكرى لما رأت حين قامت بالرحلة ذاتها – فى الاتجاه المضاد – منذ أسابيع قلائل .. وكان الحمالون الصينيون يمضون بأحمالهم فى غير انتظام ، يسير كل اثنين أو ثلاثة منهم مترافقين ، ثم يأتى خلفهم بعد مائة ياردة واحد يسيـــر منفردا ، ليتلوه اثنان او ثلاثة اخرون .. وكان جنود الحراسة يطوون الارض فى خطوات غير منسقة ، قاطعين خمسة وعشرين ميلا فى اليوم .. وكان يحمل محفة الوصيفة رجلان ، أما محفة كيتى فكان يحملها أربعة ، لا لانها كانت أثقل وزنا ، ولـكن من قبيل الاكرام والمجاملة ...

وكانوا يصادفون بين آن وآخر صفا من الحمالين الوطنيين يسيـــرون مترنحين تحت احمالهم الثقيلة ، أو يلتقون بموظف من الصينيين يستوى فى محفة ويحملق بنظرات متسائلة فى المرأة البيضاء ! واحيانا كانوا يمرون بفلاحين يسعون الى السوق وقد ارتدوا القبعات العريضة الحواف ذات اللون الازرق الباهت .. وأحيانا أخرى بامراة ، عجوز او شابة ، تسير متمايلة على قدميها الصغيرتين ..

وصعدوا سفوحا وهبطوا أخرى وهم يجتازون التلال الصغيرة تكسوها حقول الارز المنسقة ، والدور الريفيـــة تستسلم فى دعة لاحضان أحراش الغاب (البوص) .. ومروا بقرى فقيرة ، وبمدن آهلة تحيط بها الاسوار كمدن الاساطير .. وكانت شمس الخريف الباكر رائعة . وحتى حين كانت البرودة تسرى فى الجو عند مطلع الفجر وهو يخلع بأضوائه الباهتة على الحقول المترامية سحرا من جو الاساطير ، فان الدفء كان لا يلبث أن يسرى بعد ذلك فيكون له وقع جميل..وكان ذلك يملأ نفس كيتى بشعور من الدعة والاسترخاء لاتحاول له صدا .. فان المناظر الحية ، بألوانها البهيجة ، وتباينها غير المرتقب ، وطرافتها ، كانت تبدو كستار موشى تتراقص عليه

أطياف خيال كيتى كما لو كانت ظلالا لاشباح خفية .. أجل ، كانت المناظر تبدو غير حقيقية ، فاذا بمنطقة « مى ـ تان ـ فو » بأسوارها ذات البروج والحصون ، تظهر كلوحة مرسومة بالالوان أقيمت على مسرح لتمثل مدينة فى مسرحية قديمة .. أما الراهبات ، ووادينجتن ، وابنة « مانشو » التى كانت تحبه ، فبدوا كشخصيات وهميـــة مقنعة فى المسرحية .. وأخيرا كانت هناك شخصيات المسرحية الثانوية « الـــكومبارس » ، وهم أولئك المنسابون فى الطرق الضيقة الملتـــوية ، وأولئك الذين قضوا نحبهم .. وكانت لهؤلاء طبعـــا ، بل كانت للجميع ، قيم ومعان خاصة .. كأنما كانوا جميعا يؤدون رقصة تقليـــدية رائعة ، عتيقة .. فأنت تدرك أن لحركاتهم المعقدة ، المقيدة ، معنى من الضرورى لك ان تلم به ، ولـكنك لاتجـــد سبيلا الى فهمه ، ولا ضوءا يبدد غموضه ..

وبدا الامر لـكيتى أبعد من ان يكون حقيقة .. ومرت فى الطريق اذ ذاك امرأة عجوز فى ثوب أزرق كان شعاع الشمس يحيله لازورديا ، وقد بدا وجههـــا الملىء بالغضون والتجـــاعيد أشبه بقناع من عاج تقـــادم به العهد .. وكانت تتوكأ ـ وهى تمشى على قدميها الصغيرتين ـ عـــلى عصا سوداء .. **فبدا لـكيتى وهى تتأمل مافعلت بها الايام ، ان ممايصعب تصديقه أنها وولتر قد اشتركا فى تلك الرقصة الغريبة غير الواقعية ، بل وكان دورهما فيها هاما .. كيف لا وقد كان من الممكن أن تفقد حياتها بسهولة ، ففقد هو حياته .. يالها من مهزلة !.. لعل الامر كله لم يعد ان يكون حلما لن تلبث أن تستيقظ منه فجأة ، فتطلق زفرة ارتياح .. فالواقع أن ذلك كله كان يبدو لـكيتى أحيانا كأنه حدث فى زمن سحيق ، وفى مكان بعيد ! .. وكان من الطريف حقا أن يبدو الاشخاص أحيانا ازاء مناظر الحياة الواقعية تحت ضوء الشمس كأشباح باهتة .. وفى أحيـــان أخرى كانت الاحداث تبدو لـكيتى وكأنها وقائع قصة كانت تقرأها .. لـكن العجيب حقا انها لم تكن تحرك فى نفسها سوى القليل من الاهتمام ، بل لقد تبينت انها لم تعد تذكر وجه وادينجتن بوضوح ، رغم أنها الفته !**

.. وأخيـــرا حل اليوم الذى كان مقررا أن تبلغ فى مسائه مدينة على ضفة النهر الغربية ، تستقل منها باخرة فلا تلبث أن تبلغ هونج كونج مع مهبط ليل اليوم التالى ..

ـ ٧٠ ـ

◆ **كانت** كيتى فى اول الامر تشعر بالخجل لانها لم تبك وتنتحب حين مات وولتر ، اذ لاح لها هذا نابيـــا ، بشعا .. اى عار ! .. حتى الضابط

الصينى ـ الكولونيل « يو » ـ تندت عيناه بالدموع ! ٠٠ والواقع ان وفاة زوجها قد أذهلتها . كان من العسير أن تقر فى وعيها أنه لن يعود الى الدار ثانية ، وانها لن تسمعه وهو يأخذ حمامه اليومى فى الصباح ٠٠ لقد كان حيا ، ثم اذا به ميت ! ٠٠ ولقد عجبت الراهبات لصبرها ، وأعجبن بجلدها فى تحمل المصاب ٠٠ لكن وادينجتن كان ماكرا ، فقد أحست رغم كل ما ابداه من عطف آس ، بأنه ـ كيف تصف ذلك الشعور ؟ ـ بأنه كان يضع لسانه فى شدقه ! ٠٠ أو بمعنى آخر ، بأنه لم يكن مقتنعا بحزنها ٠٠ فى حين أن وفاة ((وولتر)) كانت صدمة حقيقية لها ، فما كانت تريد له أن يموت ـ ولو انها لم تكن تحبه ، ولا أحبته قط يوما ! ـ وقد اقتضتها اللياقة ان تتكلف المظاهر المناسبة للحزن الذى نزل بساحتها ، اذ كان من البشع المستنكر ان تطلع احدا على مكنون قلبها ، غير انها كانت قد عانت ما لا يمكنها من الافراط فى الاصطناع ٠٠ ولقد بدا لها ان الاسابيع القليلة الأخيرة ـ على الاقل ـ قد علمتها ان الضرورة اذا دعت أحيانا الى الكذب على الآخرين ، فان من المستهجن ان تكذب على نفسها ٠٠ وهى قد أسفت لوفاة وولتر بهذا الشكل المحزن ، لكن أسفها كان منبعثا عن أسى انسانى محض ، كذلك الذى يواتيها نحو أى شخص من معارفها ٠٠ وانها لتعترف بأن وولتر كان ذا مناقب تدعو للاعجاب ، ولكن الذى حدث انها لم تمل اليه ٠٠ لم تحبه ٠٠ كان يبعث السأم دائما فى نفسها ! ٠٠ وما كانت لتصف موته بأنه خلاص وراحة لها ، وانما كانت تقول لنفسها ، صادقة ، انه لو أتيح لكلمة منها أن ترده الى الحياة،لما توانت عن قولها ! ٠٠ لكنها لم تكن تملك أن تنكر الشعور بأن وفاته قد يسرت أمامها السبيل بعض الشىء ، فما كان من المحتمل ان يسعدا معا قط ، كما ان الفراق كان صعبا عسيرا ٠ ولقد ازعجها ان تشعر ـ فيما بينها وبين نفسها ـ بهذا الشعور ، وخيل اليها ان الناس لو دروا به لرموها بالجحود والقسوة ، واذن فلا ينبغى لهم ان يدروا ٠٠ وكانت تسائل نفسها ، ترى هل كانت لكل زميلاتها أسرار مخجلة يدفنها فى قلوبهن ويقضين اوقاتهن فى صيانتها من النظرات المتطفلة !؟

على انها لم تكن توغل فى النظر الى المستقبل ، ومن ثم لم ترسم خططا ما ٠٠ كل ما كانت تدركه هو انها لم تكن ترغب فى ان تمكث فى هونج كونج سوى أقصر أمد ممكن ٠٠ بل انهـــا كانت تتطلع الى وصولها الى هناك فى هلع ، وتود لو ظلت تجوس فى محفتها خلال ذلك الريف الودود الباسم ، وتقضى العمر تشهد ، فى غير ما اكتراث ، مناظر الحياة تترى كخيال الظل ٠٠ وتأوى كل ليلة تحت سقف غير الذى أظلها فى الليلة السابقة ٠٠ بيد أنه لم يكن ثمة بد من أن تواجه المستقبل القريب : فمتى بلغت هونج كونج ،

خليق بها أن تأوى الى فندق ، ثم تعمل على التخلص من الدار وبيع الاثاث ، ولا تدع ثمة حاجة تضطرها الى أن ترى تشارلى ! وهو بدوره خليـــق به أن يظل بعيدا عن طريقها ٠٠ على أنها تمنت ــ مع ذلك ــ أن تراه مرة أخرى ، لتصارحه بمدى ازدرائها اياه ٠٠ ولكن ٠٠ ما قيمة تشارلى تاونسند وما أهميته ؟

وأخذت تخفق فى قلبها ، بالحاح ، فكرة واحدة ، كنغم عال من قيثـارة يتردد وسط الانغام المتداخلة المركبة فى سمفونية ٠٠ كانت نفس الفكرة التى أضفت على حقـول الارز جمالا غريبـا ، والتى دفعت الى شفتيهـا الشاحبتين ابتسامة حين مر بها فتى أمرد ، كان ينطلق فى طريقه الى سوق البلدة وفى حركاته طرب ، وفى عينيه جرأة ٠٠ نفس الفكرة التى كانت تسبغ على المدن الصاخبة التى اجتازتها سحرا ٠٠ **لقد كانت المدينة الموبوءة سجنا افلتت منه ، فاذا بها تخال انها ابدا لم تعرف ما لزرقة السماء من بهاء ، وما لمنظر عيدان الغاب المنحنية فى جلال ورشاقة على جانب الطريق ، من بهجة ٠٠ انها الحرية ! ٠٠ تلك كانت الفكرة التى راحت تتردد فى قلبها كالنغم ، فاذا المستقبل رغم ظلامه يمسى شفافا ، تنعكس خلاله أطياف الامل انعكاس شعاع الشمس على الضباب المعلق فوق النهر فى الصباح ٠٠ الحرية ! ٠٠ لا من قيد كان يضنيها فحسب ، ولا من رفقة كانت تثقل عليها فقط ٠٠ الحرية ، ليس من الموت الذى كان يتهددها وحده ، وانما الحرية من الحب الذى كان يستبد وينحط بهـا ٠٠ والحرية من كل الروابط الروحية ، ومن الروح المجردة عن الجسد ٠٠ ومع الحرية ، داخلتها شجاعة وجسارة جعلتاها لا تكترث لأى شىء قد تأتى به الايام !**

- ٧١ -

◆ **عند ما** دخلت السفينة ميناء « هونج كونج » ، كانت كيتى تقف على سطحها تتأمل الحركة النشيطة ، البهيجة ، المتباينة الالوان ، فى النهر ٠٠ فأوت الى قمرتها لتستوثق من أن الوصيفة لم تغفل شيئا ، وألقت نظرة على صورتها فى المرآة ٠٠ كانت ترتدى ثوبا اسود صبغته لها الراهبات ، لكنه لم يكن من ثياب الحداد ٠٠ وطاف بخاطرها ان ابتياع ملابس للحداد هو اول ما يجب ان تفعله ، فليس اجدى منها فى اسدال ستار كاف لأن يخفى ما قد يساورها من مشاعر لا يهضمها الناس من أرملة !

وسمعت طرقات على باب القمرة ، فخفت الوصيفة تفتحه ٠٠ واذا بصوت يهتف : « مسز فين » !

والتفتت كيتى فرأت وجها لم تعرفه فى بادىء الامر ، ثم خفق قلبهـا فجأة بسرعة ، وتدافعت الدماء الى وجهها٠٠ كانت القادمة « دوروثي تاونسند »

وما كانت كيتى لتتوقع ان تراها ، ومن ثم لم تدر ماذا تقول او ماذا تفعل ٠٠ لكن مسز تاونسند ولجت القمرة ، وفى حركة سريعـة احتضنت كيتى بين ذراعيها معانقة ، وهتفت بها : « أواه يا عزيزتى ٠٠ يا عزيزتى ٠٠ ما أشد أساى من أجلك ! »

وانصاعت كيتى لقبلاتها وهى فى دهشة لهذه الحرارة من امرأة طالما اعتبرتها باردة الحس ، متأنفة ٠٠ وتمتمت : « انه لـكرم عظيم منك ان أتيت »

ـ هيا الى سطح المركب ، وستعنى الوصيفة بمتاعك ، كما اننى احضرت خدمى ٠٠

وتناولت يد كيتى ، فانساقت لها كيتى وهى تلاحظ ان وجهها الطيب ، الذى لوحته الشمس بالسمرة ، ينم عن اهتمام صـــادق ٠٠ وقالت مسز تاونسند : « لقد وصلت مركبك مبكرة عن موعدها ، حتى لقد أوشكت أن لا اكون هنا فى الوقت المنـاسب ٠٠ وما كنت لأحتمـــل ان لا اكون فى استقبالك ٠٠ »

فهتفت كيتى : « ما احسبك جئت خصيصا لاستقبالى ؟ »

ـ بل لهذا جئت ٠٠

ـ ولكن ٠٠ كيف عرفت اننى قادمة ؟

ـ لقد ابرق لى مستر وادينجتن ٠٠

وأشاحت كيتى بوجهها وقد قفزت الى حلقهـا فجأة غصة ٠٠ كان من الطريف ان يهز مشاعرها هذا العطف الذى ما كانت تتوقعه ٠ ولم تك راغبة فى البكاء ، وانما تمنت لو أن دوروثى تاونسند خلفتها وانصرفت !٠٠ لـكن دوروثى أمسكت بيدها التى كانت متخاذلة الى جوارها ، وراحت تضغطها ٠٠ وأدهش كيتى أن تكون لهذه المرأة الخجول مثل هذه المقدرة على التعبير عن عواطفها !

وقالت دوروثى تاونسند : « اننى اريد ان تسدى لى صنيعا كبيرا ٠٠ ان تشارلى وانا نود أن تأتى فتقيمى معنا خلال مدة وجودك فى هونج كونج »

فاجتذبت كيتى يدها وقالت : «هذا كرم عظيم منكما .. لكننى لا أستطيع»

ـ بل يجب ٠٠ ما أراك تذهبين الى دارك وتقيمين فيها وحدك ٠٠ سيكون هذا فظيعا بالنسبة لك ٠٠ لقد أعددت كل شىء ، وستكون لك غرفة جلوس خاصة بك ، وتستطيعين أن تتناولى فيها وجباتك اذا لم تشائى أن تتناوليها معنا .. كلانا يرجو أن تأتى ٠٠

ـ لم أكن أفكر في الذهاب الي البيت ، بل كنت مزمعة أن أحجز لنفسي

غرفة فى فندق هونج كونج ، فما أرجو أن أجشمكم كل هذا العناء ..

كان الاقتراح مفاجأة لها ، فأربكها وساءها .. لو كان لدى تشارلى شيء من اللياقة والادب ما سمح لزوجته بأن تدعوها .. وما كانت تود أن تكون مدينة لاى منهما بأى فضل !

وقالت دوروثى : « أواه ، اننى لا اطيق التفكير فى ان تقيمى بفندق .. ثم انك ستكرهين فندق هونج كونج بما يعج بهمن أناس ، وموسيقى «الجاز» التى تعزف فيه باستمرار .. أرجو أن تقبلى .. لقد وعدت تشارلى ، ولن أضايقك أو أثقل عليك .. »

فقالت كيتى وقد أوشكت حججها أن تنفد ، دون أن تقوى على أن تعتذر فى حزم بات : « لست أدرى لم توليانني كل هذا العطف ؟.. أخشى أن لا أصبح الآن فى حالة تمكننى من أن أكون طيبة الصحبة للاغراب »

ـ ولكن .. أو نحن غريبان عنك ؟ أواه ، لست اود ذلك ، بل اننى ارغب فى أن تسمحى الى بأن أكون صديقتك ..

وضمت دوروثى يديها ، وبدا صوتها ـ الصوت الفاتر ، المتراخى ، غير المكترث ـ كما لو كان دامعا ، وهى تستطرد قائلة : « لشد ما أرجو أن تأتى .. الواقع اننى اريد لأن أعوضك »

ولم تفقه كيتى ما كانت تعنى ، اذ لم تكن تدرى بأى تعويض كانت زوجة تشارلى مدينة لها !.. لكن دوروثى استأنفت حديثها قائلة : « يؤسفنى اننى لم أمل اليك كثيرا فى البداية ، كنت أظنك متحذلقة .. وأنت تعرفين أننى من الجيل القديم ، وأظننى لذلك على شيء من التزمت »

فرمقتها كيتى بنظرة عابرة .. كانت تعنى انها ظنتها فى البداية غير محتشمة .. مبتذلة .. ومع ان كيتى جهدت كى لا يلوح على وجهها شيء مما كان يدور فى نفسها ، الا انها ضحكت فى أعماقها .. لشد ما أصبحت الان تحفل بظنون الناس فيها !

واسترسلت دوروثى قائلة : « وعندما سمعت أنك كنت ذاهبة مع زوجك الى فكى الموت ، دون ما تردد ، شعرت بخوف شديد .. وأحسست بهوان وصغار . لقد كنت رائعة ، كنت شجاعة ، جعلتنا جميعا نبدو مبتذلات ، وضيعات .. »

وكانت الدموع فى أثناء ذلك قد انسابت على وجهها الوادع ، الرحيم ، وهى تتابع حديثها : « ليس بوسعى أن اصف لك مدى اعجابى بك ، ولا مبلغ احترامى لك.. اننى لادرك اننى لا املك ان اعزيك فى مصابك القاسى ، لكنى اريدك أن تعرفى مدى شعورى العميق ، ومدى وفائى لك .. ولسوف تكون مأثرة منك أن تسمحي لي بأن أؤدى أية خدمة بسيطة لك .. فلا تحقدي

على لكونى اسأت الحكم عليك ، فأنت بطلة ، فى حين اننى لست سوى امرأة حمقاء غبية »

وغضت كيتى بصرها ٠ كانت شديدة الشحوب ، وتمنت لو أن دوروثى لم تظهر مثل هذه العواطف الفياضة ٠٠ صحيح أن هذا أثر فى نفس كيتى، لكنها لم تستطع أن تقاوم شيئا من نفاد الصبر والبرم بأن تصدق تلك الساذجة مثل هذه الاكاذيب عنها !

وتنهدت أخيرا قائلة : « اذا كنت مصرة على الرغبة فى أن أنزل ضيفة عليكما فيسرنى طبعا أن ألبى دعوتك »

- ٧٢ -

كان آل تاونسند يقيمون على قمة التل فى بيت يطل الشطر الاكبر منه على البحر ٠ وكان من عادة تشارلى أن لا يعود الى البيت لتناول طعام الغداء ، لكن دوروثى انبأت كيتى فى يوم وصولها – وقد اطمأنت كل منهما الى الاخرى وتخلت عن الكلفة – بأنه يسر بأن يحضر ليرحب بها ، اذا أحست برغبة فى انتلقاه ٠٠ ورأت كيتى انها ما دامت ستضطر الى رؤيته ، فمن الخير ان تراه عاجلا ، وراحت تتمثل فى خاطرها – مسرورة – ما سوف تسببه له من حيرة وارتباك ! وكانت قد تبينت بجلاء أن فكرة دعوتها للاقامة فى البيت قد نبتت فى الأصل فى ذهن زوجته ، وانه رغم مشاعره الخاصة بادر الى الموافقة ٠٠ وكانت كيتى تدرك مدى رغبته دائما فى أن يؤدى الواجب – ومن الجلى أن كرم الضيافة من أهم وأقدس الواجبات – **ولكنها ما كانت تستطيع أن تتصور أن فى وسعه أن يتذكر لقاءهما الأخير دون أن يتولاه الخجل الخانق ، فان هذا اللقاء ينبغى أن يكون – بالنسبة لرجل مزهو مغرور مثل تاونسند – مصدر علة كالقرحة ، لا سبيل الى شفائها !٠٠ وكانت تتمنى أن تكون قد آلمته كما آلمها ، وتوقن أنه لا بد راض نفسه على أن يكرهها ٠٠ وسرها أنها لم تكن تكرهه ، بل كانت تحتقره ٠٠ وبعث فى نفسها رضاء ينطوى على شىء من السخرية اللاذعة ، ان تتصور أنه رغم مشاعره مضطر الى أن يكرمها ٠٠ اذ لا بد أنه تمنى – بعد أن بارحت مكتبه عصر ذلك اليوم المشئوم – أن لا تقع عيناه عليها قط مرة أخرى !**

وها هى ذى تجلس مع دوروثى فى انتظار مقدمه ، وقد فطنت الى انها استعذبت ما كان فى غرفة الجلوس من فخامة محتشمة ٠٠ كانت تجلس فى مقعد وثير ، وقد تناثرت الزهور الجميلة هنا وهناك ، وازدانت الجدران بصور بهيجة ٠٠ وكانت الحجرة ظليلة ، وجوها عليلا ، وقد سيطرت عليها روح الود والوئام والهدوء ٠ وارتجفت كيتى اذ ذكرت قاعة الجلوس العارية فى دار طبيب الارسالية ، والمقاعد الخيزرانية ، ومنضدة المطبخ بغطائها

القطنى ، والارفف الملطخة التى كانت تحمل كل تلك الروايات الرخيصة ، وتلك الستائر الحمراء ذات المظهر المترب ٠٠ لكم كانت دارا غير مريحة ! ٠٠ ولعل دوروثى لم تفكر يوما فى هذا الأمر !

وسمعا صوت سيارة تقترب ، وما لبث ان اقبل تشارلى على الحجرة بخطى واسعة ٠٠ وهتف عند دخوله : « هل تأخرت ؟ أرجو ان لا اكون قد ابقيتكما طويلا فى انتظارى ، فقد كنت مضطرا الى مقابلة الحاكم ولم اجد سبيلا للفرار » ٠٠ وتقدم من كيتى فتناول راحتيها قائلا : « **لشد ما انا مسرور بمقدمك . انى لأدرك أن دوروثى قد أعربت لك عن رغبتنا فى أن تعتبرى دارنا كما لو كانت دارك ، ولكننى أحب أن أردد لك هذا القول بدورى . ولن يسعدنى قدر أن أؤدى لك أية خدمة .** ٠ »

وكانت عيناه تومضان باخلاص وسحر ، فساءلت نفسها : أتراه قد فطن الى السخرية التى اومضت بها عيناها ؟ ٠٠ واستطرد يقول : « انني غبى فى اختيار الكلمات التى تعبر عما فى نفسى ، ولا أريد أن أبدى غبائى هذا ، بيد أننى أحب أن أظهرك على مدى عطفى العميق عليك فى محنتك بوفاة زوجك ٠٠ لقد كان شابا طيبا ، نشيطا ، ولسوف نفتقده هنا الى مدى يفوق كل تعبير ٠٠ »

فقالت زوجته : « كفى يا تشارلى ، فانى واثقة من ان كيتى تدرك ما تعنى ٠٠ ها هو ذا الكوكتيل »

ووفقا لما اعتاده الأجانب من رفاهية فى الصين، وفد على الغرفة خادمان فى زى خاص ، يحملان كؤوس وزجاجات « الكوكتيل » وبعض المأكولات الخفيفة ٠ وأبت كيتى ان تتناول شيئا ، فأصر تاونسند قائلا فى لهجته اللطيفة الحفية : « بل يجب ان تتناولى كأسا ، لسوف تفيدك ٠٠ وانى لواثق من انك لم تحظى بشىء كالكوكتيل مذ غادرت هونج كونج ، اذ لم يكن فى وسعك ــ ما لم أكن مخطئا ــ أن تحصلى على ثلج فى «مى ــ تان ــ فو» ٠٠ »

فقالت كيتى : « لا ٠٠ لست مخطئا »

وتمثلت فى ذهنها لحظة صورة المتسول ذى الرأس المشعثة والاسمال البالية التى بدت خلالها ضلوعه النحيلة ، وقد استلقى ميتا الى جوار سور دارها ٠٠ هناك !

- ٧٣ -

◆ **ونهضوا** للغداء ، فجلس تشارلى الى رأس المائدة، وراح يدير الحديث بيسر ٠٠ وكان قد أخذ يعامل كيتى ، بعد كلمات العزاء القليلة ، لا كامرأة تعانى من تجربة قاسية حديثة العهد ، وانما كما لو كانت قدمت لتوها من (شانغهاى) للسياحة او لاجراء عملية لاستئصال الزائدة الدودية ٠٠ كانت

فى حاجة الى انعاش يدخل على نفسها الانشراح ، وكان هو على أستعداد لأن يدخل السرور عليها . وكانت خير طريقة تزيل عنها الوحشة ان يعاملها كما لو كانت فردا من الاسرة .. كان لبقا بارعا ، فشرع يتحدث عن حفلة بدء موسم الخريف لسباق الخيل ، وعن رياضة البولو .. ويحه ! لسوف يضطر الى ان يهجر لعب البولو اذا لم يستطع ان يخفف وزنه .. ثم انتقل الى الحديث الذى دار بينه وبين الحاكم فى الصباح ، وتكلم عن حفلة حضرها على سفينة القيادة ، وعن الاحوال فى كانتــون ، وعن الروابط مع « لوشان » ، **فلم تنقض دقائق حتى شعرت كيتى انها لم تغب عن هونج كونج أكثر من عطلة قصيرة فى نهاية أسبوع .. وغدا من العسير أن تصدق أن فى الريف ، على بعد ستمائة ميل فقط من المكان ـ اى ما يعادل المســافة بين لندن وادنبرة ـ كان الرجال والنساء والاطفال يهوون صرعى كالذباب !** .. وسرعان ما ألفت نفسها تسأل عن هذا او ذاك ممن اشتركوا فى مباراة البولو ، وعما اذا كانت السيدة « فلانة » قد ذهبت الى انجلترا ، او ما اذا كانت السيدة « علانة » قد اشتركت فى مباريات « التنس » الدورية .. وراح تشارلى يلقى نكاته الخفيفة ويضحك لها ، بينما اخذت دوروثى تعلق على عدة افراد من موظفى المستعمرة فى سخرية رقيقة ، وقد حف بهـا شيء من الترفع الذى سرى فى تلك الاثناء الى كيتى فلم يعد فيه ما يمس شعورها ، بل غدا رابطة توثق ما بينهما .. وهتف تشــارلى بزوجتـــه : « انظرى ، لقد بدأ التحسن يظهر عليها .. لقد كانت شديدة الشحوب قبل الغداء حتى اننى جزعت لمنظرها . اما الآن فقد سرى بعض التورد حقا الى وجنتيها »

على أن كيتى راحت تتأمل مضيفها وهى تشترك فى الحديث بشيء من الانتعاش ، لم يبلغ درجة المرح ، اذ أحست أن دوروثى ـ بل وتشارلى ، رغم روحه المرحة الرائعة ـ لن يغفرا لها لو انها انساقت للمرح .. وكانت خلال تلك الاسابيع التى شغل فيها بالها بالنقمة على تشارلى ، قد رسمت له صورة حية من نسيج مشاعرها : كان شعره الكث المجعد اطول قليلا مما ينبغى وقد أفرط فى العناية بتصفيفه .. ولكى يخفى ما بدأ يدب خلاله من شيب ، أخذ يسرف فى تغذيته بالزيت ! .. وكان وجهه شديد الاحمرار ، وقد بدت خلال بشرة خديه شبكة من العروق التى اختلطت فيها الزرقة بالحمرة .. وكان فكه ضخما ، عريضا ، وما لم يرفع رأسه ، فأنك تلمح السمنة تتهدل تحت ذقنه فيما نسميه « لغدا » .. وفى حاجبيه الكثيفين العريضين ، النامبى الشعر ، اللذين كانا يثيران فى نفسها اشمئزازا غامضا ، كانت ثمة سمة من سمات القرود ! .. ثم انه كان ثقيل الحركة ، اذ لم يحل كل ما كان يبذل من عناية بغذائه ، ولا كل ما كان يمارس من رياضة ، دون اطراد

سمنته . وكان بدينـا ، وآثار السن قد بدأت تؤثر على مفاصله .. ثم ان ثيابه الانيقة كانت ضيقة بالنسبـة له ، لا تليق لمن كان فى سنه ..

كانت هذه هى الصورة التى رسمها له خيالها الناقم خلال تلك الاسابيع التى مضت .. لكن كيتى تلقت صدمة اذهلتها حين اقبل على قاعة الجلوس قبل الغداء ـ ولعل هذا كان السر فى اشتداد شحوبها ـ فلقد اكتشفت ان خيالها عبث بها ، ولم يك تشارلى يبدو فى الصورة التى تمثلته عليها اطلاقا، حتى انها لم تملك الا ان تضحك من نفسها : لم يكن فى شعره اثر للشيب قط .. آه ، بل كانت ثمة شعيرات بيضاء قلائل فى مفرقه ، ولكنهـا كانت حديثة النبت .. ولم يكن وجهه احمر ، بل اسمر .. وكان رأسه يستوى على عنقه فى رشاقة ، دون ترهل .. ثم انه لم يكن سمينا ، ولا مكتهلا .. بل كان فى الواقع رشيقا ، وكان شكله يدعو الى الاعجاب .. أفتلومه اذا ازدهى بنفسه قليلا ؟ لقد كان من المحتمل ان يأخذه الرائى على انه فى شرخ الشباب . ثم انه كان انيقا فى اختيار ثيابه ، فكان من السخف ان ينكر احد ذلك . كان يبدو انيقا ، نظيفا ، ممشوقا ، حليق الذقن ، منسق الشعر .. فما الذى انتابها فجعلها تفكر فيه على تلك الصورة ؟ لقد كان مليحا للغاية ، وكان من حظها ان تبينت مدى خسته وتفاهة شأنه .. ثم انها كانت تقر دائما بأن لصوته رنة تملك الاسماع ، فاذا هو كمـا كانت تتذكره تماما .. لكن زيف كل كلمة يقولها صار يبدو أثناء كلامه فى وضوح صارخ .. كان رنينه ودفء نبراته يدويان فى أذنيها دوى الخطل وعدم الاخلاص ، فراحت تعجب فى نفسها : كيف قدر لها ان تغتـر به ؟ وكانت عيناه جميلتين ، فهنا كانت تكمن فتنته . كان لهمـا بريق أزرق ناعم ، وتعبير تستعذبه النفس ، حتى حين يكون كلامه هذرا لا قيمة له !.. كان من المستحيل ان لا تستهويك عيناه ..

وقدمت القهوة أخيرا ، فأشعل تشارلى غليونه ونظر الى ساعته ، ثم نهض عن المـائدة قائلا : « لابد لى من أن أترككما الآن لشؤونكما أيتها الشابتان ، فقد حان لى أن أعود الى المكتب .. »

وامسك لحظة ، ثم قال وعيناه الساحرتان ترمقـان كيتى فى صداقة : **« سأدعك يوما او اثنين دون مضايقة ريثما تستريحين ، بيد اننى احب بعد ذلك ان اتحدث اليك فى بعض الشئون العملية »**

ـ الى انا ؟

ـ اجل ، يجب اتخاذ بعض التدبيرات فيما يتعلق ببيتك ، كما تعرفين .. ثم هناك مسألة الاثاث ..

ـ آه ، ولكننى استطيع ان اعهد بذلك الى محام ، فليس من داع لأن اشغلك به ..

ـ لايخطرن ببالك لحظة واحدة أنى سأتركك تبددين نقودك فى استشارات قانونية ٠٠ سأتولى كل شىء ٠٠ ثم انك تعرفين ان من حقك ان تتقاضى معاشا ، وسأتحدث الى سعادة الحاكم فى شأنه ، لنرى ما اذا كان من الممكن ، بشىء من التوصيات للجهات المختصة ، أن نحصل لك على مزيد ٠٠ دعى نفسك فى رعايتى ، ولا تشغلى بالك بشىء ٠ كل ما نريدك الآن أن تفعليه هو أن تستردى صحتك ٠٠ أليس كذلك يا دوروثى ؟

ـ بلى ٠٠ بكل تأكيد

وهز رأسه فى انحناءة بسيطة ، حتى اذا مر بمقعد زوجته تناول يدها وقبلها ٠٠ ومعظم الانجليز يبدون سخفاء اذ يقبلون ايدى النساء ، اما هو ٠٠ فقد طبع القبلة فى رشاقة وجلال !

- ٧٤ -

◆ **لم** تتبين كيتى انها كانت مضناة مكدودة الا بعد ان استقرت تماما فى دار آل تاونسند ، فان الراحة والرفاهية غير المألوفتين بددتا التوتر والارهاق اللذين كانت تعانيهما ٠٠ كانت قد نسيت متعة ترك النفس على سجيتها ، والدعة التى تنبعث من وجود اشياء بديعة تحيط بالمرء ، واللذة التى تواتى النفس حين يجد الشخص انه موضع الاهتمام والرعاية ٠٠ ومن ثم استسلمت ـ وهى تتنفس الصعداء ـ لفخفخة الحياة الشرقية ٠٠ ولم يضرها أو يمضها ان تشعر انها موضع اهتمام مشوب بالعطف والرثاء ، يبذل لها فى أدب وذوق ، وتستر ٠٠ **فقد كان ترملها حديث العهد ، فكأن من المستحيل أن تقام حفلات للحفاوة بها ، بيد أن السيدات ذوات المكانة فى المستعمرة ـ وهن زوجة صاحب السعادة الحاكم ، وزوجتا أميرال الاسطول وكبير القضاة ـ زرنها وتناولن الشاى معها . وقالت زوجة الحاكم أن سعادته يتوق لرؤيتها ، وان من دواعى السرور ان تأتى لتناول غداء هادىء بعيد عن كل زخرف او كلفة « فهو لن يكون مأدبة رسمية بالتأكيد ، مراعاة لحدادك ، ولن يحضره سوانا والياوران »**

ولقد عاملتها هؤلاء السيدات فى ترفق كما لو كانت تحفة من الخزف ، هشة ، وثمينة ٠٠ ولم يخف عليها انهن كن يرمقنها كبطلة ، فوجدت متعة فى أن تلعب دورها فى تواضع واتقان ٠٠ وكانت تتمنى ـ فى بعض الاحيان ـ لو ان وادينجتن كان حاضرا، فان دهاءه الخبيث كان كفيلا بأن يكشف له ما فى الموقف من فكاهة ٠٠ ولعلها لو كانت خلت اليه ، لاتخذت معه مما يجرى مادة للضحك ! ٠٠ وكانت دوروثى قد تلقت رسالة منه ، اسهب فيها فى الحديث عن تفانى كيتى فى العمل فى الدير ، وعن شجاعتها وجلدها ورباطة جأشها ٠٠ كان يغرر بهن بالطبع ٠٠ ذلك الكلب القذر !

- ٧٥ -

◆ **لم** تدر كيتى أكان ذلك عن صدفة ام عن قصد ، انها لم تجد نفسها على انفراد مع تشارلى لحظة .. وكانت معاملته لها قد راعى فيها الحرص ، فلقد ظل كريما ، رقيقا ، عطوفا ، مسليا .. وما كان أحد ليحدس قط أنهما كانا يوما على اكثر من مجرد التعارف ! .. غير انه مر بالشرفة بعد ظهر أحد الايام وهى مستلقية على اريكة خارج غرفتها تقرأ ، فوقف وسألها « ما هذا الذى تقرئين ؟ »

ـ كتاب ..

وتطلعت اليه فى سخرية ، فابتسم وقال : « لقد ذهبت دوروثى الى حفلةٍ فى حديقة دار الحكومة »

ـ أعرف ذلك .. ولماذا لم تذهب انت الآخر ؟

ـ لم أشعر بأننى سأقوى على احتمالها ، فرأيت ان اعود لأونسك .. ان سيارتى فى الخارج ، فهل تحبين ان تأتى الى نزهة حول الجزيرة ؟

ـ لا .. اشكرك

وجلس على حافة الاريكة التى كانت ترقد عليها وقال : « لم تتح لنا فرصة الكلام على انفراد مذ جئت الى هنا » .. فحدقت فى عينيه مباشرة بنظرة فاترة ، وقالت : « هل تظن أن لدينا شيئا يقوله أحدنا للآخر ؟ »

ـ لدينا مجلدات ..

فأبعدت قدميها حتى لا تمسه ، بينما سألها وعلى شفتيه طيف ابتسامة ، وفى عينيه نظرة خلابة : « **أما زلت غاضبة منى ؟** »

فضحكت قائلة : « البتة ! »

ـ ما أظنك كنت تضحكين اذا لم تكونى غاضبة ..

ـ انك تخطىء ، فأنا احتقرك احتقارا عظيما لا يدع مجالا لان أغضب منك ..

ولم يؤخذ بردها أو يخجل ، بل قال : « **اعتقد انك قاسية على .. تأملى الماضى فى هدوء ، ألا ترين بحق اننى كنت على صواب ؟** »

ـ من وجهة نظرك ..

ـ أما وقد عرفت دوروثى ، فما اراك الا تقرين بأنها ظريفة ؟

ـ حقا ، ولسوف أظل دائما مقدرة لكرمها السابغ نحوى

ـ انها واحدة بين ألف من النساء .. ما كنت لأشعر بالسكينة لحظة لو اننا انسقنا فيما كنت تقترحين .. حقا ما كان أسوأها من حيلةٍ لو أننا لعبناها ! .. ثم كان يجب ـ فوق هذا كله ـ ان افكر فى ابنائى ، فقد كان انفصالى عن امهم كفيلا بأن يقوم عقبة فى حياتهم !

ظلت برهة ترمقه وهى شاردة الذهن ، وقد أحست انها سيدة الموقف المسيطرة عليه تماما ٠٠ ثم قالت : « **لقد راقبتك مراقبة دقيقة خلال الاسبوع الذى قضيته هنا ، فانتهيت الى انك مشغوف بدوروثى حقا ٠٠ وما كنت قط لأتصور انك تشغف الى هذه الدرجة بأحد !** »

– لقد أخبرتك بأننى مغرم بها ، وما كنت لآتى امرا يسبب لها كدرا ولو للحظة واحدة ٠٠ انها خير زوجة فاز بها رجل ٠٠

– هل فكرت يوما فى انك مدين لها بالولاء ، وانك خنت يوما عهد الوفاء لها ؟

فابتسم قائلا : «مالم تره العين لا يحزن له القلب ! »

فهزت كتفيها قائلة : « انك جدير بالاحتقار »

– بل أنا بشر ٠٠ لست أدرى لم تظنيننى على غير هذه الشاكلة لمجرد أننى وقعت فى هواك ؟ الواقع أننى لم أسع الى هذا عمدا ، كما تعرفين ٠٠

وخفق قلبها وهى تسمعه ينطق بذلك ، واجابت فى مرارة : «لقد كنت ضحية سهلة»

– الواقع أننى ما كنت لأتنبأ بأننـــا كنا مسوقين الى مثل تلك الورطة اللعينـــة ٠٠

– وكانت لديك ، على اية حال ، فكرة اريبة اوحت لك بانه اذا كان لابد لاحد من أن يعانى ويتألم ، فلا ينبغى ان تكون انت ذلك الواحد !

– **اظن ان فى هذا شيئا من التجنى ٠٠ وعلى العموم فان المسألة انتهت، وخليق بك أن ترى أننى انما صدرت فى تصرفى عن حرص على خير كل مناء لقد طاش فكرك اذ ذاك ، وكان ينبغى ان تغتبطى باننى احتفظت بتعقلى ٠٠ أفتظنين أننا كنا نفلح لو أننا أتينا ما كنت تريدين ؟ لقـــد دفعنا فى غير هوادة الى «المقلاة» ، ولكن حالنا كانت تزداد سوءا لو أننا قفزنا الى النار ! ٠٠ ثم انك لم تصابى باى ضرر ٠٠ فلم لا نتبادل قبلة الصفح ونغدو صديقين؟**

وكادت تضحك ٠٠ وقالت : « ما ينبغى لك أن تتـــوقع أن أنسى أنك أرسلتنى الى موت محقق دون اتفه وازع من ضمير !؟»

– آه ، أى هراء هذا ؟٠٠ لقد انبأتك بان لا خطر هناك اذا اتبعت الاحتياطات المعقولة ٠٠ أو تظنين أننى كنت أدعك تذهبين لحظة واحدة لولا اننى كنت مقتنعا بذلك كل الاقتناع ؟

– كنت مقتنعا لانك كنت راغبا فى الاقتناع ٠٠ انك أحد أولئك الجبناء الذين لا يفكرون الا فيما يرون ان التفكير فيه يعود عليهم بالنفع !

– حسنا ، ان الاكل خير ما يدل على جودة الطعـــام ٠٠ وها انتذى قد عدت ، واذا لم يسؤك أن أقول الحق ، فأنت قد عدت أجمل من قبل !

– و « وولتر » ؟

ولم يقو على مقاومة الجواب المنطوى على تملق والذى قفز الى ذهنه ، فابتسم قائلا : «لا يلائمك لون مثل الاسود ٠٠»

فحملقت فيه برهة ، وأغرورقت عيناها بالدموع ، ثم شرعت فى البكاء ٠٠ وعبث الاسى بوجهها الجميل ، فلم تحاول أن تخفى شجونها ، ولكنها استلقت على ظهرها وذراعاها الى جانبها ، فهتف : « لا تبكى بربك ٠٠ ما أردت ان اقول لك ما يؤلم ٠٠ كانت مجرد مزحة ٠٠ انك لتعرفين مدى اشفاقى عليك فى حزنك»

ـ اواه ٠٠ امسك لسانك الغبى عن الكلام !

ـ اننى لا اضن بشىء فى سبيل استرجاع وولتر ٠٠

ـ لقد مات بسببك وسببى !

فتناول يدها ٠٠ لكنها انتزعتها منه ، وقالت منتحبة : « ارجو ان تنصرف ٠٠ هذا هو الشىء الوحيد الذى اوده منك الان ٠ اننى اكرهك واحتقرك ! كان وولتر خيرا من عشرة من صنفك ، وكنت حمقاء رعناء اذ لم أتبين ذلك فى حينه ٠٠ اخرج ٠٠ اخرج ! »

ورأته يهم بأن يتكلم ، فقفزت من مكانها وهرعت الى مخدعها ٠٠ فتبعها ، ودخل خلفها ٠٠ وفى حذر غريزى ، اغلق مصاريع النافذة حتى اصبحا فى ظلام تقريبا ٠٠ وقال وهو يحيطها بذراعيه : «لا أستطيع أن أتركك هكذا ٠ انك لتعلمين أننى لم أرد أن أسىء اليك ٠٠ »

ـ لا تمسنى ٠٠ اذهب بالله ٠٠ اذهب ٠٠

وحاولت ان تنتزع نفسها منه ، ولكنه لم يفلتها ٠٠ واخذت تبكى فى انفعال ٠٠ فقال فى صوته العميق ، الساحر : «الا تعرفين يا حبيبتى اننى كنت دائما احبك ٠٠ واننى اليوم اكثر حبا من ذى قبل ؟»

ـ ما أبرعك فى نسج الاكاذيب !٠٠ دعنى ٠٠ لعنة الله عليك ٠٠ دعنى !

ـ لا تكونى قاسية على ياكيتى ٠٠ اننى لادرك اننى كنت فظا معك ، ولكن ٠٠ اصفحى عنى

وكانت ترتعد وتبكى وهى تحاول التخلص منه ، لكن ضغط ذراعيه كان يبعث فيها ارتياحا غريبا ٠٠ لشد ما حنت الى ان تحس بهما حولها مرة اخرى !٠٠ مرة واحدة ٠٠ واخذ كل جسدها يرتعد ٠٠ وشعرت بوهن مفرط ٠٠ كأنما كانت عظامها تنصهر وتذوب .. واستحال الاسى الذى كان يتولاها من اجل وولتر ، الى رثاء لنفسها ..

فقالت وهى تنتحب : « أواه ! ٠٠ كيف تقوى على أن تقسو على هكذا ؟ .. ألا تعرف أننى أحببتك بكل قلبى ؟ ٠. ما أحبك أحد قط كما احببتك ! »

ـ يا حبيبتى ...

واخذ يقبلها ، فصاحت : « لا .. لا »

وراح يتلمس وجهها بشفتيه ، فأشاحت عنه .. وتلمس شفتيها .. ولم تعرف ماكان يقول من كلمات الهوى المشبوبة بلهجته المتهدجـــة .. وكانت ذراعاه تشدانها فى قوة حتى انها أحست بأنها كالطفل الذى كان تائها ثم اهتدى الى داره بسلام .. واخذت تئن فى وهن .. وكانت عيناها مغمضتين ، ووجهها مبللا بالدموع .. ثم عثر على شفتيها ، فأطبق عليهمـا بشفتيه ، واذا بها تشعر كأن جذوة من نار خالدة انطلقت فى جسدها .. كانت نشوة .. نشوة حارقةتألقت بوهجها كأنها طيف شفاف ..ماعرفت مثل هذه النشوة الا فى أحلامها .. فى أحلامها .. ما الذى يفعله بهـــا الان ؟ .. لم تدر .. لم تعد امرأة .. تحللت شخصيتها .. لم تعـد شـيئا سوى .. شهوة ! .. ورفعها الى قدميهـا ، فاذا بها خفيفـــة فى ذراعيه .. وحملها ، فتعلقت به فى وجد .. وفى استسلام يائس .. وغاص رأسها فى الوسادة وقد علقت شفتاه بشفتيها !



- ٧٦ -

◆ جلست على حافة الفراش وهى تخفى وجههـــا براحتيها

وسألها : « هل تودين جرعة ماء ؟ »

فهزت رأسها بالايجاب ٠٠ وسار الى الحوض ، فملأ كوبا وحملها اليها قائلا : « هيا ٠٠ اشربى بعض الماء لتنتعشى » ٠٠ ورفع الكوب الى شفتيها فرشفت الماء ، ثم حملقت فيه بعينين مرتاعتين ٠٠ وكان يقف أمامها يصوب نحوها نظراته من أعلى قامته ، وفى عينيه وميض الرضى عن النفس٠٠ وسألها : « أو مازلت ترينني كلبا قذرا ؟ »

ففضت بصرها وقالت : « أجل ، ولكنني أعرف أننى لست خيرا منك ٠٠ آه ، ما أشد عارى ! »

ـ أرى أنك شديدة الجحود ٠٠

ـ هلا انصرفت الان ؟

ـ ان شئت الحق فاننى ارى ان الوقت قد حان ٠ سأسوى من مظهرى ماتشعث قبل ان تأتى دوروثى ٠٠

وغادر الغرفة فى خطى رشيقة ٠٠ وجلست كيتى هنيهة على حافة سريرها ، مقوسة الظهر ذاهلة وكأنها مخبولة ! ٠٠ كان ذهنها خاويا ٠٠ وسرت فى كيانها قشعريرة ، ثم نهضت الى منضدة الزينة فتهالكت على مقعدها ، وراحت تحدق فى شكلها المنعكس على صفحة المرآة ٠٠ كانت عيناها متورمتين لفرط البكاء ، ووجهها مبللا بالدموع ، وعلى أحد خديها علامة حمراء ، حيث كان قد اسند رأسه ٠٠ وتأملت نفسها مرتاعة ٠٠ كان الوجه هو ذات الوجه الذى كان لها ، وكانت قد توقعت أن يطرأ عليه تغير يسجل الانحطاط والصغار والهوان ٠٠ وصاحت فى الصورة المنعكسة على صفحة المرآة امامها : « يالك من خنزيرة ٠٠ خنزيرة ! »

ثم تركت وجهها يسقط على ذراعها وانخرطت فى بكاء مرير ٠٠ يا للعار ! ٠٠ يا للعار ! ٠٠ انها لم تدر ماذا دهاها ٠٠ ما كان أفظع ماجرى ! وأحست بأنها تكرهه ، وتكره نفسها ! لقد كانت فى نشوة ٠٠ ألا ما أبغض ذلك ! انها لن تقوى مرة اخرى على ان ترفع بصرها الى وجهه ٠٠ لقد أثبت الحادث انه كان على حق ، انه اصاب اذ أبى ان يتزوج منها ، لانها تافهة حقيرة ، لا تفضل العاهرات فى شىء ! ٠٠ أواه ، بل هى اسوأ منهن ، اذ ان هؤلاء النسوة يبذلن انفسهن من اجل العيش ٠٠ أما هى ؟ ٠٠ ثم ، أيحدث ذلك فى البيت الذى آوتها فيه دوروثى فى أساها ووحدتها القاسية !؟ وراحت كتفاها تهتزان مع شهقاتها ، لقد ذهب كل شىء ٠ كانت تظن أنها تغيرت ٠٠ كانت تظن أنها قوية ٠٠ كانت تظن أنها عادت الى هونج كونج امراة كاملة السيطرة على نفسها ٠٠ وراحت الافكار الجديدة ترفرف حول قلبها كفراشات صفراء صغيرة فى أشعة الشمس المشرقة ٠٠ كانت تبنى آمالا جساما حول مستقبل أفضل ٠٠ لقد أشارت اليها الحرية كروح من نور كى تتقدم ٠ وبدت الدنيا كسهل فسيح

تسير فيه بخطى خفيفة وهى رافعة الرأس .. ظنت نفسها قد تحررت من الشبق والعواطف الآثمة ، تحررت لتعيش كالروح طاهرة نظيفة ـ حتى لقد شبهت نفسها بطائر « ابى قردان » الابيض الذى يطير طليقا فوق حقول الارز فى الغسق ، فى أسراب كالافـكار التى تحوم فى آفاق ذهن رانت عليه الطمأنينة ـ كانت تظن ذلك فى نفسها ، فاذا بها عبدة رقيق .. أمة .. ضعيفة .. وأى ضعف ! لم يكن ثمة امل .. ولا جدوى فى ان تحاول ، فهى امرأة قذرة !

ولم تشأ أن تتنـاول العشاء على مائدة الاسرة ، بل أوفدت الخـادم ينبىء دوروثى أنها تعانى صداعا وتؤثر أن تلازم غرفتهـا .. فأقبلت دوروثى ، وما أن رأت عينيها المتورمتين ، حتى تحدثت اليها قليلا بلهجتها اللطيفة ، المخففة ، المهونة للامور .. وأدركت كيتى أن دوروثى حسبتها كانت تبكى وولتر ، ومن ثم احترمت حزنها الطبيعى فى عطف كأية زوجـة طيبة محبة ، فلم تشأ أن تثقل عليها .. وانما قالت وهى تتركها : « اننى لاعرف ان الامر جد صعب يا عزيزتى ، ولكن يجب أن تتجلدى ، فانى لموقنة من ان زوجك العزيز ماكان يبغى منك أن تحزنى عليـه بهـذا الشكل .. »

- ٧٧ -

◆ **غير** أن كيتى استيقظت مبكرة فى الصباح التـالى ، فتركت رسالة لدوروثى تنبئها فيها بأنها ذاهبة لانجاز عمل لها ، ثم استقلت الترام هابطة التل ، وشقت سبيلها خلال الطرق الزاخرة بالسيارات ، والمركبات التى يجرها البشر « الريكشو » والمحفات ذات المقاعـد ، وأفواج الاوربيين والصينيين ، الى مكتب شركة البواخر .. كانت ثمة باخرة ستبحر بعد يومين ، وقد عقدت كيتى عزمها على ان تستقلها ، مهما كلفهـا ذلك من ثمن .. فلما انبأها الكاتب بأن جميع الاماكن محجـوزة ، طلبت أن ترى رئيس المكتب . وكان الرجل قد تعرف اليها من قبل ، فلما أرسلت له اسمها ، خرج بنفسه يدعوها الى مكتبه . وكان يعرف ظروفها ، فلم تكد تظهره على رغبتها حتى بادر فطلب قائمة أسماء المسافرين ، وتأملها فى حيرة . بينما راحت تهيب به : « أناشدك أن تبذل مافى وسعك من أجلى .. » فأجابها : « لا أظن أن فى المستعمرة من لا يرغب فى أن يفعل أى شىء من أجلك يامسز فين .. »

وأرسل يستدعى احد الموظفين ، فوجه اليه بعض اسـئلة ، ثم هز رأسه وقال : « **سأغير مكان واحد أو اثنين ، فاننى أعـرف انك تريدين أن تعودى الى الوطن ، واعتقد ان علينا ان نبذل قصارى جهدنا من اجلك ..**

انني استطيع ان افرد لك قمرة صغيرة ، وارجو ان يروق لك ذلك »

فشكرته ، ثم غادرته بقلب تخفف من بعض همومه .. كان الفرار هو الفكرة الوحيدة التى أصبحت تشغل بالها .. الفرار ! .. لذلك بادرت بالابراق الى أبيها تعلن عودتها فورا ، وكانت قد أبرقت اليه تخبره بموت وولتر ، ثم عادت الى آل تاونسند فأخبرت دوروثى بما فعلت .. وصاحت المرأة الكريمة : « لسوف نأسف اذ نحرم منك ، ولكننى ادرك طبعا مدى رغبتك فى أن تكونى مع امك وابيك .. »

وكانت قد ترددت – مذ عادت الى هونج كونج – فى الذهاب الى دارها ، فلقد كانت تبغض أن تلجها ثانية ، وأن تواجه الرؤى والذكريات التى كانت تعمر بها .. ولكن لم يعد لها الان خيار ، اذ كان تاونسند قد دبر امر بيع الاثاث ، كما وجد شخصا تواقا الى أن يستأجر البيت .. ولكن بقيت هناك كل ثيابها وثياب وولتر ، اذ لم يكونا قد أخذا الى «مى – تان – فو» شيئا يذكر منها ، كما كانت هناك كتب ، وصور ، وأشياء عديدة متباينة .. ومع ما كانت عليه كيتى من زهد فى كل شىء ، ومن تلهف على أن تقطع ما بينها وبين الماضى تماما ، الا انها تبينت ما سوف تثيره من استنكار فى المستعمرة اذا تركت هذه الاشياء تباع فى قاعة المزايدات ، واذن فلا بد من أن تجمع كلها وترسل اليها .. لذلك تأهبت بعد الغداء للذهاب الى البيت . وأبدت دوروثى تحمسا لمساعدتها ، فعرضت عليها أن تصحبها ، لكن كيتى رجت أن يسمح لها بالذهاب وحدها ، وان قبلت ان يرافقها صبيان من خدم دوروثى ليساعداها فى حزم الاشياء ..

وفتح لها باب البيت رئيس الخدم الذى كان يتعهده فى غيابها وغياب زوجها .. وأحست باستغراب وهى تدخل البيت ، وكأنها غريبة عنه .. وألفته نظيفا منظما .. كان كل شىء فى مكانه ، على أتم عدة لكى يستعمل ، ولكن كان يشيع فى الحجرات جو من البرودة والوحشة ، رغم ان اليوم كان دافئا مشمسا . كان الاثاث مرتبا منسقا ، كل قطعة فى مكانها الذى يجب أن تكون فيه .. والاوانى الخالية من الزهور فى أماكنها .. والكتاب الذى لا تذكر كيتى متى تركته مقلوبا على وجهه وهو مفتوح ، لا يزال فى وضعه المقلوب .. كأنما لم يترك البيت خاليا أكثر من دقيقة ، ولكنها كانت دقيقة زاخرة ، أبدية ، حتى أنك لا تستطيع أن تتصور أن جو هذا البيت سيردد مرة أخرى أصداء الكلام والضحكات ! .. وكانت على البيانو «نوتة» لحن «فوكستروت» كأنما كانت ترتقب أن تعزف ، ولكنك كنت تحس بأنك اذا دققت أصابع المعزف لما انبعث منها نغم ! . وكانت غرفة وولتر منسقة فى عناية كما لو كان موجودا ، وعلى « الشفونيير » جثمت صورتان كبيرتان لكيتى احداهما فى ثوب الخطوبة والاخرى فى ثوب الزفاف .

ولم يلبث الخادمان ان أحضرا الحقائب ، فوقفت كيتى تراقبهما وهمـــا يجمعان المتاع فى عناية وسرعة . وخطر لها أن فى الوسع الفراغ من المهمة فى يومين ، وعليه فلا ينبغى أن تنساق للخواطر والتأملات ، اذ لا وقت لديها تضيعه ..

وفجأة ، سمعت وقع قدمين خلفها ، فاستدارت لترى « تشارلى » واقفا .. وشعرت برعدة تسرى فجأة فى كيانها ، فسألته : « ماذا تريد ؟ »

ـ هلا جئت الى حجرة الجلوس ؟ لدى حديث معك ..

ـ اننى جد مشغولة

ـ لن أستبقيك أكثر من خمس دقائق

ولم تجادل ، بل أمرت الخادمين بأن يمضيا فيما كانا يعملان ، وتقدمت تشارلى الى الغرفة المجاورة . ولم تجلس ، لتشعره بأنها تتوقع أن لا يستبقيها. وكانت تدرك أن وجهها شديد الشحوب ، وان قلبها كان يخفق فى سرعة ، لكنها واجهته فى رزانة والعداء يتجلى فى عينيها ، وسألته : « ما الذى تبغيه ؟ »

ـ سمعت من دوروثى انك راحلة بعد غد ، وقد أنبأتنى بأنك شئت أن تأتى الى هنا كى تحزمى متاعك ، وسألتنى أن أتصل بك تليفونيا لارى ما اذا كنت فى حاجة الى خدمة أستطيع تأديتها لك ؟

ـ اننى جد شاكرة ، ولكننى أستطيع أن أؤدى لنفسى كل شىء ..

ـ هذا ما رجحته ، فأنا لم أجىء لهذا الغرض ، وانما جئت لاسألك عما اذا كان سفرك المفاجىء قد ترتب على ما حدث بالامس ؟

ـ لقـــد كنت ودوروثى حفيين بى ، ولم أشأ أن تظن أننى كنت أستغل طيبتكما

ـ هذا ليس بالجواب الصريح

ـ وماذا يعنيك من ذلك ؟

ـ بل هناك ما يعنينى جدا ، فلست أحب ان أتصور ان أى عمل صدر منى قد دفعك الى الرحيل !

وكانت تقف الى جوار المنضدة ، فحانت منها نظرة الى سطحها ، واذا بعينيها تقعان على نسخة مجلة « سكيتش » . كان قد انقضى عليها شهر ، وكانت ذات النسخة التى راح ولتر يحملق فيها فى تلك الليلة الرهيبة ، حين .. ولكن ، أين هو ولتر الآن ؟

ورفعت عينيها الى تشارلى قائلة : **« اننى أشعر بالضعة والخسة .. وما أظنك تحتقرنى بقدر ما أحتقر نفسى ! »**

ـ ولكننى لا أحتقرك ، بل كنت أعنى كل كلمة قلتها بالامس .. ما جدوى الفرار هكذا ؟ لست أدرى لم لا نكون صديقين على وئام .. اننى اكره أن تظنى اننى أسأت معاملتك..

ـ لم لا تدعنى وشأنى ؟

ـ ياللتجنى ! أنا لست جمادا ٠٠ ان الامر ـ وفق وجهة نظرك ـ غير معقول ٠٠ بل انه لفظيع ٠٠ لقد ظننت بعد الذى جرى بالامس انك قد تعاملينني بشيء من العطف ، فما نحن على أية حال سوى بشر !

ـ لكننى لا أشعر بأننى بشر ، بل أرانى أشبه بالحيوان .. بخنزير ، أو أرنب ، أو كلب ٠٠ أواه ! ٠٠ اننى لا ألومك ، فقد كنت مفسودة مثلك ٠٠ وقد استسلمت لك لانى اشتهيتك ٠٠ لكن التى اشتهتك فى لم تكن أنا ، فأنا لست تلك المرأة الكريهة ، الحيوانية ، الشهوانية ٠٠ اننى أبرأ منها٠٠ لم أكن انا التى رقدت على ذلك الفراش تلهث شبقا اليك ، ولما تكد جثة زوجى تبرد فى قبره ، وبينما كانت زوجتك كريمة معى بهذا الشكل الذى لا سبيل الى وصفه ! ٠٠ بل ان ذلك كان الحيوان الذى فى كيانى ٠٠ حيوان أسود، مخيف ، كالروح الشريرة ! وانى لابرأ منه ، وأكرهه ، وأحتقره ٠٠ ومنذ تلك اللحظة وأنا ، كلما فكرت فيما حدث ، أحس بأمعائى تقفز الى حلقى ، وبنفسى تتقزز !!

فعبس قليلا ، وأرسل ضحكة ساخرة قصيرة نمت عن ارتباك ، ثم قال : « اننى واسع الذهن فى العادة ، لكنك تقولين أحيانا أشياء تذهلنى ! »

ـ يؤسفنى هذا ، ويخلق بك أن تتصرف الآن ٠٠ انك رجل وضيع لا وزن له ، وانى لحمقاء اذ أحدثك بهذه الجدية !

بقى هنيهة لا يحير جوابا ، ورأت فى عينيه الزرقاوين سحابة نمت عن انه غاضب منها ، وأنه سوف يتنفس الصعداء حين يودعها للمرة الاخيرة ـ فى أدبه وظرفه المألوفين ! ـ وراق لها أن تفكر فى الادب الذى ستشكره به على حفاوته حين يصافحها متمنيا لها رحلة ممتعة٠. لكنها سرعان ما رأت أساريره تتغير ، ثم قال : « لقد أخبرتنى دوروثى انك حامل »

وأحست بالدماء تتصاعد الى وجهها ، لكنها لم تدع خلجة فيها تنم عن اى تأثر ، وقالت : « انى كذلك »

ـ أترينني ٠٠ الأب ؟

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ انه طفل وولتر

نطقت بالرد وهى تضغط على مخارج كلماتها بدافع لم تقو على تفاديه ، لكنها كانت تدرى ـ رغم ذلك ـ وهى تتكلم ، ان هذه ليست اللهجة الكافية للاقناع ٠٠

وقال وعلى شفتيه ابتسامة وقحة : « أواثقة انت ؟ لا تنسى انك زففت الى وولتر منذ عامين دون ان تنجبا نسلا ٠٠ ثم ان تاريخ علاقتنا يتفق مع تاريخ الحمل ٠. لذلك أظن أن الاكثر احتمـــالا هو أن الطفل منى لا من وولتر ! »

- اننى أوثر أن أقتل نفسى عن ان احمل طفلا منك !

- آه ، دعى الهذر الفارغ .. اننى على العكس اسر جدا وافخر .. وأتمنى لو كانت بنتا ، فأنا كما تعلمين لم انجب من دوروثى سوى ذكور .. على أن أمد ارتيابك لن يطول فى الواقع ، فان أولادى يجيئون صورة حية منى !

وكان قد استرد روح الفكاهة ، وقد ادركت كيتى السبب : **كان مطمئنا الى أن الطفل لو كان منه ، فانها لن تنجو منه تماما ، ولو لم تره ثانية .. بل ان سلطانه سيمتد اليها اينما كانت ، وسيظل - بطريقة مبهمة ، ولكنها اكيدة - يبسط نفوذه عليها طيلة حياتها !**

وقالت : « انك اعظم بغل مغرور مأفون دفعه الحظ النكد فى طريقى ! »

- ٧٨ -

وقفت كيتى تملى بصرها بمنظر الساحل الصخرى الجميل الوشى وقد استلقى تحت اشعة الشمس ، والسفينة تقترب من مرسيليا .. ووقع بصرها فجأة على تمثال العذراء الذهبى القائم فوق قمة كنيسة سانت مارى ، يبشر راكبى البحر بسلامة الوصول .. وتذكرت راهبات دير « مى تان فو » عند مغادرتهن وطنهن الى الابد ، وقد جثون راكعات ، وصورة التمثال تضمحل فى ناظرهن كلما ازدادت السفينة بعدا ، حتى لم يعد اكثر من جذوة ذهبية صغيرة فى رقعة السماء الزرقاء ، فأخذن يصلين كى تطغى صــلاتهن على خفقات قلوبهن الملتاعة بالفراق ..

وضمت كيتى يديها فى تبتل وخشوع لقوة لم تدر كنههــا ! .. كانت طيلة الرحلة الهادئة لا تكف عن التفكير فى ذلك الأمر المروع الذى وقع لها . كانت عاجزة عن ان تفهم نفسها . وكان الامر ذاته غير متوقع .. ترى ما هذا الذى تملكها فجأة فجعلها تستسلم فى شوق لعناق تشارلى الآثم وهى تحتقره بجماع قلبها وتزدرى نفسها ؟ .. واحست بالسخط يملأ قلبهــا ، وبالاشمئزاز يقهرها .. وشعرت بأن ليس فى وسعها قط ان تنسى هوانها وترديها .. فكانت تبكى ، لكنها تبينت ان حنقها كان يفقد عنفوانه كلمــا باعدت المسافة بينها وبين هونج كونج .. وأخذت ترى ما حدث وكأنما حدث فى عالم آخر ! كانت كشخص اصيب فجأة بمس من جنون ، فلما شفى احس بالخجل للمضحكات التى تذكر فى ابهام غير واضح انه اتاها حين كان فاقد الوعى ! .. ولكنه كان يترفق بنفسه - فيما بينه وبينها على الأقل - اذ يوقن من أنه لم يكن فى وعيه .. وخيل لكيتى أن القلوب الرحيمة قمينة بأن ترثى لها بدلا من ان تلعنها ، لكنها كانت تتنهد محســورة اذ ترى كيف

تناثرت ثقتها فى نفسها بددا بهذه الكيفية المحزنة .. كانت الطريق تلوح امامها فيما مضى ممتدة ، ممهدة ، مستقيمة ، فاذا بها تراها الآن ملتوية ، مليئة بالوهاد والحفرات التى تترقبها لتبتلعها ! .. غير ان الفضاء الفسيح ومناظر الغروب ذات الجمال الساجى - فى المحيط الهندى - كانت تطامن من أشجانها ، فلاح لها انها فى طريقها الى بلد تستطيع فيه ان تملك نفسها بملء حريتها .. لو انها استطاعت فقط ان تسترد احترامها لنفسها ، مقابل هذا الصراع النفسى المرير ، لوجدت الشجاعة كى تكافح لتسترد روحها !

وكان المستقبل امامها موحشا عسيرا .. كانت حين بلغت الباخرة (بورسعيد) قد تلقت من امها رسالة ردا على برقيتها ، وكانت رسالة طويلة كتبت بخط كبير منمق كانت تدرب عليه بنات الاسرات فى عهد صبا أمها .. وكان الاسراف فى تنميقه يوحى بالزيف والرياء ، اذ عبرت فيه مسز جارستين عن حزنها لوفاة وولتر ، وازجت التعزية اللائقة لابنتها ، وذكرت انها تخشى ان تكون كيتى قد تركت دون موارد كافية، لكن وزارة المستعمرات ستهبها ولا بد معاشا .. كما ابدت سرورها اذ علمت ان كيتى عائدة الى انجلترا ، وذكرت ان فى وسعها بالطبع ان تقيم مع ابيها وامها « ريثما تضع مولودها » .. ثم عقبت ببضع تعليمات طلبت الى كيتى ان تحرص على اتباعها ، وبفيض من التفصيلات عن أختها دوريس وظروف وضعها ، ووزن المولود ، وما ذكره جده لأبيه من انه لم ير اجمل منه ! .. وقالت ان دوريس حامل مرة أخرى ، وانهم يأملون أن يكون الجنين ذكرا ، تدعيما لوراثة لقب اسرة ابيه وثروتها ..

وتبينت كيتى ان اهم ما تضمنته الرسالة هو تحديد مدى اقامتها بين والديها بوضع مولودها ! فما كانت مسز جارستين راغبة فى ان تثقل عاتقها ابنة ارملة ذات موارد متواضعة ! .. وعجبت من ان امها اصبحت تضيق بها ولا ترى فيها سوى مصدر للازعاج ، وهى التى كانت تعتز بها وتفخر ! .. **ما اغرب ما تكشفت لها العلاقات بين الوالدين والابناء ! .. فالوالدون يحنون على أطفالهم ، ويعانون آلام القلق كلما مسهم مرض من أمراض الطفولة .. والابناء يتعلقون بآبائهم فى حب واعجاب .. ثم تمر سنوات قلائل ، فاذا الابناء قد كبروا ، وأصبحوا يجدون فى آخرين - لا يمتون اليهم بصلة - مصدرا للسعادة اهم من الأب او الأم ! ويحل عدم الاكتراث محل الحب الغريزى الاعمى الذى كان يشد الابن فى ماضيه الى أبويه ويشدهما اليه .. ويصبح اللقاء بينه وبينهما مبعث ضيق وسأم .. وبعد ان تكون فكرة الفراق لشهر واحد مبعث اشفاق وهلع ، يغدو من السهل على الفريقين ان يتطلعا دون ما جزع الى فراق يمتد سنوات !** .. وقالت كيتى لنفسها ان لا حاجة بأمها الى ان تقلق ، فانها ستعمل على تأثيث بيت لنفسها

بمجرد ان تتمكن من ذلك ٠٠ بيد انها مضطرة الى مهلة ، فكل شىء يبدو لها الآن مبهما غامضا ، حتى ليعز عليها ان ترسم للمستقبل صورة واضحة ٠٠ اذ من يدرى ، فقد تقضى نحبها أثناء المخاض ! ٠٠ ولكم يحل هذا كثيرا من المتاعب العويصة !

على أنها عادت فتلقت ـ حين استقرت السفينة فى مرسيليا ـ رسالتين ، فأدهشها ان تعرف خط ابيها على احداهما ـ اذ لم تذكر انه كتب اليها يوما قط ـ ولم يكن سلس العبارة ، مسرفا فى اظهار عواطفــه ، بيد انه بدأ رسالته بـ « عزيزتى كيتى » ، ثم انبأها بأنه يكتب بدلا من امها لان هذه اصيبت بمرض استدعى ضرورة نزولها بمصحة كى تجرى لها عمليــة جراحية ٠ ولم تجزع كيتى ، بل رأت ان تظل على ما انتوته من مواصــلة السفر بالبحر ، اذ ان السفر برا كان اكثر نفقة ، فى حين انه لم يعد من الملائم لهــا أن تنزل بدار أبويها فى « هارينجتن جاردنز » وأمها غائبة عن الدار ٠٠

اما الرسالة الثانية فكانت من شقيقتها دوريس ، وقد بدأتها بـ « كيتى ايتها الحبيبة » ، لا لأنها كانت تكن لها عاطفة خاصة ، وانما لأنها اعتادت ان تنادى كل من تعرف بهذا النداء ٠٠ وقد جاء بالرسالة :

« **كيتى ايتها الحبيبة :**

« **اظن ان ابى قد كتب لك ٠٠ لقد اجريت لأمنا عملية ، ويبدو ان المرض كان قد استفحل منذ عام ، ولكنك تعرفين انها تكره الاطباء ، ومن ثم ظلت تتناول مختلف الادوية الجاهزة دون مشورة طبية ٠٠ ولست أدرى كنه دائها تماما ، اذ أنها تصر على تكتم الامر كله ، وتهتــاج فى حنق اذا سألتها ٠ على ان حالها تبدو سيئة ، ولو كنت فى موقفك لغادرت السفينة فى مرسيليا وعدت بأسرع ما أستطيع ٠٠ ولكن لا تفشى شيئا من هذا الذى ذكرت لك ، لأنها تتظاهر بأنها لا تعانى مايدعو الى أى قلق،ولا تريدك على أن تصلى قبل أن تكون قد عادت الى البيت ٠٠ حتى لقد حملت الاطباء على ان يعدوها بأن تنقل من المصحة خلال اسبوع ٠٠ ولك حبى ـ دوريس »**

« **تعقيب :** لكم أسفت لما اصاب وولتر ٠٠ لا بد انك يا حبيبتى المسكينة قد عانيت كثيرا ٠ اننى أموت شوقا لرؤيتك ، ومن الطريف أن تكون كل منا حامل فى آن واحد ٠٠ على أننا سنستطيع أن نتصافح رغم تضخم بطنينا ! »

وظلت كيتى واقفة على سطح الباخرة هنيهة وقد استغرقت فى التفكير ، فما كانت لتتصور ان تمرض امها ٠٠ بل انها لا تذكر انها رأتهــا الا نشيطة ، حازمة ، عاملة ، حتى لقد كانت تضيق دائما بسقام الغير !

وفيما هى كذلك ، اقبل خادم يحمل اليها برقية ٠٠ جاء فيها : « عميق أسفى اذ أنبئك بأن أمك قد توفيت هذا الصباح ـ أبوك »

- ٧٩ -

◆ **دقت** كيتى جرس باب البيت القائم فى (هارينجتن جاردنز) ٠٠ وقيل لها ان أباها كان فى غرفة المكتب ، فسعت الى الباب وفتحته فى رفق ، واذا أبوها جالس الى جوار المدفأة ، يقرأ الطبعة الأخيرة من صحيفة المساء ٠٠ وتطلع اليها اذ دخلت ، ثم وضع الصحيفة جانبا وقفز مستويا على قدميه فى انفعال ٠٠ وهتف : « اهذه انت يا كيتى ٠٠ ظننتك لن تصلى الا فى آخر قطار ٠٠ »

ـ رأيت ان لا أجشمك عناء الذهاب لاستقبالى ، فلم ابرق لك بموعد وصولى ٠٠

وقدم لها خده لتقبله بالطريقة التى ما زالت تذكرها ، ثم قال : « كنت القى نظرة على الصحيفة ، فاننى لم اقرأ الانباء منذ يومين » ٠٠ **وتبينت انه يشعر بأن لا بد له من ان يبرر اهتمامه بشئون الحياة العادية ، فقالت : « اجل ٠٠ لا بد أنك مضنى ، فما اعتقد الا ان موت امى كان صدمة كبيرة لك ٠٠ »**

وبدا لها أكثر شيخوخة ونحولا مما رأته آخر مرة ٠٠ بل ، أجف عودا ، وأكثر ذبولا ، وأدق حرصا فى تصرفاته وأقواله وحركاته عن ذى قبل ٠٠ ومضى يقول : « لقد قال الجراح انه لم يكن ثمة سبيل ولا امل ، فانها لم تكن فى صحة طبيعية منذ اكثر من عام ، ولكنها كانت تأبى ان تعرض نفسها على طبيب ٠٠ بل لقد أنبأنى بأنها ولا بد كانت فى ألم مستمر ، وقال أن احتمالها الألم كان معجزة ! »

ـ ألم تشك قط ؟

ـ كل ما كانت تقوله انها لم تكن على ما يرام ٠٠ لكنها لم تشك ألما قط ٠٠

وامسك عن الكلام ، وتأمل كيتى ثم سألها : «هل انت متعبة بعد رحلتك ؟ »

ـ بعض الشىء ٠٠

ـ أتحبين ان تصعدى لتلقى على جثتها نظرة وداع ؟

ـ اجل ٠٠ ساصعد فورا

ـ هل تريدين ان آتى معك ؟

وكان فى لهجة ابيها ما حملها على ان تلتفت اليه فى عجلة ، فاذا وجهه مشيح عنها قليلا ، مما نم عن رغبته فى ان لا ترى ما كان يلتمع فى عينيه ٠٠ على ان كيتى اكتسبت فى محنتها الاخيرة كفاءة فذة فى قراءة افكار الغير ، فلقد كانت تجهد كل ادراكها ـ يوما بعد يوم ـ لتستشف من وراء كلمة عابرة

من زوجها ، أو حركة صدرت منه دون تحوط ، ما كان يكمن فى اعماق ذهنه من افكـــار !

وحدست لفورها ما كان ابوها يحاول ان يخفيه عنها : **كان يشعر بالارتياح .. ارتياح لا نهاية له .. وكان خائفا من نفسه ! لقد ظل ثلاثين عاما طويلة وهو زوج طيب امين ، فلم ينبس بكلمة واحدة تنتقص من قدر زوجته ، ثم اذا هو مضطر الان لان يحزن عليها ! لقد ظل دائما يأتى من الامور ما كان يرتقب منه اداؤه ، لذلك كان من بواعث ذعره ان يشى ، باختلاجة من جفنه ، أو بأتفه حركة تصدر عنه ، بأنه لم يكن يشعر فى الظروف القائمة بما ينبغى ان يشعر به الزوج من حزن ولوعة على زوجته !**

وقالت كيتى اخيرا : « لا .. أوثر ان اذهب وحدى »

وصعدت السلم ، وقصدت الى غرفة النوم الرحبة ، ذات الجو البارد المتكلف ، التى كانت امها تنام فيها منذ سنوات عديدة. وكانت كيتى تتذكر بجلاء قطع الاثاث الثقيلة المصـــنوعة من خشب « الماهوجنى » المزركشـــة بالنقوش المحفورة التى تتلاءم مع نقوش الجدران .. وكانت الاشياء التى تحملها منضدة الزينة مرتبة فى دقة بالغة ، انتهجتها مسز جارستن طيلة عمرها فى تشبث واصرار .. وبدت الازهار التى احيطت بها الجثة ، كأشياء غريبة عن جو الحجرة ، اذ كانت مسز جارستن ترى ان الازهار فى غرفة النوم من الأشياء النابية ، الضارة بالصحة .. ولم يقو عبير هـذه الأزهار الموجودة على التغلب على الرائحة اللاذعة التى تذكرت كيتى انها من المميزات الدائمة لمخدع أمها ، رائحة الثياب الحديثة الغسل ..

وكانت مسز جارستن مسجاة على السرير ، وقد ثنيت ذراعاها على صدرها فى دعة ما كانت لتصبر عليها فى حياتها . وبدت بقسماتها الدقيقـة الواضحة ، وخديها الغائرين من جراء المرض والالم ، وصدغيها الضامرين .. بدت مليحة ، بل ذات طلعة أخاذة ، فلقد جرد الموت وجهها من كل ضعة، ولم يترك سوى طابع شخصيتها ، حتى لقد كان من الممكن ان تؤخذ على انها امبراطورة رومانية ! وبدا لكيتى من الغريب ان تكون امها هى الوحيدة - بين من رأت من موتى - التى لاح ان الموت قد ترك عليها سمة تنم عن ان هذا الجسد الذى خلق من طين كان يعمر يوما بروح حية !

وما كان بوسعها ان تشعر بأسى ، فلقد كان بينها وبين امها مـــن الضغائن ما لم يبق على شعور من الحب فى قلبها ! وكانت اذا استرجعت ايام صباها ، ادركت ان امها هى التى دفعتها الى مصيرها الذى انتهت اليه .. بيد انها ما لبثت ان احست بحزن غامض وهى تتفرس فى تلك المرأة الصعبة المراس، المتسلطة، الطموح، التى رقدت فى سكون وسكينة وقد حنط الموت كل

اهدافها الحقيرة ! لقد قضت عمرها كله تدبر وترسم وتتآمر من اجل اهدافها، وما اشتهت سوى كل وضيع تافه ‥ وحارت كيتى وساءلت نفسها : أتراها تطل من عالم آخر – فى جزع واستبشاع – على ما سلكت فى حياتها الدنيوية من مسلك رخيص ؟

وأقبلت دوريس ، فابتدرت اختها : «لقد توقعت ان تأتى فى هذا القطار ‥ وشعرت بان لا بد لى من ان آتى لالقى نظرة اخيرة ‥ أليس هذا بالمصاب الفظيع ؟ اواه يا امى الحبيبة المسكينة !»

وانفجرت باكية وهى تلقى بنفسها فى احضان كيتى ، فقبلتها هذه ‥ كانت تدرك ان أمها اهملت دوريس من اجلها ، وكانت تبدى لها الجفاء لانها كانت عادية الجمال ، بليدة ، فساءلت نفسها : **أحقا كانت دوريس تشعر بالحزن البالغ الذى أظهرته الآن ؟ على ان دوريس كانت دائما عاطفية ، سريعة التأثر ‥ وتمنت كيتى لو استطاعت ان تبكى ، والا ظنتها دوريس قاسية القلب ‥ غير ان كيتى أحست انها خاضت من النوائب مالم تعد تستطيع معه ان تتظاهر بحزن لا تحس به !‥** وسألت اختها حين خفت حدة بكائها : « هلا جئت لترى أباك ؟ » ‥ فجففت دوريس عينيها – ولاحظت كيتى ان الحمل قد أصاب ملامحها بانتفاخ ، وانها بدت فى ثوبها الاسود ضخمة ، مكتنزة البطن – واجابت دوريس : « لا ‥ ما احسبنى اريد ان اراه ، اذ لن اتمالك ان ابكى مرة أخرى ‥ يا للعجوز المسكين ، انه يتحمل الصدمة فى جلد رائع ‥ »

وودعت كيتى اختها لدى الباب الخارجى للبيت ، ثم عادت الى ابيها ، فاذا به يقف امام المدفأة ، والصحيفة قد طويت بعناية – كأنما اراد ان يظهرها على انه لم يعد الى قراءتها – وقال : « لم ارتد ثياب العشاء ، اذ لم ار ضرورة لذلك»

– ٨٠ –

◆ **وتناولا** العشاء معا ‥ واخذ مستر جارستن يفضى الى كيتى بدقائق مرض زوجته ووفاتها ، وحدثها عن عطف الاصدقاء الذين كتبوا أليه – فقد كانت ثمة اكوام من رسائل التعزية على مكتبه – وكان يزفر فى ضيق وهو يفكر فى مشقة الرد على اصحابها ‥ كما حدثها عن الاجراءات التى اتخذها للجنازة ‥

وعاد الى غرفة المكتب . كانت الغرفة الوحيدة المجهزة بمدفأة ، وفى حركة آلية تناول من رف المدفأة غليونه وشرع يحشوه بالتبغ ‥ لكنه مالبث ان رمق ابنته موجسا ، ووضعه جانبا ، فسألته : « أو لن تدخن ؟ »

– لم تكن امك تحب رائحة التبغ بعد العشاء ‥ كما اننى تخليت عن السيجار منذ الحرب ‥

وخفق قلب كيتى تأثراً لجوابه . كان من الفظيع ان يتردد رجل فى الستين من عمره فى التدخين فى غرفة مكتبه وفق هواه .. فابتسمت قائلة : «اننى احب نكهة التبغ» .. واذ ذاك تجلت على وجهه نفحة خفيفة مــن الارتياح ، وتناول غليونه مرة اخرى فاشعله .. وجلسا كل قبالة الاخر ، الى جانبى المدفأة . وأحس الاب بميل الى ان يتحدث الى كيتى عن متاعبه ، فأخذ يقول : «أظنك تلقيت الخطاب الذى ارسلته امك باسمك الى بورسعيد .. لقد كان نبأ وفاة وولتر صدمة اليمة لكل منا ، فقد كنت أراه شـابا بالغ اللطــف »

لم تحر كيتى تعايقا ، فاستطرد قائلا : «لقد انبأتنى امك بانك حامل»

ـ اجـــل ..

ـ ومتى تتوقعين ان تضعى مولودك ؟

ـ خلال اربعة شهور تقريبا ..

ـ لسوف يكون سلوى عظيمة لك .. يجب ان تذهبى فترى ابن دوريس. انه طفل لطيف ..

وكانا يتحدثان فى كلفة وفتور يفوقان ما كان ليسيطر على حديثهما لو انهما كانا غريبين التقيا للمرة الاولى .. اذ لو كانا غريبين حقـــا ، لـكان التقاؤهما لأول مرة وفضولهما كفيلين بأن يذيبا الفتور .. أما هما ، فقد كان لهما ماض مشترك ، قام كسياج من « عدم المبالاة » يفصل بينهمـــــا ! وكانت كيتى تدرك تماما انها لم تفعل ما يكسبها حب ابيها ، فما كان له قط اعتبار فى البيت ، فى نظرها ، اكثر من انه مكلف بأن يكسب عيش الاسرة .. بل كان موضع هوان الى حد ما ، لأنه لم يكن قادرا على ان يوفر لأسرته مزيدا من النعيم .. ومع ذلك ، فقد كانت قضية مسلما بها لدى كيتى انه كان يحبها لمجرد انه ابوها ، لذلك كانت صدمة لها ان تبينت الآن ان قلبه كان خاليا من اى شعور نحوها ! .. لقد كانت تدرك انهن جميعا كن يضقن به ، ولكن لم يخطر لها ببال انه هو الآخر كان يضيق بهن .. كان كريمـــا ، مغلوبا على امره ، ولكن بعد النظر الذى اكسبها اياه الحزن والألم ، أوحى اليها بأنه كان فى اعماقه يكرهها ، وان لم يعترف لنفسه بذلك ، وما كان ليعترف به !

وسد التبغ غليونه ، فنهض يبحث عن شيء يسلكه به .. أو لعله كان ينتحل عذرا ليخفى انفعاله وهو يقول : « لقد رغبت امك فى ان تمكثى هنا حتى تضعى مولودك ، وكانت تعتزم ان تعد لك غرفتك القديمة ..

ـ اجل .. وانا اعدك بأنى لن ازعجك أو اثقل عليك

ـ آه ، ليس هذا ما حفلت به .. ففى الظروف القائمة يكون الملجأ الوحيد

الذى تأوين اليه هو بيت ابيك . ولكننى فى الواقع تلقيت عرضا لأتولى منصب رئيس قضاة جزر (بهاما) ، وقد قبلته ..

– أواه يا ابت ، اننى جد مسرورة .. أهنئك من كل قلبى !

– لقد تلقيت العرض متأخرا فلم أجد فسحة كى أنبىء امك ، اذ كان ولا بد كفيلا بأن يرضيها كل الارضاء

الا ما أمر سخرية القدر ! لقد ماتت مسز جارستن بعد طول الكفاح والتدبير وتحقير النفس ، دون ان تدرى ان المطمح الذى بذلت من اجله كل هذا ، والذى تطور واصابه التعديل عقب كل مرة من مرات الاخفاق السابقة .. قد تحقق اخيرا !

ومضى الاب يقول : « لسوف ابحر فى أوائل الشهر القادم ، وسأعهد بهذا البيت – طبعا – الى احد السماسرة ، فقد عزمت على ان ابيع الاثاث. ويؤسفنى اننى لن املك ان اكفل لك اقامة هنا ، ولكننى سأسر غاية السرور بأن امنحك ما شئت من الاثاث لتؤثثى مسكنا لك .. »

وحدقت كيتى فى نار المدفأة ، وقد تسارع وجيب قلبها .. كان من الغريب ان تشعر فجأة بانفعال طاغ ، ولكنها لم تلبث ان غصبت نفسها على الكلام ، فتساءلت بصوت متهدج : « أو لا استطيع ان اصحبك يا أبى ؟ »

ففغر فاه ، وهتف : « أنت ؟ اوه يا كيتى .. يا ابنتى العزيزة ! »

وما كانت قد سمعت هذا النداء كثيرا ، حتى لقد خالته لأول وهلة عبارة عادية .. لكنها لم تلبث ان رأت مدلوله قد صيغ بحيث أذهلها .. فقد استطرد ابوها : « لكن كل اصدقائك هنا ، ودوريس كذلك .. لقد خيل الى انك ستكونين اسعد حالا لو انك أعددت لنفسك مسكنا فى لندن . لست ادرى ظروفك تماما ، ولكننى مستعد – بسرور تام – لأن ادفع عنك اجر المسكن .. »

– ان لدى من المال ما يكفى لأن يقيم اودى ..

– لكنى سوف اذهب الى مكان غريب ، لا اعرف شيئا عن ظروفه واحواله ..

– لقد اعتدت الاماكن الغريبة ، فلم تعد للندن عندى اية قيمة .. بل اننى لا اكاد اتنفس هنا

واغمض عينيه لحظة خيل اليها خلالها انه يوشك ان يبكى ، فقد انعكست على وجهه أجلى مظاهر التعاسة ، مما خفق معه قلبها اشفاقا عليه .. انها كانت على صواب حين حدست ان وفاة زوجته قد ملأت قلبه ارتياحا ، اذ حانت له الفرصة كى يقطع ما بينه وبين الماضى تماما ، ويحظى بالحرية .. ولقد رأى امامه الآن حياة جديدة تتفتح، وتبدت له اخيرا – وبعد هذه السنوات الطوال – رؤى الراحة ، وسراب الهناء .. فخيل الى كيتى كأنها ترى وتلمس

– فى شىء من الغموض – كل الآلام التى ظلت تضنى فؤاده ثلاثين عاما !

وفتح عينيه أخيرا ، ولم يتمالك زفرة أفلتت منه ٠٠ ثم قال : « اذا كنت راغبة فى القدوم ، فلسوف يكون هذا بالطبع من دواعى سرورى ٠٠ »

وأحست برثاء له ٠٠ كانت المعركة قصيرة ، وقد اضطر للاستسلام لشعوره بالواجب ٠٠ وودع – بهذه الكلمات – كل آماله ٠٠ فنهضت عن مقعدها وسارت اليه ، وركعت امامه ممسكة بيديه ، وقالت : « لا ، يا ابت ٠٠ لن آتى ما لم تكن راغبا فى ذلك ٠٠ انك قد ضحيت بما فيه الكفاية ، فان كنت راغبا فى الرحيل وحدك ، فارحل ، ولا تفكر فى امرى دقيقة واحدة ٠٠ »

فخلص احدى يديه منها ليربت رأسها الرشيق ، وقال : « بل اننى اريدك طبعا يا عزيزتى ٠٠ ولا تنسى اننى – رغم كل شىء – ابوك ، وانك ارملة ، ووحيدة ٠٠ فان شئت أن تكونى معى ، فمن الجحود حقا أن لا أكون راغبا فى صحبتك »

– ولكنك مخير ٠٠ اننى لا اطالبك بشىء لأنك أبى ، فانت غير مدين لى بشىء ٠٠

– اواه ، يا طفلتى العزيزة ٠٠

فرددت ما قالته : « **لست مدينا لى بشىء ٠٠ ان قلبى ليثقله الأسى كلما فكرت كيف اننا كنا نرهقك استغلالا دون ان نمنحك شيئا فى مقابل ذلك ٠٠ حتى ، ولا قليلا من العطف ٠٠ أخشى انك لم تنعم بحياة سعيدة حقا ، فهلا تحب ان تتيح لى الفرصة كى اعوضك بجزء مما اخفقت فى عمله فى الماضى ؟** »

عبس قليلا ، وقد حيرته فورتها العاطفية ، ثم قال : «لست افقه ما تعنين ، فما عانيت يوما ما يدعونى للشكوى منك»

– اواه يا ابت ، انى قد خضت الكثير من المحن ، وعرفت الآلام ، ولم اكن سعيدة ٠٠ اننى لست «كيتى» التى كنتها حين رحلت اول مرة ٠٠ اننى ضعيفة الى اقصى حد ، لكنى لا احسبنى تلك الرعناء التافهة التى كنتها من قبل ٠٠ ألا تتيح لى فرصة ؟ لم يعد لى الآن فى الحياة سواك ، فهلا تركتنى أسعى كى احملك على حبى ؟٠٠ أواه يا ابت ، اننى وحيدة وتعيسة ، وفى اشد الحاجة الى حبك !

ودفنت وجهها فى حجره وانخرطت فى البكاء ، فكأنما كان قلبها يتفتت ! ٠٠ فراح يغمغم : « أواه يا كيتى ٠٠ يا ابنتى ٠٠ يا صغيرتى كيتى ! »

ورفعت بصرها اليه ، ثم طوقت عنقه بذراعيها وهتفت : «أواه يا أبت ! ترفق بى ٠٠ دعنا نتبادل العطف والاشفاق»

فطبع قبلة على شفتيها ، كما لو كان عاشقا ، وقد بللت دموعها خديه ٠٠ وقال : «لسوف تأتين معى بالتأكيد»

– هل تريدني ؟٠٠ هل انت حقا راغب فى ان اذهب معك ؟

ــ أجــل ..

ــ لشد ما انا شاكرة لك هذا الصنيع ..

ــ أواه يا عزيزتى .. لا تقولى لى مثل هذه العبـارات ، فانها تبعث فى نفسى حرجا ..

وتناول منديله فجفف عينيها ، وابتسم كما لم تره يبتسم من قبل .. ومرة اخرى طوقت عنقه بذراعيها وقالت : «لكم سنسعد معا يا ابى العزيز .. سترى اية بهجة سنحظى بها معا !»

ــ ما احسبك نسيت انك حامل .. ؟

ــ بل يسرنى أن الطفلة ستولد هناك ، على مسمع من تكسر أمواج البحر ، وتحت سماء زرقاء صافية ..

فغمغم وعلى شفتيه ابتسامته الخفيفة : «هل حكمت على جنسها من الآن ؟ »

ــ اننى اريدها بنتا ، اذ اريد ان انشئها على ان لا ترتكب ما ارتكبت من اخطاء .. اننى اكره نفسى كلما استرجعت الذكريات وتأملت اى بنت كنت !.. على انى لم اجد الفرصة لاصلح من نفسى ، ومن ثم فسأربى ابنتى على ان تكون حرة ، قادرة على ان تستوى وتستقر على قدميها .. لن ألد بنتا الى هذا الوجود وأحبها وأربيها لمجرد أن يأتى يوم تهفو فيه نفس رجل الى ان يضطجع معها ، فيقبل فى سبيل اشباع رغبته أن يكفل لها المأوى والعيش بقية عمرها .. !

واحست باعصاب ابيها تتوتر ، فما تحدث ابدا فى مثل هذه الامور ، ومن ثم أذهله أن يسمع هذه الكلمات تنبعث من فم ابنته .. على أنهـا استطردت قائلة : **«دعنى انطلق بصراحة هذه المرة فحسب يا أبت .. لقد كنت رعناء ، مفسودة ، بغيضة ، لكننى تلقيت ابشع عقاب .. لذلك عقدت العزم على أن أجنب ابنتى كل هذا .. أريدها أن تشب صريحة ، متحررة من الخوف .. أريدها شخصية مستقلة عن سواها ، لانها الوحيدة التى ستسيطر على قياد نفسها .. واريدها على ان تأخذ الحياة كما يأخذها اى انسان حر ، وأن تجعل منها مهمة أفضل مما جعلتها أنا !**

ــ ما هذا يا حبيبتى ؟ انك تتكلمين كما لو كنت فى الخمسين ، فى حين ان العمر لا يزال ينفسح امامك .. لا ينبغى أن تثقل المتاعب قلبك ..

فهزت كيتى رأسها وابتسمت فى تؤده قائلة : « لست كذلك ، بل ان لدى املا وشجاعة »

لقد انتهى الماضى ، فدع الموتى يدفنون موتاهم .. فهل فى هذا جحود وقسوة قلب ؟ انها لتتمنى بكل قلبها ان تكون قد تعلمت الرأفة والاحسان .. وما كانت لتدرى ما يدخره المستقبل لها ، لكنها احست فى نفسها القوة

على أن تتقبل كل ما يأتيها به ، بروح خفيفة ، مبتهجة ٠٠ وفجأة، لغير ما مبرر تدريه ، انبعثت من أعماق عقلها الباطن رؤى من ذكرى الرحلة التى قاما بها معا — هى وولتر المسكين — الى المدينة الموبوءة التى لقى فيهـا حتفه ٠٠ ففى ذات صباح ، استأنفا السفر ولا يزال الظلام مسيطرا على الكون ٠ وفيما كانت اضواء النهار تنبثق ، تمثلت — وكأنها ترى خلال حجب المجهول — منظرا يملك على المرء مشاعره ، حتى لقد احست بان هموم قلبها قد انمحت لفترة وجيزة! منظرا كان جماله خليقا بأن يزرى بكل بلايا البشر ، فتبدو توافه لا قيمة لها ولا معنى : فقد أشرقت الشمس ، فبددت الضباب ٠٠ واذا الطريق التى كانوا يسلكونها تتغلغل متعرجة ، ملتوية ، الى أقصى مرامى البصر،خلال حقول الارز ، ثم تجتاز نهرا صغيرا ، وتوغل خلال الريف الذى بدا كرؤى متماوجة من نور ! **فلعل الاخطاء والخطايا والشقوة التى عانتها كيتى لم تكن عبثا ، اذا هى استطاعت ان تسلك الدرب الذى يلوح الآن غير واضح امامها ٠٠ لا الدرب الذى تحدث عنه «وادينجتن» الطيب الفكه ، والذى لا يفضى الى غاية ، وانما ٠٠ الدرب الذى سلكته راهبات الدير العزيزات فى تواضع وخشوع ، وانكار للذات ٠٠ الدرب الذى يفضى الى السكينة ، والطمأنينة ، والسـلام !**

تم الكتاب

٣٣٠٩٤ ت ٠ ص 436/SEP-Ag

اعــــلان

تقبل العطـــاءات بمكتب السيد مدير ادارة الميزانية والعقـــود والمشتريات بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم السبت ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ عن توريد ٥٣١٩ أردب ذرة رفيعة لتغذية جمال الهجـانة فى سنة ١٩٥٥/٥٤ ويمكن الحصــول على الشروط من المكتب عاليه مقابل ٢٠٠ مليم يضاف اليها ٣٠٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة ٥٠ مليما (٨١٤٧)

مجلس بلدى بور سعيد

تقبل العطاءات بمجلس بـلدى بورسعيد حتى ظهــر يوم ٨/١٥ سنة ١٩٥٤ عن توريد عدد ١٢ طن قش جروان

وتطلب الشروط والمواصـفات من المجلس على ورقة تمغة فئــة الخمسين مليما نظير دفع مبـلغ ١٠٠ مليم خلاف أجرة البريـد للنسخة وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٠٢/٠ من قيمتـــه لا يلتفت اليه (٨١٤٠)

منطقة بنها التعليمية

تقبل العطاءات بديوان منطقـــة بنها التعليمية لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم الاحد ٢٢ اغسطس سنة ١٩٥٤ عن الاعمال الصحية والاعتيادية ويمكن الحصول على الشـروط مقابل مبلغ ماية وخمسين مليمـا تضاف اليه ٣٠ مليما اجرة بريد وتقدم الطلبات على عرضحال تمغة فئة الخمسين مليما باسم سيادة مراقب عام منطقة بنها التعليمية .

٨١٢٤

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بمصلحة مخازنها بالعباسية بمصر لغاية الساعــة الثانية عشرة ظهر يوم :

١ ـ ١٩٥٤/٨/٣٠ عن توريـد الاسرة ولوازمها

٢ ـ ١٩٥٤/٩/١٤ عن الصابون بأنواعــه

٣ ـ ١٩٥٤/٩/١٥ عن توريـد الاثاثات الخشبية

٤ ـ ١٩٥٤/٩/٢٥ عن توريـد الاثاثات الصلب

ويمكن الحصول على الشروط من المصلحة المذكورة مقابل دفع ٢٥٠ مليما للنسخة الواحدة من المناقصة الاولى و٢٠٠ مليم للمناقصة الثانية و٣٠٠ مليم للمناقصة الثالثـــة و٢٥٠ مليما للمناقصة الرابعة . وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما للنسخة الواحدة

٨١٣٦

اعــلان

تقبل العطاءات بمجلس مديرية اسيوط حتى ظهر يوم الثـلاثاء الموافق ١٧ اغسطس سنة ١٩٥٤ عن توريد الاغـذية اللازمة لمؤسستى تربية البنين والبنات باسـيوط عن عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ وتطلب القوائم والشروط على ورقة دمغة فئة ٥٠ مليما من ادارة المجلس نظير دفع ٢٠٠ مليم لكل قائمة خلاف أجرة البريد وقدرها ٥٠ مليما . وللمجلس الحق فى قبول أو رفض أى عطاء

(٨١١٣)

عندما تخون الزوجة...

... وهزت نفسها لتفيق من هواجسها .. ومرة أخرى عاودها ذلك الألم المستعذب الذي أحسته في فؤادها حين فكرت في "تشارلي".. كانت متعة اللقاء تمحو المخاطرة ، ولقد قال إنه سيقف إلى جوارها لو أن الأمور تطورت إلى أسوأ درجاتها .. إذن فليثر زوجها ضجة إن شاء ، بل لعل من الخير له أن يعرف ، فما اكترثت يوما به ! .. وقد كان يسمها ويمضها - منذ أحبت تشارلي - أن تستسلم لعناق هذا الزوج ... كانت ترجو أن تنقطع الصلات بينها وبينه ! .. ولم تكن تخشى أن يثبت عليها الخيانة ، ففي وسعها أن تنكر .. وإذا لم تستطع فإنها لن تتورع عن أن تلقى بالحقيقة في وجهه ، وليفعل مايحلوله !!

إقرأ النص الحرفي الكامل لقصة (الخاطئة) في هذا العدد

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩